سيجالا سيجالور

عبد الفتاح محمد

سيجالا سيجالور / رواية

عبد الفتاح محمد

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

تدقيق لغوي :

عزيزة أبو الأنوار

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٥٢١٥

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٠٨- ٦

سيجالا سيجالور

رواية

عبد الفتاح محمد

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى روح والدي الحبيب رحمه الله أهدي هذه الرواية التي كان له فضل كبير في أن أتعلم الحياة وأضيف إليها أروع الأشياء ، كما أهديها إلى زوجتي الحبيبة التي لها الفضل في إخراج هذا العمل إلى النور .

مقدمة

في إحدى القرى المتاخمة لمدينة الأقصر نشأ "عابد" متـأثراً بكل عادات أهل الصعيد الكريمة، بالإضافة إلى كثرة اختلاطـه بالسائحين الأجانب على مختلف جنسياتهم ،حيث ترك هذا في شخصيته وثقافته أثراً عميقاً ، فكون صداقات كـثيرة وصـار يراسل أصدقاءه في الدول الأخرى ، فاتـسعت آفاقـه وازداد فهمه وإدراكه للثقافات الأخرى ، وما أن قرب على الخامـسة عشر حتى صار متمكناً من اللغـتين الإنجليزيـة والفرنـسية ، فتمكن من أن يسمع موسيقاهم ويفهمها ويحـس بهـا علـى جهاز" الووك مان" الخاص به الذي أهداه إليه أحد أصدقائه من السائحين ، وامتلأت غرفته بعشرات الأشرطة ، وتمكن مـن الحصول على عمل بمدينة الأقصر كمساعد للمرشد السياحي، فتحولت هوايته إلى عمل يكتسب منـه النقـود والمعلومـات والخبرات التي يعود كل يوم ليحكيها لأمه، حيث تجـد فيـه السلوى عن ولديها اللذان سافرا إلى الخارج طلباً للرزق ، شهر واحد في العام يتوقف فيه عابد عن ممارسة عملـه في مدينـة الأقصرحيث يعود والده في هذا الشهر من مدينة توشكي الـتي يعمل فيها سائقاً، مما يضمن لهم دخلاً يجعلهم يعيشون في حالة مستقرة ، فكان حظ عابد أفضل من حظ أخويه، فتمكن مـن

إكمال تعليمه حتى حصل على دبلوم التجارة وأتى لـــه أمـــر التجنيد ، واعتبره عابد فرصة للتعلم والحصول على خبرة نافعة جديدة ، وسافر إلى مدينة الحمام القريبة من مدينة الإسكندرية ليقضي مركز تدريبه هناك ، فأثبت كفاءة وقوة تحمـــل ، إلى جانب إلمامه الواسع باللغات الأجنبية ، الأمر الذي دفع رؤساءه إلى إرساله إلى مدينة الغردقة لقضاء فترة تجنيـــده هنـــاك في حراسة المنشآت السياحية ، استلم عابد مهمته وتأقلم ســـريعاً وخرج عدة مرات هو وزملاؤه لحراسة الوفود السياحية لمهارته في اللغات وفي إطلاق النار والتعامل مع أنواع الأسلحة كافة، حتى أتى يوم كُلِّف عابد ومعه ثلاثة من زملائه تحـــت قيـــادة الصول خميس بمرافقة مجموعة من السائحين الشباب الغـــريبي الأطوار ،حيث قصات شعرهم غريبة وملابسهم كذلك وتحيط بهم هالة من الرهبة ،لاحظ عابد اهتمام رؤسائه الزائد بهـــم ، وأتت الأوامر صارمة وصريحة من الـــصول خمـــيس بمنـــع أي شخص من الاقتراب منهم ،كما هو ممنوع التحدث مـــع أي شخص منهم إلا بإذن أو إذا طلب أحدهم شـــيئاً ، وســـوف يذهبون معهم لإقامة معسكر على شاطئ البحر لمدة يوم وليلة وينطلق الأوتوبيس السياحي الذي يقلهم ومن خلفهم السيارة الجيب العسكرية ، وجلس عابد فيها في مواجهة زميليـــه و في خفية من الصول خميس الذي يقود الـــسيارة ، يخـــرج عابـــد

سماعتي " الووك مان" ويضعهما في أُذنيه ويستمتع بالموسيقى الحالمة وبالنسيم البارد الذي يُبشِّر باقتراب فصل الشتاء ، وبعد حوالي نصف ساعة من السير يخرج الاوتوبيس عن الطريق الأسفلتي ليسير في رمال الصحراء دقائق معدودة ثم يصل إلى ممر بين جبلين يندفع منه الهواء محملاً برائحة البحر ، يدخل الاوتوبيس في الممر ليصل إلى شاطئ يحتضنه الجبل من كل جانب على شكل نصف دائرة ، ينبهر عابد ومن معه بجمال المكان ويتوقف الاوتوبيس ويبدأ الركاب في النزول ، ويقوم العمال بإخراج كمية من المعدات الحديثة ، فالخيمات عبارة عن أقراص مطاطية في حجم إطار السيارة يضعونها على الأرض لتمتلئ بالهواء وتتخذ شكلها النهائي ، فتنتصب ثلاث خيمات على الشاطئ الرملي في دقائق معدودة ، يصيح الصول خميس في الجنود الذين استغرقوا في مراقبة ما يحدث قائلاً : **اجمع يا عسكري** ، يصتف الثلاثة جنود على الفور أمامه فيوزع عليهم أجهزة لاسلكي ويوزعهم على أماكن الحراسة بعشوائية من يأتي إلى المكان لأول مرة ، فيضع اثنان عند مدخل الشاطئ على جانبي الممر المؤدي إليه ووضع عابد خلف مخيم السياح واختار لنفسه مكاناً على صخرة عالية تمكنه من مراقبة كل شيء من أعلى ، يقف عابد في مكانه الذي يتيح له أن يرى بوضوح كل ما يحدث في المخيم ، فيتبادل معه أفراد المجموعة

السياحية التحية والابتسامات ، فيرد عليهم عابد بإيمـــاءة رأس خفيفة لا يلحظها الصول خميس ، وما أن تستقر المجموعـــة في وضع أشيائها حتى يغادر الاوتوبيس المكان ويرتدي جميع أفراد المجموعة المايوهات وينزلون إلى الماء ، يتعجب عابد لتحملهم برودة الماء في هذا الوقت من السنة ، ويشيرون إليه بأن يـــنزل معهم ضاحكين ، فيومئ لهم برأسه باسماً ثم يـــضع سمـــاعتي" الووك مان " ويغمض عينيه ، وبعد فترة يخرجون مـــن المـــاء ويبدأون في إشعال مواقد لتسخين طعام معهم ، وتحضر إحدى السائحات طبقاً وعلبة بيرة تذهب بهما إلى عابد الذي يـــرفض بلطف قائلاً :

- No thank you it's out of order

السائحة :

- Wow are you talking English ? eat this food please.

يتناول عابد الطعام وهو يتلفت حوله فلا يجد أحداً يلحظه فيأكله بسرعة ويتجرع علبة البيرة مرة واحدة ، وبعد أن ينتهي يقطع بخطوات واسعة المسافة بينه وبين المخيم ليعيد إليهم الطبق قائلاً لهم : thank you فيرد أحدهم وهو يلف ســـيجارة يلصقها بلسانه : you welcome ثم يتنـــاول الـــسيجارة لعابد ، فيأخذها وهو يقول باسمـــاً : you send me to hell فيضحكون جميعاً ويعود عابد إلى مكانه سريعاً وهـــو

يضع السيجارة في جيب بذلته العلوي ، وما أن يقترب حتى يرى الصول خميس واقفاً ويقول له :

– كنت بتتفسح فين يا عسكري ؟؟

– عابد: مافيش حاجة يا صول خميس دول الناس طلبوا مني أساعدهم في شيل شوية حاجات تقيلة .

– الصول خميس : آه ما أنت حافظلك كلمتين إنجليزي ، ثابت مكانك يا عسكري ما تتحركش إلا بأوامر مني أنا بس إلا إذا حصل أي خطورة على المخيم .

يدق عابد الأرض بقدمه ويؤدي التحية العسكرية قائلاً :

– تمام يا فندم .

فينصرف الصول خميس إلى مكانه أعلى الصخرة ، وتبدأ الشمس في التواري خلف أمواج البحر ، ويبدأ أفراد المجموعة السياحية في إشعال نار وتهب رياح خفيفة لتؤجج اشتعالها ، يتذكر عابد السيجارة التي في جيبه فيخرجها ويشعلها ويمتص منها عدة أنفاس متلاحقة حتى يتخلل المخدر داخل خلايا عقله ويرى خيالات تترائى له من لهيب النار الذي بدأ يتصاعد ويعلو فيغلب عليه ضحك لا يعرف له سبباً، ويسمع ضحكه أفراد المجموعة فينظرون إليه وهو يمتص نفساً أخيراً من السيجارة قبل أن يلقي بها ويهرسها تماماً في الأرض ، ويتبادر إلى أذنيه صوت موسيقى يتصاعد تدريجياً ليسمع موسيقى مختلفة تماماً لم

يسمعها من قبل ، ويأخذ أفراد المجموعة في الرقص حول النار ، وتسيطر دقات الطبول القوية على حواس عابد لدرجة أنه أصبح يسمع الموسيقى ويراها في نفس الوقت ، فيغمض عينيه محلقاً فيما يسمع ، ويقطع عليه كل هذا التناغم صوت الصول خميس منبعثاً من جهاز اللاسلكي قائلاً :**كله تمام يا عسكري؟** يضغط عابد على اللاسلكي ويرد عليه : **كله تمام يافندم** .

الصول خميس : أمال إيه صوت الدوشة اللي عندك ده ؟ انت قاعد معاهم ولا إيه ؟

عابد : دول بس معليين صوت المزيكا شوية .

الصول خميس : فتح عينك كويس ، وما تخطلتش بأفراد المجموعة ، إلا عند الضرورة الأمنية القصوى ، معاد الراحة بعد أربع ساعات ماتنامش .

ينهي الصول خميس محادثته ويأتي أحد السائحين متسللاً لعابد وهو يسأله بصوت خافت :

- Are your boss still here ?

عابد : No

يمد السائح يده إلى عابد مناولاً إياه طابع بريد متوسط الحجم ويقول له :

- put this stamp under your tongue

عابد : what is this ?

السائح :

- It's (L.C.D.) ،and if you can come and dance with us ,ok? Buy.،

يعود السائح إلى المخيم بسرعة ويضع عابد الطابع في كف يده ، ويخرج بطاريته ويوجه الضوء ناحيته فيجده مرسوماً عليه السندباد ومن خلفه أساطير ألف ليلة وليلة ، يعجبه شكل الطابع ولكنه يخاف من أثره عليه ، فيقرر أن يذهب إليهم ليعرف منهم كيف يكون أثره ، وقبل أن يذهب يفتح اللاسلكي دون أن يتكلم ليسمع شخير الصول خميس فيطمئن فيخطو بسرعة تجاه المخيم ،وما أن يصل حتى يدخل في دائرة صوت الموسيقى القوي، فيقول لهم بصوت عالٍ وهو يريهم الطابع في يده :

- Hi guys, what this (L.C.D) do ?

فيدعوه السائح الذي أعطاه الطابع في يده بالجلوس ، ويتناول من جانبه لوحة مرصوص فيها عدة طوابع يريها لعابد فيجد أن كل طابع عليه رسم مختلف عن الآخر ، فيفهمه السائح أن كل طابع يأخذ الشخص إلى المكان المرسوم عليه ، ثم ينادي السائح على إحدى صديقاته قائلاً :

- witch stamp do you want ? ،Julia

تأتي جوليا وتنظر إلى لوح الطوابع ، ثم تشير إلى طابع قائلة:

- Queen Elizabeth .

يترع السائح طابعاً مرسوماً عليه الملكة اليزابيـــث ويناولــه إليها فتضعه على الفور تحت لسانها وتتناول كأساً مـــن يـــده لترشف منه عدة رشفات ثم تفتح فمها أمام عابد الذي لا يجد أثراً للطابع داخل فمها ، وينادي عليهم السائح الواحـــد تلـــو الآخر ، فمنهم من يختار طابعاً عليه رجل ملثم ، وآخر يأخـــد طابعاً مرسوماً عليه حديقة ، وآخر مرسوماً عليه ديناصـــور ، ويتناول شاب وصديقته طابعين عليهما صور جنسية وينظران إلى بعضهما نظرةً ذات معنى ويضحكان ، واثنـــان يتنـــاولان طابعان عليهما صورة فريق البيتلز ، ويتناول الـــسائح الـــذي يوزع الطوابع طابعاً عليه جوهرة ، يفهم عابد أنـــه ســـوف يعيش مع السندباد والأساطير الخيالية فتعجبه اللعبـــة ، فيـــضع طابعه في فمه ويناوله صديقه كأس الويسكي فيتناوله بسرعة ، يذوب الطابع على الفور ويجلس عابد ساكناً بلا حراك وهـــو يشعر بتنميل في جسده وتغشى عيناه رؤيا ضبابية ويترامى إلى أذنيه صوت سفينة تمخر عباب الماء ، فينظر إلى الشاطئ فيجد سفينة ترسو على الشاطئ وأفراد طاقمها يلوحون له، فيقـــوم واقفاً ويشير إليهم ملوحاً ثم يتجه جرياً نحو الشاطئ ، فينطلـــق وراءه ثلاثة شباب من أفراد المجموعة يقول له أحـــدهم وهـــو يحاول أن يلحق به :

- Don't believe any vision you see.

يزيد عابد من سرعته ولا يلتفت إليه حتى يصل إلى المساء، فيندفع داخله حتى يبتل بنطاله، فيندفع وراءه الشباب ليخرجوه فيتخيل بندقيته سيفاً فيحملها في يده من ماسورتها كأنها سيف يصارع به من يحاولون إخراجه، فيستغرقون في الضحك فيستفيق عابد مما هو فيه فينظر حوله ويسترسل في الضحك معهم على نفسه وهم يقولون له: **Hi Sindbad** فيستجيب لهم ويخرج من الماء ، وما أن يخرجون حتى يأتي إليهم جرياً زميلهم الذي تناول المرسوم عليه الديناصور وهو يصرخ قائلاً: **The dinosaurs want eat me** ويلقي بنفسه في الماء هرباً من الديناصور فيلحق به اثنان فيخرجون من الماء ويتجه الجميع سائرين إلى الخيمة الوسطى ، ويلفت نظر عابد أن الاثنان اللذان تناولا الطابعان الجنسيان تصدر عنهما أصوات مكتومة من الخيمة اليمنى ، وجوليا التي تناولت طابع الملكة صنعت تاجاً من الورق وجلست في منتصف الخيمة اليسرى في وضع ملكي مترفع مغمضة العينين وهي تحلق في عالم خاص من صنع الطابع الذي تناولته ، يفعل عابد مثلها ويغمض عينه ويتخيل نفسه على ظهر سفينة ترسو على جزيرة مهجورة ويترل إلى الجزيرة ومعه طاقمه من البحارة الأقوياء، فتخرج لهم مخلوقات غريبة تريد التهامهم ، وفجأة يترع عابد من تخيلاته أغنية رائعة وصوت خارق الجمال فيفتح عينيه بصعوبة قائلاً لصديقه السائح : **Can you make a copy to me from this album ?**

يقوم السائح على الفور ويفتح حقيبة ، ويخـرج شـريط كاسيت يناوله له ، فيأخذه عابد ويضعه في "ووك مان" ويناول الشريط الذي أخرجه إلى صديقه ، ويغمض عابد عينيه مـرة أخرى ليستغرق في خيالاته التي يعود إليها ليجد أفراد طاقمه قد التهمتهم الوحوش و لم يبق منهم إلا أشلاء ، وتحاصره الوحوش لتقضي عليه ، فينتابه فزع حقيقي يدفعه إلى فتح عينيه ليجـد الوحوش حوله حقيقية، فينطلق جرياً بعد أن عبر ما بين رجلي أحد الوحوش فيقول صديقه السائح وهو يـستعد للانطـلاق جرياً وراءه مرة أخرى : **He come again**، ولا يجـد عابد نفعاً من الاستمرار في الجري فيتوقـف ويحمـل مدفعـه الرشاش بوضعه الصحيح ، يلحظ أصدقاؤه هذا فينبطحون على الأرض وهم يدارون رؤوسهم بأيديهم ، ثم يطلق عابد عـدة دفعات من الرصاص فتخر الوحوش سريعة ويستفيق عابد من تخيلاته على صوت الرصاص الذي دوى في المكان كله فينظـر إلى نفسه وما حوله والمدفع في يده وهو يقول : **حصل ايـه ؟** وعلى الفور يأتي صوت الصول خميس من خلال اللاسـلكي متقطع الأنفاس وهو يجري قائلاً : **حصل ايه يا عابد ؟ ضرب النار ده ليه ؟**

عابد : كله تمام يا فندم دي ديابة هجمت على المعسكر وأنا ضربت عليهم نار .

الصول خميس : **احنا خلاص قربنا منك اهو .**

يغلق عابد اللاسلكي وهو يهمس لأصدقائه الذين تجمعـــوا حوله **wolves** يصل في تلـــك اللحظـــة الـــصول خمـــيس والعسكريان الآخران من ورائه فيبادره السياح قـــائلين وهـــم يظهرون الخوف الشديد :

- The wolves attack us، and the solder saves our lives، he is a hero.

الصول خميس : very hero،Yes yes

وينظر الصول خميس إلى عابد فيجد بنطاله مبلولاً فيقول له:

انت طاردت الديابة لحد المية ؟ والله براوة عليك يا وله ، رفعت راسنا قدام الأجانب ، بيقولوا عليك هيرو يعني مفتح.

ثم يلتفت إلى أفراد المجموعة السياحية الـــذين يتظـــاهرون بالخوف قائلاً: **ماحدش يخاف ماحدش يخاف** . ثم يقول لعابد: **خليك هنا جنب النار لغاية ما بنطلونك ينشف** ، ثم ينصرف ويأمر العساكر بالرجوع إلى نقاط حراستهم ، وما أن يبتعـــد حتى يقول عابد لأصدقائه :

-He ordered me stay here beside the fire.

يضحك أصدقاؤه وقد تمكن المخدر من الجميـــع ، ويـــضع أحدهم لثاماً على وجهه ويجلس محدقاً في الظـــلام، والاثنـــان اللذان تناولا طابعي البيتلز يخرجان درامز وجيتار ويبدآن بعزف يدفع الجميع إلى الرقص حول النار ، ماعدا الـــشخص الملـــثم

الذي قام برسم نجمة كبيرة على الأرض أمام النار ويتوقف في وسطها متمتماً بكلام غريب ، فتضيء النجمة بضوء أحمر ، فيتوقف الجميع عن الرقص والعزف ويدير أحد الشباب الموسيقى مرة أخرى ويتجه الجميع للجلوس عند أطراف النجمة ويغيب كل منهم في خيالاته ولكن لا يقدر أحد على أن يقوم من مكانه ليتعايش مع خيالاته التي يصنعها عقله ، فكل منهم يرى فقط، الشخص الوحيد الذي تصدر عنه صرخات مكتومة ويغطي وجهه بيديه هو الذي يرى الديناصورات وبعد مدة يقطع عليهم صوت الصول خميس خيالاتهم وهو يقول لعابد : **استعد مكانك يا عسكري عشان الراحة .**

عابد : تمام يا فندم .

يقوم عابد على الفور مستأذناً منهم ، ويقوم وراءه صديقه الذي أعطاه الطابع ويقول له :

- I must warning you ، the L.C.D. strick many times we don't know when ، good luck and take care

يغادر عابد وقد أصبح عقله في مكان آخر ولم يمنعه هذا من أداء الأوامر كالآلة حتى عاد إلى القاعدة في الغردقة ، وقد حاز على إعجاب قادته بسبب شجاعته في مواجهة الذئاب، فسمحوا له بإجازة لمدة اثنان وسبعين ساعة ،كما سمحوا له بركوب سيارة عسكرية مسافرة إلى مدينة الحمام ، فوجد فيها

فرصة لتوفير أجرة السفر ،حيث أن كل الظروف الحسنة الـــتي أحاطت به لم تسد فراغ جيبه إلا بجنيهات قليلة اقتطـــع منـــها أجرة السفر في الدرجة الثالثة في محطة سيدي جابر في مدينـــة الإسكندرية ليصل إلى القاهرة ومنها إلى الصعيد .

الفصل الأول

القطـــــار

كان حظ المجند عابد حسناً عندما وصل إلى محطة القطـــار في هذا الصباح الباكر البارد الملبد بالغيوم ، وسرعان ما دخـــل إلى رصيف المحطة يدور بعينيه باحثاً عـــن قطـــاره المتواضـــع ليحتمي من الرياح العاتية التي بدأت تضرب كل ما تقابلـــه ، فيجد القطار المتجه إلى القاهرة سريعاً ، ويـــدلف إلى عربـــة الدرجة الثالثة فيجدها فارغة لم تمتلئ بعد بالركاب ويتناثر على المقاعد بعض المجندين أمثاله وبعض من أولاد البلد ، فيـــتمكن من الجلوس على مقعد متهالك من شرائح خشب الزان القديمة التي تكسرت بفعل الزمن فيضع قطعة قماش عليها يخرجها من مخلته التي يحملها ، وكعادته سرعان ما ارتسمت على وجهـــه ابتسامة ليكتسب ود الركاب المصاحبين له في رحلته الطويلة، ولكن لم تلقَ هذه الابتسامة أي ترحيب ، فعلى يمينـــه صـــف مقاعد ممتلئ بنصف النائمين وبعض المتأملين في الفراغ وآخرين استغرقهم العبث بأغراضهم ، وبعد أن دارت عيناه في القطـــار نظر أمامه فوجد ثلاثة يحتلون المقعد الواقع أمامه مباشرة ، ولا تستبان ملامح وجوههم من العباءات الرمادية الـــتي تغطـــي

جنبات وجوههم وبالكاد تستبين محاجر أعينهم التي تتجـه إلى الأرض باستمرار وكأنهم لا يريدون أن يروا أحـد أو يـراهم أحد, استغرق عابد في تأملهم ليستشف أن في الوسط رجـلاً كبيراً في السن وعلى يمينه ابنته الصغرى وعلى يـساره ابنتـه الكبرى التي تجلس في وجه عابد مباشرة ، إلا أن أكثـر مـا جذب انتباه عابد هي العصا التي يتكئ عليها الرجل الكـبير ، فهي تبدو ثمينة جداً حيث يلمع أبنوسها الأسود المرصع بنقاط حمراء صغيرة يدور حولها خيط ذهبي رفيع ويختفي باقي العصا تحت رداء الرجل الرمادي ، وسرعان ما يبدأ تدافع المسافرين ليُنزِع عابد من تأملاته ويندفع الطوفان البشري داخل القطـار ليملأ حتى الفراغ بين الكراسي المتهالكة فتحجـب الأجـساد المتلاحمة الرؤيا عن عابد فيهرب بعينيه إلى الشباك نصف المغلق مستنجداً بأية رؤيا تنقذه من هذا الحشد الذي انهـال فـوق رؤوس الجميع ، وتأتي الرؤيا المنقذة من داخل القطار المشحون ولكن منعكسة على زجاج الشباك ، فابنة الرجـل العجـوز الكبرى هربت بعينيها مثله إلى رؤيا منقذة تأتيها مـن خـارج القطار ، فنظر عابد مدققاً في ملامح وجهها الجميل وعينيهـا المرتعشة، فأخذ قلبه يدق دقات متسارعة عندما اسـتغرق في تأمل هذا الوجه المنعكس على الزجاج وأخذ في تأمل عينيهـا الخضراوتين اللتين تشعان ضوءاً أبيض مشرب بخضرة يانعـة ،

أذهلته عيناها لدرجة أنها انتبهت إلى صورته المنعكسة على الزجاج وعينيه التي أُسِرَت في جمالها ، فخاطبته بعينيها من خلال انعكاس صورتها، بنظرة تحمل نداء استغاثة يدعوه ليخلصها من هجوم الأجساد البشرية عليها ، فإذا بالمارد المغوار النائم في أعماقه يستيقظ فيقوم عابد من مكانه ليزيح الطوفان البشري الذي يضغط على صدور الجميع ، وإذا بأحد الواقفين يحاول الجلوس مكانه بصورة خاطفة ،فيمسك عابد بكتفه ضاغطاً عليه بشدة لينزل به على الأرض ثم يلتفت إلى الجمع المنحشر بين الكراسي زاعقاً فيهم بلهجة آمرة :

ارجع يا جدع انت وهو، احنا معانا حريمات .

فينصاع الجميع للوحش البارز منه والنار التي تخرج من نظرته المتنمرة ، فيأخذ الجميع في التراجع ومعهم الرجل الذي أوقعه أرضاً ، وينظر عابد إلى الرجل وابنتيه فإذا هم مطأطئين وجوههم للأرض وكأنه لم يفعل لأجلهم شيئاً ، فيعود جالساً في مكانه ، ويبدأ القطار في إطلاق صفارات تحذيرية معلناً قرب موعد تحركه ، فينظر عابد إلى فتاته الجميلة ثانية لعلها ترفع وجهها مرة أخرى ليرتوي من بحور عينيها الخضراء ، ولكنها لا ترفع وجهها ، فيلوم نفسه على إبعاد الناس ولا يعلم كيف فعل هذا بمنتهى القوة، فلابد أن النظرة الوحيدة التي منحتها له هي السبب في كل هذه القوة التي انتابته ، فإذا بعابد يغلق عينيه محاولاً استرجاع هذه النظرة مئات المرات، ويبدأ القطار في

التحرك ،فيفتح عينيه ليرى وجهها كاملاً أمامه وهـــي تتأملـــه بحياء وهو مغمض العينين ، فيلقي بكل حواسه - التي عرفهـــا والتي لم يعرفها - عند أطراف أناملها، تخترق نظراتهـــا قلبـــه مباشرة فينبض لدرجة أنه يكاد أن يتوقف ، تشعر هـــي بمـــا يحدث له فتعود إلى النظر إلى أسفل ، ويبدأ القطار في الإسراع وتختلط أصوات العجل مع أصوات بشرية تصرخ وتقترب منه مخترقة الجموع الحاشدة وسرعان ما يستبان الأمر له ، فالرجل الذي أوقعه أرضاً قادم ومعه المحصل ويحمل تذكرتـــه في يـــده ويقول بصوت عالٍ :

اتفضل تذكرتي قدامك اهي والعيلة اللي قاعدة دي كلها معهومش تذاكر ومع ذلك قاعدين على الكراسي وبيضربوا الناس ، بص كتفي .

ينظر المحصل إلى كتفه ليرى علامات أصابع عابد فوقه ، فيشير الراكب على عابد قائلاً :

هو ده .

المحصل : انت بقى الفتوة اللي مانع الناس تقف عنـــدك ، تذكرتك يا خفيف.

يخرج عابد تذكرته بثبات من الجيب العلوي لبذلته المـــيري ويناولها له ، فيتفحصها المحصل جيداً ثم يعيدها إليه ، ولكنه لا يكتفي بذلك إنما يمد يده إلى الرجل النائم جوار عابد ويـــوكزه

بلطف ليستيقظ، فيفتح الرجل عينيه وما أن يرى المحصل حتى يسارع بإخراج نقوده، فيقطع له المحصل تذكرة ويقول :

١٧٥ قرش وربع جنيه غرامة .

فيدفع الرجل ويأخذ تذكرته ويضعها في جيبه ويعاود النوم، ثم يلتفت المحصل إلى الرجل العجوز وابنتيه ويقول :

تذاكر ، تذاكر يا عم الحج .

ولكن الرجل لا يرد وكذلك ابنتيه ، فيبدأ المحصل في الكلام بحدة شديدة فيرفع الرجل العجوز وجهه فينبهر عابد لعينيه الخضراء المسحوبة ،فهي طبق الأصل نفس أعين ابنته الكبرى ولكن زحفت عليها تجاعيد الزمن فحاصرت جمالها الأصيل الذي لا يطاله الفناء ، وإذا بالابنتان ترفعان أعينهما ، وتنظر إليه هذه المرة الابنة الكبرى بنظرة سمحت له بالخوض في بحور عينيها الخضراء ، فيدرك عابد نظرة استغاثة ثانية فيقول للمحصل بسرعة :

الناس دي معايا يا ولد العم .

ويمد يده ليخرج ما معه من نقود، فلا يجد معه إلا ستة جنيهات يناولها للمحصل والقلق قد اعتصر صدره ، فهي آخر نقود يملكها ، فيناوله المحصل ثلاث تذاكر يناولها عابد بدوره إلى الرجل العجوز فيلتقطها منه بيده المعروقة وفي عينيه نظرة شكر وامتنان ثم يقول له وهو يصافحه:

شكراً يا ابني على موقفك الشهم ده ، وده يـــدل علـــى إنك من أصل طاهر ، انت منين يا ابني ؟

عابد :أنا ابنك عابد عبد المعبود الجـــداوي مـــن جبـــل المغاوير وراجع البلد في أول إجازة من الجيش .

الرجل العجوز : وده من حسن حظنا يا ابـــني ، احنـــا رايحين فرح في بلد الطناوية تعالى معانا وتبقى شرفتنا .

عابد : لكن يا حج انت شايف أنا نازل إجازة من الجيش همّ تلات ايام هشوف أمي واختي وأسلم على أهلي وارجع تاني الجيش .

الرجل العجوز : ده الفرح مش هياخد غير سواد الليلـــة دية وفي الفجر تنك راجع لبلدك، واللي قدامك ده زي أبوك عمك مشالي السرساوي ،ودية بنتي الصغيرة رَميسة وبـــنتي الكبيرة سارية ، وكمان تيجي معانا عشان تاخـــد فلوســـك اللي دفعتها ويبقى زادنا شرف ، الفرح ده فرح ناس أكابر وانت هتشرفنا وسطيهم .

يلمح عابد أن الابنة الصغرى عينها اليمنى خضراء كعـــين أختها والعين اليسرى تركوازية يحيط بها حلقة قرمزية خفيفة ، يقشعر عابد فور أن يلحظ ذلك ولكن تتلقفه عين سارية الـــتي تنزعه من نفسه في كل مرة وتأتي به إلى حيث تريد هي ، فتثير

نظرتها في نفسه إحساساً قوياً بالموافقة على صحبتهم إلى هــذا الفرح فيقول عابد لعم مشالي :

أنا هاجي معاكم يا حج ، لكن هو فرح مين ؟

عم مشالي : فرح الراسي طيبور الطناوي .

وحين يقول ذلك ترتجف يد عم مشالي التي تمسك بالعــصا ليترلق من فوقها رداؤه ليتضح باقي النقش عليها ،فيرى دائــرة تركوازية تحيط بها حلقة قرمزية خفيفة، صورة طبق الأصل من عين ابنته الصغرى ويلحظ عم مشالي ذلك فيداريها بردائه كما تشهق سارية وترتبك رَميسة فور سماع هذا الاسم .

يبدأ القطار في تهدئة سرعته إيذاناً بقرب توقفــه ، ويبــدأ أغلب الركاب داخله بالتزاحم وجمع أغراضهم استعداداً للترول ولكن يتوقف القطار فجأة بفرملة فجائية تقذف الركاب فوق بعضهم فتندفع سارية في حضن عابد وينــدفع عــم مــشالي ورميسة على الراكب النائم جوار عابد فيستيقظ فزعاً ، وفور أن تلامس سارية عابد ينحل جسده وتفور دمــاؤه ويغــزوه دفؤها وتلتصق به أعضاؤها ،وتشعر بإحساس جديــد عليهــا فتحس بقوته تخترقها ، فتعلق به أكثر وتتسرب داخلــه دون أن يشعر وتحتل كل مراكز الحب والرغبة داخلــه ، ودون أن تنطق سارية يشعر عابد أن قلبها اختاره ، فيعيدها إلى مكانهــا

وهو يقطر إحساساً وحباً ، ثم يساعد عم مشالي في الرجـــوع إلى مكانه ويلتقط عصاته التي وقعت منه ويناولها له ، ثم يعـــود ليجلس مكانه وقد استعاد الجميع توازنهم المفقـــود ، ثم أخـــذ الركاب يتدافعون للترول من القطار ، و في تلك الأثناء يعصف بقلب عابد وعقله نظرات سارية وابتسامتها الخاطفة الخجلـــة التي تبعث بها إليه من لحظة إلى أخرى ، فيتأكد عابـــد مـــن ذوبان كل الحواجز بينهما وهو يتعبد لجمالها آلاف المـــرات ، ويتابع ميلاد هذا الحب عم مشالي ورميسة من طرف خفي لا يلحظه عابد ولا تلحظه سارية ، وسرعان ما يـــترل الركـــاب ويعقب نزولهم تدافع آخر محموم لركاب صاعدين القطار وفي صحبتهم بعض الباعة الجائلين الذين انتشروا في القطار عارضين بضائعهم ، يتمنى عابد في تلك اللحظة أن يقدم إلى حبيبة أيامه القادمة ومن معها بعض المثلجات والطعام ، لكن جيبه الخاوي لا يملك ثمن كل هذا ، وبينما هو غارق في أمنياته المـــستحيلة مطأطئ الرأس فإذا به يلمح ورقة حمراء مطبقة بحدة محشورة ما بين مقعده المتهالك وهيكل القطار المتداعي ، فيعـــاود عابـــد الأمل في هذه الورقة تبدو أنها ورقة نقدية ذات قيمة كـــبيرة ، ولكن كيف يحصل عليها فالمسافة ضيقة لا تسمح له بمرور يده ليلتقطها ، فلا بد من شئ رفيع وطويل ليستطيع أن يصل إليها ليخرجها من مستقرها البعيد المخنوق ، يعمل عقل عابد بعنف

باحثاً عن شئ يخرج به أمنيته الصغيرة المستحيلة إلى النور ، وفجأة تنفجر ملايين من خلايا عقله، وبعد أن ينقشع دخان هذا الانفجار الداخلي يظهر أمامه صورة الراديو الترانزيستور الذي يحتفظ به في مخلته دائماً ، فيخرج مخلته على الفور من أسفل كرسيه ويفتحها ليخرج الراديو وسط نظرات تعجب من عم مشالي وابنتيه ، ثم يخرج عابد الايريال الخاص بالراديو ويفرده على أقصى طول له ثم يكسره من الأسفل ثم يمسك به ويمده جانب الكرسي ليلامس به الورقة النقدية الثمينة ،فيتراقص قلبه فرحاً وهو يحركها بحذر ليخرج بها إلى النور، وما أن يقترب بها إلى الخارج حتى تفرد سارية عباءتها لتداريها عن الأنظار وما أن تخرج الورقة النقدية وتسقط على الأرض حتى تترك سارية طرف عباءتها لتسقط فوقها ، فيترك عابد الايريال ويسارع بالتقاط الورقة النقدية ثم ينظر إليها داخل يده وهو يُمنِّي نفسه ليجدها ورقة نقدية من فئة الخمسين جنيهاً ، ويتصادف مرور المحصل بجانب عابد وهو يتأكد من حصول الركاب الجدد على تذاكر فإذا بعابد يناديه وقد ارتسمت عليه ملامح العظمة وهو يقول :

لو سمحت يا عمنا فك لنا الورقة دي ربنا يكرمك .

المحصل : هو انت هتقطع تذاكر للقطر كله ؟ يا حلاوة ياولاد أول مرة أشوف عسكري معاه خمسين جنيه .

عابد : انت هتّنج علينا ولا ايه يا ولد العم ، ده تمن فدان أرض أنا رايح أشتريه .

فيضحك الركاب على تعليق عابد الساخر ،ويتناول المحصل الخمسين جنيهاً ثم يعطي لعابد فكة متنوعة ، يقبض عابد على ثروته الصغيرة ،فيشعر أن الله معه يرد له الحسنة التي قدمها منذ قليل بعشرات أضعافها ، كما يشعر أن هذا رزق سارية ووجهها الجميل عليه ، ثم ينادي على بائع المثلجات والمأكولات ليفتح أربع زجاجات مياه غازية ويناوله عشر ساندوتشات يقدمهم عابد إلى عم مشالي وابنتيه فيقبلوها شاكرين ، يدفع عابد الحساب ويجلس الجميع في رضا تام يتناولون طعامهم وشرابهم ولا يقطع عليهم سكينتهم إلا صوت شخير الرجل النائم الذي يجلس جوار عابد ، فيضحك الجميع من قلوبهم وتلمع أسنان سارية وهي تضحك لأول مرة فتخطف ضحكتها قلب عابد أكثر وأكثر حتى تمتلكه تماماً ، ويعود البائع المتجول فيناولونه الزجاجات الفارغة، وفي تلك اللحظة يصعد القطار رجل ملتح يلقي على أرجل الركاب سور من القرآن الكريم، وسرعان ما يصل إلى عابد ومن معه ويلقي على أرجلهم آية الكرسي وسورة يس فتنظر رَميسة إلى الكتيب المُلقى في حجرها وقد انقلب سواد عينها إلى الداخل ولم يبق ظاهراً إلا بياضها ، وتكورت قبضة يدها وانتابتها عدة ارتجافات فيما يشبه حالة الصرع ، فيهب عابد واقفاً ويستيقظ الراكب النائم فزعاً ويحاول عم مشالي تهدئتها والسيطرة عليها

ويلتقط الرجل الملتحي آية الكرسي قبل أن تسقط مـــن علـــى رجل الفتاة ، وما أن يعتدل حتى يهمس في أذن عابد قائلاً :

انت باين عليك ابن حلال خلي بالك من النـــاس اللـــي معاك دول .

وما أن ينتهي من كلامه حتى يدس شيئاً في يـــد عابـــد ، وينسَلُّ منسحباً من وسط الركاب دون أن يشعر به أحد وكأنه طيف يعبر هذا الحشد المتحلق حول الفتـــاة الـــتي بـــدأت في الاستفاقة ، تقع كلمات الرجل الملتحي على عابد وقعاً ثقـــيلاً الذي ينظر إلى يده ليجد قطعة جلدية سوداء مخيطـــة بخـــيط أبيض منتفخة من الوسط دليل احتوائها على سر خفي داخلها, يتدلى منها خيط جلدي مجدول لتعلق منه في الرقبة ، يرتـــديها عابد بسرعة ولا يلحظه أحد فالجميع منشغل بالفتاة ، وسرعان ما ينفض الجميع على صافرة القطار التي تنذر بقرب المغادرة ، وتستفيق رَميسة على صوت الصافرة العالي ، ومع هدهـــدات السير الأولى ينقض على عابد ضباب كثيف يغلف مـــشاعره وأفكاره، حتى صورة سارية وعينيها التي حُفرت داخل خلايـــا عقله وقلبه انمحت تماماً ، وأخذ عابد يحاول معرفة مصدر هذا الضباب الداخلي القاتم الآتي من مكان مجهول ، يختنق عابد من هذا ويبدو عليه هذا الاختناق ، فيحمَّر وجهه الذي يداريه بيده حتى لا يلحظ أحد ما يحدث له ، وكأن هذا الضباب يريد أن يحمي عابد ليعيده نقياً كطفل صغير فيحاول الاستجابة لدعوة الميلاد الجديد ولكنه يشعر أنه سيفقد حبه القادم لسارية الـــتي

تجلس أمامه وهي ترفع عينيها تجاهه بجرأة فتسحره عينيها مـــرة أخرى وتحتويه ويجد فيهما الأمل والخلاص ، فإذا بسارية ترفع يدها تجاه عنقها وتشير إليه أن يخلع ما في عنقـــه ،ويـــستجيب عابد لإشارتها ويمد يده ليخلعها ثم يضعها في جيـــب بذلتـــه ، ويتردد صدى كلام الرجل الملتحي (خلي بالك من الناس اللي معاك دول) ولكن لا تمهله سارية وقتاً ، وبإشـــارة أخـــرى تدعوه إلى إلقاء ما خلعه من عنقه من شباك القطار ولكن عابد لا يستجيب لذلك فيفتر ثغر سارية عن ابتسامة ساحرة تسلب لب عابد ، ويشعر عابد فعلاً أن ضبابه الداخلي قد انقشع فور خلعه القطعة الجلدية من رقبته ، فيستجيب لسارية ويلقي بهـــا من النافذة فيعمه هدوء وسكينة ويتأكد من حب سارية لـــه ، وفي تلك الأثناء يذهب عم مشالي ورَميسة في غفوة ، وسرعان ما تلحق بهما سارية ، ولا يعكر صفو عابد في تلك اللحظـــة سوى تحذير الرجل الملتحي له ، الذي أخذ يتـــردد صـــداه في جنبات عقله فيبدأ أخيراً في التفكير في هؤلاء الناس ، فتبـــزغ داخل عقله تساؤلات كثيرة ، لماذا هم منطوين على أنفـــسهم أكثر من اللازم ؟ ، لماذا هذا الغموض المحيط بهم ؟ ، وكيـــف تسيطر عليه سارية إلى هذا الحد دون أن تتحدث معه وكأنهـــا تقرأ أفكاره ؟، تستمر هذه الأسئلة في التداعي عليـــه ، إلى أن يلحظ استغراق سارية في غفوتها فيميـــل رأســـها إلى الـــوراء فينكشف عنقها المرمري ، ويهبط عابد بعينيه إلى منبت صدرها الذي انكشف رغماً عنها ، فتندفع الدماء في رأسه لتزداد رغبته

فيها قوة ، فيتوقف عقله عن الأسئلة وعن التفكير في مدى خطورتهم ، ويُسقط ناقوس الخطر الذي تركه داخله الرجل الملتحي ، ويترك نفسه تذهب في غفوة لعلها تقوده في عالم الأحلام فيقابل حبيبته الكائنة أمامه ولا يقدر على لمسها .

وتصدق أمنيته وتتمثل له سارية في حلمه مرتدية ثوباً أخضر ليزيد عينيها جمالاً ويتطاير شعرها الحريري وهي تجلس أمامه على شاطئ بحر تركوازي ، ثم تُخرج ودعاً وحصى صغيراً ملوناً ، ثم تلقي بهم على الرمال أمامه فيصطف الحصى على الجانبين في نظام عجيب راسماً طريقاً مستوياً يتناثر حوله كل الودع الكبير ويبقى داخل الطريق ودعتان صغيرتان تحتضنان بعضهما ، فتخرج سارية خاتماً خشبياً تضعه حول إصبعه في يده اليسرى ثم تقبِّل يده ، فيلتقط يدها هو الآخر ليقبلها ، إلى أن ينزعها من حلمه يد عم مشالي وهي تربت على وجهه بخفة ليوقظه ، ولكن عابد يستيقظ ليفاجأ بأنه يمسك يد عم مشالي ويحاول تقبيلها ، ولكن عم مشالي يسحب يده وهو يقول :

استغفر الله العظيم يا ابني ، ده أنت خيرك علينا ، أنا بصحيك بس عشان قرّبنا نوصل .

يستيقظ عابد من حلمه ليجد القطار يهدئ من سرعته ، وقد أخذ الركاب يصطفون حول الأبواب استعداداً للنزول ، وبعد أن يتفحص عابد الأحوال من حوله تستقر عينيه على

سارية فيجدها مبتسمة وهي تلملم أشياءها استعداداً للترول ، فيمد يده ليتناول مخلته ، ويبدأ القطار في دخول المحطة ، ويهم الجميع بالقيام من أماكنهم ، يتقدمهم عم مشالي الذي يمسك بيد رَميسة ، ويلحظ عابد أن سارية تميل بكتفها تحت ثقل حقيبة الظهر التي تحملها ، فيلمس عابد أناملها الرقيقة بأطراف أصابعه حتى تترك الحقيبة له ليحملها عنها ، فتتركها له فتناولها بيد واحدة ليعلقها على ظهره بجانب مخلته ، وبرقة شديدة يلتقط كف سارية ليذوب في يده القوية فيقشعر بدنه وترتجف هي ، فيغزوهما تيار يسري في دفء غريب يبدد برودة الشتاء التي تراكمت على أحاسيسهما ، فيضمها إليه وكأنه يريد أن يخبأها داخله حتى لا يلمسها أحد من المحيطين بهما وهما في طريقهما إلى الترول من القطار ، تستسلم سارية له وتتركه يقودها كيفما يشاء ، وتشعر بحبه الجارف وهو يدفع عنها الركاب المتزاحمين أمام الأبواب ، ورغماً عنها تقع سارية في حضن عابد عدة مرات حتى تلامس أقدامهما رصيف المحطة وتلتقي أعينهما ،ويلحظ في عينيها بريقاً جديداً لم يره من قبل, وتتحرر مشاعرهما من الزحام المحيط بهما لدرجة أنهما لا يسمعان شيئاً غير صوت حبهما الذي يولد في تلك اللحظة ، وكأن كل شيء قد توقف لبرهة من الزمن تحدد عمرهما الآتي معاً ، ويستفيقان على عم مشالي ينادي عليهما فيتبعاه ومازالت أعينهما متعلقة ببعضها حتى يعرف عابد سر هذا البريق الجديد من دمعتين يفران من جفنيها، فيمد يده الأخرى ليلتقط فيها

الدمعتين ، فيمسح بهما وجهه ليدرك فجأة أنها تعاني من حزن يتسرب من أماكن مجهولة داكنة ليتغلغل في مشاعرهما الوليدة ، فتعتريه مئات الأحزان وملايين الصور الغامضة غير المترابطة التي غزت عالمه من دمعتيها ، أماكن غريبة ذات سماوات حمراء وأخرى صفراء وأخرى بيضاء، ومباني ملونة وناس يسيرون بسرعة مفرطة لدرجة أنك لا تستطيع أن تستبين ملامحهم .

يستفيق عابد من ذهوله على الرياح الباردة المحملة بالتراب الذي يغطي الطريق خارج محطة القطار ، وقد ولد له وعي جديد يتسع لكل العالم ، يفتح عابد عينيه الجديدة ليرى عم مشالي واقفاً أمامه ، فينظر مباشرةً في عينيه ليرى كل هموم العالم تتجمع فوق رأسه ، ثم يدور بعينيه في المكان من حوله فيجد وجوه مكفهرة ، ووسائل مواصلات بدائية تعتمد على الكاريتات التي تجرها الخيول والحمير ، وتقع عيناه على دكان يبيع السجائر والحلويات ، ليس مبنياً كالمحلات العادية ولكنه يتخذ من تجويف صخرة كبيرة مكاناً له ، فيتجه إليه عابد ليشتري علبة سجائر يضعها في جيبه ثم يرفع عينيه ليرى السحاب المحمل بالماء يستعد لإلقاء حمولته فوق رأس هذه المدينة الفقيرة ، فيجد عابد في هذا السحاب الداكن المنقذ الذي سوف يخلصهم من التراب الذي يعمي الأعين ، وفي تلك الأثناء يسير عم مشالي متجهاً إلى موقف الكاريتات ويختار كاريتة نصف ممتلئة يقف أمامها صبي على مشارف الرجولة ينادي بصوت عالٍ: (**آخر الطناوية .. آخر**

الطناوية), وسرعان ما يلمحهم الصبي فيدعوهم إلى الركوب ، فيجلسون في صف المقاعد الخالي ، وتجلس رميسة على الطرف المواجه للشارع وبجانبها أختها وأباهما، وفي الطرف الآخر يجلس عابد خلف مكان قائد الكاريتة مباشرة ، وأمامهم امرأتين ورجل كبير يحتلون الصف المقابل ، في مواجهة عابد امرأة تحمل قفصاً بداخله خمس دجاجات ، والمرأة الأخرى تحمل طفلة صغيرة ما بين أربع وخمس سنوات تبتسم للجميع وتبدو على ملامحها الشقاوة والرغبة في استطلاع كل شيء ، والرجل العجوز الذي يجلس في الطرف المواجه للشارع يداعبها فإذا بها تضربه بيدها وهي تضحك بدلال ، ثم ينادي الصبي قائد الكاريتة ، ويدعوه إلى التحرك حيث اكتمل عدد الركاب يصل قائد الكاريتة وهو يحمل سوطاً صغيراً في يده وينظر بتفحص إلى الركاب ، ثم يقول للصبي الذي ينادي :

فاضل مكان لراكب كمان .

الصبي : الحمدلله على كده اطلع بقى .

يلاحظ عابد الجدل الدائر فينادي على قائد الكاريتة قائلاً وقد تذكر باقي الخمسين جنيهاً القابع في جيبه :

أنا هأدفع النفر اللي فاضل.

قائد الكارتة : ماشي كلامك يا دفعة .

ثم يقفز إلى مكانه خلف الحصان ويقرع بالسوط في الهواء ليبدأ الحصان في التحرك متخذاً مساراً متعرجاً في بادئ الأمر

مخترقاً شوارع القرية الرملية ، يلحظ عابد كم الفقر الهائل الذي يعتصر هذه البلدة الهامشية في كل شيء ، فيتذكر عابد كلام عم مشالي له في القطار عن عظمة الفرح وأصحابه ، فيميل عابد على عم مشالي ليسأله هامساً :

هو الفرح اللي احنا رايحينه في البلد دي ؟

عم مشالي : ماتقلقش يا عابد يا ابني ، البلد دي طريق بس غمشيه وبعد ما نعديه نوصل مكان الفرح .

عابد: والفرح مالوش طريق غير ده ؟

ينظر إليه عم مشالي بتفحص وحذر مجيباً عليه بطريقة قاطعة وكأنه يطلب منه عدم السؤال عن أشياء أخرى .

عم مشالي : لأ ، فيه طريق تاني ، بس احنا ناس على اد حالنا و السكة دي على اد ايدينا ، ولازم نروح نجامل ونعمل الواجب .

يرتسم على وجه عابد بوادر الاقتناع ، وفي تلك الأثناء تترك الكاريتة الطريق المتعرج وتتخذ طريقاً ممتداً على مدى البصر ، وتشتد الريح لتضرب وجوه كل ركاب الكاريتة التي تتهادى وهي تصدر صريراً من عجلاتها تضحك عليه الفتاة الصغيرة كلما يحدث ، فيضحك الجميع وتداعبها سارية وتغطي عينيها بيديها كلما ضربت الرمال أعينهم ، ويلحظ عابد

منازل من دور واحد مبنية بالطين تتناثر في الحقول المترامية على جنبات الطريق ، وينظر إلى الأمام حيث تبدأ قبـــة بيـــضاء في الظهور على مرمى البصر ، وبجانبها مأذنة بيـــضاء ترتفـــع في السماء، وتتضح تفاصيل هذا الكيان كلما اقتربت الكاريتة منه, فيلحظ عابد أن هذه القبة البيضاء لمترل أبيض كبير يجاور هـــذا المسجد ، وما أن تقترب الكاريتة من المترل الأبيض حتى يـــرى عابد رجلاً يرتدي جلباباً أبيض له لحية سوداء مشذبة بعنايـــة وبجانبه صبي في حوالي الثالثة عشر من العمر يرتـــدي جلبابـــاً أبيض كذلك ويداري وجهه من التراب بشال أبيض شفاف ، ويمسك بمقود بقرة صفراء ويقفان تحت شجرة تظلل مـــدخل باب المترل ، وما أن تصبح الكاريتة أمامهما مباشرةً حتى ينادي الرجل بصوت مهيب جهورٍ - ليغطي على صفير الريح - على قائد الكاريتة :

يا ريس مصطفى .... يا ريس مصطفى .

يهدئ على الفور مصطفى قائد الكاريتة من سرعتها ويتجه إلى جانب الطريق ويترل من الكاريتة متجهاً إلى الرجل وعلى وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول:

كيف حالك يا شيخ عبد الهادي ؟ ، أنا تحت أمـــرك يـــا مولانا .

الشيخ عبد الهادي : **الحمد لله يا ابني ، ممكن تاخد ابـــني محمد معاك لحد السوق علشان يبيع البقرة دية ؟**

مصطفى : ده يحصلنا البركة يا مولانا .

يمد الشيخ عبد الهادي يده في جيبه ليخرج نقوداً يناولها لمصطفى ولكنه يرفض بشدة وينحني ليقبل يده ولكنه يصر على رفض النقود فيعيدها الشيخ عبد الهادي في جيبه ، ويمسك مصطفى بمقود البقرة ويتجه ناحية سلم الكاريتة ليربطها في العامود الحديدي ويأخذ الشيخ عبد الهادي بيد محمد ويتجه إلى العربة هو الآخر ، وما أن يصل حتى يلقي السلام على ركاب الكاريتة ، ويجلس محمد على سلم العربة ويلقي السلام بدوره على ركاب الكاريتة ، وما أن يستقرا حتى يقول الشيخ عبد الهادي لابنه :

بعد ما تبيع البقرة حط الفلوس في الكيس اللي في صدرك وارجع مع الريس مصطفى.

ويهز محمد رأسه مبتسماً وهو يقول :

حاضر يابا ، ماتقلقش ، إن شاء الله خير .

فيربت الشيخ عبد الهادي على رأسه ثم يقول مخاطباً مصطفى :

تبقى ترجعه معاك يا ريس مصطفى بعد ما يبيع البقرة .

الريس مصطفى : استنى معاه يا شيخ عبد الهادي لغاية ما يبيعها ؟

الشيخ عبد الهادي : ما تعطلش أكل عيشك يـــا ابـــني ، سيبه في السوق وروح انت لم ركابك وبعد كده عدي عليه و رجعه معاك .

يتعجب عابد من صغر سن الولد الموكل إليه بيع البقرة التي يزيد ثمنها عن ست أو سبع آلاف جنيه ، ولا يجد بداً من تنبيه الرجل الطيب إلى تلك النقطة ، فيقول للشيخ عبد الهادي :

لكن يا شيخ عبد الهادي الولد صـــغير علـــى المـــسئولية الكبيرة دية ، ممكن أي حد يضحك عليه أو الفلـــوس تقـــع منه.

يدخل مصطفى في الحديث بدون سابق إنذار مخاطباً عابد:

ماحدش يقدر يقرب لابن الشيخ عبد الهادي ، احنا كلنا رجالته وكلنا موجودين حواليه .

يقاطعه الشيخ عبد الهادي موجهاً حديثه إلى عابد وعلـــى وجهه ابتسامة مطمئنة :

ربنا اللي معاه أكبر من الكل قادر على كل شيء ، وربنا معاك انت يا ابني وخلي بالك من نفسك ، و إذا احتجـــت أيها حاجة انت عرفت بيتي اهة ، تبقى تيجي ، انـــت بـــاين عليك غريب .

عابد : إن شاء الله يرجعلك غانم سالم .

يتخذ مصطفى مكانه ويودعهم الشيخ عبد الهادي ، ثم يقول :

لا إله إلا الله.

فيرد محمد ومن خلفه باقي الركاب ومصطفى:

محمد رسول الله.

ثم تتحرك الكاريتة ويأخذ مصطفى في الحديث عن الشيخ عبد الهادي ومحبة الناس له ، فيقول:

الشيخ عبد الهادي أحسن واحد في البلد دي ، متوكل على الله في كل أموره ، ومابيخفش من حد أبداً ، عشان راجل ماشي بالحلال ، عارف الجامع اللي جنبه ده ؟، هو اللي بانيه ، وهو المؤذن والخادم بتاعه ، وده المسجد الوحيد في البلد .

ويقاطع مصطفى نقاط الماء المتفرقة التي بدأت تسقط من السماء فيستبشر الجميع بها لتهدئ من العواصف الرملية التي تضربهم منذ مدة ، فيوقف مصطفى الكاريتة ويقف على مقعده ليسقط مشمعاً سميكاً على جوانب الكاريتة حتى يحميهم من المطر ، ثم يقفز على الأرض التي بدأت تبتل متجهاً إلى سلم الكاريتة ليدخل محمد داخلها ، فيفسح له الرجل العجوز فيجلس بجانبه ، ويقف مصطفى مكان جلوس محمد ليسقط مشمعاً آخر ثم يتجه إلى كرسيه خلف الحصان ويفتح مظلة

تحميه هو الآخر من المياه ، ثم يجلس مقرعاً بالسوط ليستمر الحصان في طريقه ، ويبدأ المطر في الانهمار بغزارة ويضرب بقوة المشمع الذي يغطي الكاريتة محدثاً صوتاً عالٍ .

ينتهز عابد الفرصة ليسأل محمد قائلاً :

وانت يا حبيبي ، أبوك ماجاش معاك ليه ؟

يرد الولد بثقة وأسلوب رزين يفوق أسلوب الكبار ، قائلاً:

أمي مريضة ، وأبويا ما يقدرش يسيبها ، وصرفنا كل اللي معانا على علاجها ، وفاضل لها عملية هتتكلف كتير ، عشان كده بنبيع البقرة ، وأنا أصريت إني أروح بيها السوق, وإن شاء الله ربنا يسهل .

عم مشالي : ربنا يبارك فيك يا ابني ، انت من أصل طيب.

ويؤكد عابد كلام عم مشالي ، وهو يلحظ أن رَميسة ترمق محمد وهو يتحدث ، ويبدو أنها تفتقد ملكة الحديث والتعبير عن نفسها ، فهي لم تنطق بأية كلمة منذ رآها في القطار ، كما أنها تخشى مواجهة الناس ، فلا تنظر إلى أحد ينظر إليها أبداً ؛ يشعر محمد أن رَميسة ترمقه ، فيلتفت ناظراً إليها بسرعة, فتخفض عينيها على الفور، ولكنه يلمح عينيها التركوازية ذات الحلقة الحمراء ، فيقع هذا في نفسه موقعاً

مزعجاً كما وقع في نفس عابد من قبل ، ولكنه يصرف نفسه عن ذلك ليزيح طرف المشمع بيده وينظر ليطمئن على بقرته ، وفي تلك الأثناء تبدأ قطرات المطر في الإقلال تدريجياً ، ويرتفع صوت مصطفى يطلب جمع الأجرة من الركاب ، فيلحظ عابد أن كل راكب يخرج ربع جنيه ، فيفعل مثلهم ويأخذ النقود يناولها لمصطفى ، في اللحظة التي يمد فيها مصطفى يده ليتناول النقود ، ترتج الكاريتة رجات قوية وهي تعبر جسراً، فينتفض الجميع وتسقط النقود أسفل الكاريتة ، فيوقف مصطفى الكاريتة على الجسر ، وينزل تحت الكاريتة ليجمع النقود التي سقطت على الأرض وأصبحت شبه مبتلة ، وبعد أن ينتهي يصعد إلى الكاريتة ليعبر الجسر ويكمل الطريق ، وينعدم المطر تماماً فور عبورهم الجسر ؛ ينظر عابد أمامه ليتطلع إلى المكان الذي عبروا إليه ، فيجد الأرض جافة ولونها يميل إلى الأحمرار، فيسأل مصطفى متهكماً :

هو الشتا ماجاش هنا ولا ايه ؟

مصطفى: ما احنا كل ما بنقرب من السور الفقر اللي وراه الناس السو ، خير ربنا بيتقطع والدنيا بتتخنق .

ثم يشير بإصبعه إلى سور بعيد جداً عالٍ ، ثم يقول :

هو ده يا سيدي ،آخر البلد هنا السوق اللي احنا رايحين له ده ، وبعد كده السور ده ، ووراه أشر خلق الله وأغناهم، ربنا يكفيك شرهم .

تنقبض نفس عابد لهذا الكلام ولكنه ينظر حوله فيجد تزايد عدد المتاجر وكثرة التجار الذين يفترشون الأرض بمختلف أنواع السلع ، وتقترب الكاريتة من مكان واسع يتجمع فيه أصحاب الدواب ومختلف أنواع الحيوانات والطيور ، فيرى عابد رجلاً يضع قرداً في قفص ، وآخر يعرض مجموعة من الكلاب الصغيرة والقطط والببغاوات ، وبعد مسافة قصيرة تفترش نساء قرويات الأرض يبعن الطيور ، فتطلب السيدتان من مصطفى التوقف وتقومان للنزول وتزيحان المشمع وتهبطان السلم ومعهما الرجل العجوز والطفلة الصغيرة ، ثم تستمر الكاريتة في السير حتى تصل إلى مكان واسع آخر يحوي أصحاب البقر والماعز والماشية ، فيتوقف عنده مصطفى ثم ينادي بصوت عالٍ :

يا حلمي يا زمار ، يا حلمي يا زمار .

ويخرج من وسط الجموع الحاشدة التي تثير الأتربة الحمراء حولها رجل تبدو عليه ملامح الطيبة ويأتي جرياً ، وما أن يصل إلى مصطفى حتى يقول له حلمي الزمار :

خير يا ريس مصطفى .

مصطفى : خلي بالك معايا ، محمد ابن الشيخ عبد الهادي معايا ، والبقرة اللي مربوطة في الكاريتة دية هو عايز يبيعها ، خليك معاه لغاية ما ربنا يوفقه ، وبعد ما ياخد الفلوس تخليه جنبك لغاية ما أرجع وآخده وأرجّعه لحد البيت ، الجو وحش وربنا يخليك دي أمانة .

حلمي الزمار : **يا ناس حرام عليكم ده عيـــل صــغير ، والحرامية والنصابين هنا أكتر من اللي بيبيعوا وبيشتروا .**

يرد عليه محمد برزانة وهدوء قائلاً :

أمي مريضة وأبويا مايقدرش يسيبها ، وأنا مــش ولــد وصغير ،أنا راجل يعرف يتوكل على ربنا .

يقترب منه حلمي الزمار ويصعد السلم ويُقبِّل رأسه معتذراً ويربت على كتفه، فيقوم معه محمد بينما هو يحل رباط البقـــرة من الكاريتة وهو يغمغم قائلاً : (**ربنا يستر**) ثم يودع حلمي الزمار مصطفى الذي يقرع بالسوط في الهواء لتبدأ الكاريتة في التحرك .

٢- في السوق

أخذ محمد يخطو أولى خطواته مع حلمي الزمار داخل السوق الذي يدخله لأول مرة بدون أبيه ، فيرى كل شيء بمنظار مختلف ، حيث كان في المرات السابقة حريصاً على أن يتبع أبيه باستمرار ولا يترك له هذا فرصة كافية ليتأمل كل شيء ، فتعمد أن يبطئ من خطواته ولمح حلمي الزمار ذلك فسار وراءه وهو يسحب البقرة ويتوقف كلما توقف ويتحرك كلما تحرك ، فأخذ محمد يتأمل الحيوانات الأليفة المعروضة في الأقفاص ، فإذا به يداعبها بشغف إلا أنه لفت نظره أصوات متوحشة تثير الرعب من مجموعة أقفاص تبعد عنه عدة خطوات, فتقدم تجاهها بحذر وفضول وما أن اقترب حتى وجد مجموعة من الدببة الصغار المتعاركين داخل قفص من الأقفاص الكبيرة ، و في قفص آخر بعض الضباع التي هي مصدر هذا الصوت الوحشي وهي تتجاذب فيما بينها قطعة لحم كبيرة والدم يغرق وجوهها ، وفوق هذا تطل لافتة كُتِبَ عليها (حيوانات للسيرك) ، فألحت على محمد فكرة أن يخطو داخل هذا المكان المثير ، فيتقدم عدة خطوات إلا أن حلمي الزمار يستوقفه وهو يربت على كتفه قائلاً :

بعد ما نبيع البقرة هأجيبك تتفرج هنا .

فيبتسم له محمد مظهراً عدم ضيقه، ويسحب حلمي الزمار البقرة وراءه متجهاً ناحية مظلة كبيرة كتب عليها (ماشية للمزاد والبيع) ، يخطو حلمي الزمار بخطوات واسعة وهو يدور بعينيه في كل الاتجاهات ويتبعه محمد الذي يتفحص كل شيء حوله بسرعة حيث لم يأت مع والده إلى هذا المكان من قبل ، فيلحظ أن المكان مقسم إلى حظائر صغيرة ، كل حظيرة تحمل رقم وبداخل كل منها نوع من أنواع الدواب معلق عليها لافتات صغيرة تحوي اسم مالكها والثمن المطلوب فيها ، وسرعان ما يجد حلمي الزمار ما يبحث عنه ، فيتجهان إلى رجل تبدو عليه ملامح الطيبة والوقار جالساً أمام منضدة عليها دفتر يسجل فيه شيئاً وأمامه رجل في يده كبش ، ويمد الرجل الجالس يده ليتناول من خلفه رقماً وحيداً مُعلقاً خلفه على الحائط ولافتة يعلقها في رقبة الكبش ، وما أن ينتهي حتى يرفع بصره ليجد حلمي الزمار واقفاً أمامه ، فيترك حلمي الزمار البقرة ويجرى ليسلم عليه مقبلاً يده قائلاً :

ربنا يباركلنا فيك يا شيخ مرعي ، والله أنا قاصدك في خدمة ، ده محمد ابن الشيخ عبد الهادي الشاذلي ، والشيخ بعت معاه البقرة دي عشان عايز يبيعها .

يهب الشيخ مرعي واقفاً ويتقدم تجاه محمد ليقبل جبهته ويقول له : **ربنا يطرح فيك البركة يا ابني ، انت أبوك راجل صالح وخيره على البلد كلها ، أنا باجي أصلي عندكم في الجامع ووالدك مُعلم وصديق .**

ينظر الشيخ مرعي إلى عامل من العمال فـيفهم العامـل في صمت ما يريده الشيخ مرعي ، فيجري مسرعاً ويعود حـاملاً كرسيين يضعهما بجانب محمد وحلمي فيجلسان شاكرين إياه ، فيسألهما عن ماذا يشربان فيطلبان كوبين من الشاي ، ويـشير إليه الشيخ مرعي بعلامة عدم احتياجه إلى شيء يشربه فيذهب مسرعاً ، ثم يخاطب الشيخ مرعي محمد قائلاً :

كده أبوك زعق وقال محمد راجل ، وإن شـاء الله ربنـا يسهل وتجيب سعر كويس .

يلتفت الشيخ مرعي محدثاً حلمي الزمار وقد ظهرت عليـه علامات الحيرة :

أنت شفت الراجل اللي كان معاه الكبش ، ده أخد آخر حظيرة فاضية، لكن مؤقتاً هنعلق سعر على رقبتها وتقف بيها في الساحة يمكن ربنا يسهل وحد يشتريها أو ندخلها مـزاد قبل ما حظيرة تفضا.

يتناول الشيخ مرعي لافتة فارغة سـوداء ويمـسك بعـود طباشير ويكتب عليها " الشيخ عبد الهادي الشاذلي " ثم يسأل محمد :

أبوك قالك السعر كام ؟

محمد : أبويا قال لي خلي المُشتري يقدر تمنها ،لأن إحنـــا عايزين البيعة دية بالذات تمشي بالرضا عشان ربنا يبارك في الفلوس ، لأنها رايحة في عملية وعلاج .

يكتب الشيخ مرعي **" يُترك الثمن لتقدير المشتري "** .

وما أن ينتهي من كتابته حتى تضرب ريح عاتية المكان كله, فتثور زوبعة هائلة من الرمال الحمراء التي تدور وتنتشر بسرعة فتُغشي العيون وتطمس الوجوه وتشتد قبضة حلمي الزمار على محمد ومقود البقرة ويحاول أن يستر وجهه بكتفه ليتقي الرمال التي تلسع كل ما يصادفها ، وتثور ثـــائرة الحيوانـــات كلـــها فتصدر أصواتاً صاخبة ، وتعم الفوضى المكان ، ويُتمتم الشيخ مرعي بآيات من القرآن سرعان ما تتحول إلى تلاوة بـــصوت عالٍ ويفعل مثله الكثيرون ، ويرفع محمد من على رقبته الشال الشفّاف الخاص بأمه التي أعطته إياه ليلف به وجهه إذا ثـــارت ثائرة الرمال ،يشعر محمد أنه الوحيد الذي يرى في هذا الضباب الأحمر ، ويشاركه شخص آخر الرؤيا مجذوب يفتح عينيه على آخرها لا يبالي بالرمال التي جعلت عينيه حمراوتين ويـــصرخ المجذوب ويقول :

خلي بالكم من اللي جايين من ورا السور مـــستخبيين في التراب.

وأثناء صراخ المجذوب إذا به ينظر مندهشاً وكأنه ينظر إلى ما يخرج من العدم ، ثم يتجه جرياً إلى المكان الذي كان يحدق فيه

فيه, فيخرج محمد من مكمنه تابعاً المجذوب تاركاً يد حلمي الزمار وتنفلت البقرة هي الأخرى وتتبع محمد وهي تموء بصوت عال، ومن وراء الشال الشفاف ينظر محمد إلى المجذوب ليجده يشير إلى دوامة رملية كالإعصار الصغير تدور بجنون ويصرخ المجذوب قائلاً :

المستخبيين في التراب اهُم طالعين .. طالعين عليكم يا مسلمين.

يحدق محمد في الدوامة الرملية ليجد أن كل ما يقوله المجذوب صحيح ، فهناك عشرات الأشباح تتحرك داخلها وشبح واحد ثابت يرتدي دثاراً رمادياً يخفيه تماماً يقف ساكناً وتدور حوله كل الأشباح المتحركة ، يأخذ المجذوب في الصراخ وهو يأخذ عصاته ويحملها بكلتا يديه ، ويلقي بنفسه داخل الدوامة ويضربها ضربات شديدة ولكنها تذهب سدى حيث اختفت الأشباح وبقيت الدوامة، وكلما ضربها المجذوب تأخذ في الخفوت والانعدام حتى تختفي تماماً ، ويقف المجذوب وهو يغطيه التراب ويصرخ قائلاً :

هتهربوا تروحوا فين ؟؟؟؟؟؟؟ أنا وراكم ، أنا مش هسيبكم .

وتأخذ العاصفة الرملية في الانحسار ويبدأ الناس في النظر بحذر حتى تنتهي العاصفة تماماً وتترك كل الأشياء خلفها مغطاة بطبقة رملية خفيفة حمراء ، ومازال المجذوب يبحث عن أشباحه

الهاربة وسط الناس التي بدأت في استعادة وعيها وحياتها من جديد وهم ينفضون عن أنفسهم الغبار الأحمر ، ولا يحتمل الناس صرخات المجذوب الذي يبحث عن أشباحه الضائعة وهو يدور حولهم بجنون ،فيأخذون في دفعه بعيداً عنهم الواحد تلو الآخر ، فيقع هذا في نفس محمد موقعاً مؤلماً حيث أنه رأى ما رآه المجذوب وهو يعرف أنه صادق ، فيندفع محمد تجاه المجذوب ليأخذه بعيداً عمن يدفعونه ، ولكنه يسمع صوت بقرته تموء من خلفه فيلتفت إليها ويمسك مقودها ويسحبها خلفه وهو متجه ناحية المجذوب وعلى وجهه علامات الغضب, وما أن يدخل محمد ومن خلفه البقرة في زحام الناس ويصل إلى المجذوب الذي يضربه الناس حتى تثور ثائرة البقرة وكأن أصابها مس من الجنون فتنطلق هاربة من يد محمد لتدهس كل من يحيطون به هو والمجذوب ، ويسود في السوق هرج وفوضى داهمة تجذب نظر حلمي الزمار والشيخ مرعي اللذان يبحثان عن محمد وبقرته ، فينظر حلمي الزمار تجاه الزوبعة التي تثيرها البقرة ، فيرى بقرة محمد والناس تهرب منها ، ومحمد والمجذوب منضمين إلى بعضهما ، فيصرخ حلمي الزمار منبهاً الشيخ مرعي وهو يقول :

محمد والبقرة أهم عند المجذوب .

ثم يتجه حلمي الزمار جرياً ومن خلفه الشيخ مرعي بخطوات واسعة تجاه محمد والبقرة وما أن يصلا حتى يلقي حلمي بنفسه على البقرة التي تدور وتضرب الناس ويتعلق

برقبتها ، فتخف حدة ثورتها قليلاً ، فيتجه محمد ماسكاً مقودها ويقف أمامها المجذوب وهو باسط ذراعيه مشرعاً عصاته في الهواء ، فتنصاع البقرة لمحمد ويترك رقبتها حلمي الزمار ، ويربت الشيخ مرعي على كتف محمد قائلاً :

الحمد لله إن انت بخير .

ثم يمسك الشيخ مرعي بيد محمد ويتجهان إلى خيمة السوق الكبيرة ومن خلفهما حلمي الزمار وهو يسحب البقرة ، ومن على بعد يتبعهما المجذوب وكأنه لا يريد أن يلحظ وجوده أحد وأثناء الطريق يسأل محمد الشيخ مرعي :

هو المجذوب كان خايف من إيه ؟

الشيخ مرعي : هو طول عمره كده ، أول ما تقوم عاصفة فيها شوية تراب يقعد يصرخ ويقول أنه شاف أشباح طلعت من التراب .

فيقاطعه حلمي الزمار قائلاً :

لكن احنا بناخد بالنا يا شيخ إن بعد كل مرة تحصل مصيبه بعد ما يقعد يصرخ ، مرة يتخطف عيل ، ومرة يتسرق من حد حاجة ، ومرة يا شيخ مرعي لو تفتكر من زمااااان لقينا واحد غريب مقتول والتراب مغطيه بعد العاصفة ما خلصت والمجذوب واقف قدامه وبيصرخ وبيقول قتلوه ولاد الحرام ، قتلوه اللي جم من ورا السور .

محمد : هم مين دول اللي بييجوا من ورا السور ؟

ينظر الشيخ مرعي شذراً خلفه إلى حلمي الزمار ثم يرد على محمد قائلاً :

دور الطناوية الغربيين دول ناس أغنياء ولاد حرام ربنا يكفينا شرهم ، وكل ما تحصل مصيبة المجذوب وغيره من أهل البلد كتير بيعتقدوا إنهم بيحولوا نفسهم لأشباح ويستخبوا في التراب ويعدوا علينا عشان احنا غلابة ومش هنقدر عليهم .

محمد : لكن أنا شفت اللي شافه المجذوب ، شفت فعلاً أشباح طالعة من دوامة تراب وطلعوا يجروا من الدوامة واختفوا وسط الناس وكان فيه شبح واقف ما بيتحركش أول ما دخل المجذوب في الدوامة حصل حاجة غريبة قوى ، الشبح ده فرد ايديه على آخرها وحضن المجذوب وكأنه اختفى جوة منه ، والخرج اللي شايله المجذوب طار في الهوا والشبح حط ايده جوة منه ، وبعد كده رجعه على كتف المجذوب تاني.

يتوقف الشيخ مرعي ويتقدم حلمي الزمار من الخلف وينصتان إلى ما يقوله محمد باهتمام ، وبعد أن ينتهي محمد من كلامه يقول له الشيخ مرعي وعلى وجهه علامات القلق :

أنت شفت ازاي الكلام ده هو في حد كان عارف يفتح عينيه.

يرفع محمد الشال الشفاف من حول رقبته ليريه إلى الشيخ مرعي قائلاً :

أنا كنت لافف وشي بالشال بتاع أمي وكنت ماشي ورا المجذوب .

يلمح حلمي الزمار المجذوب وهو يقف على مقربة منهم منكسراً ، مستنداً على عصاته ، وبلا تفكير يشير إليه حلمي الزمار ويدعوه إلى أن يقترب منهم ، ويراه الشيخ مرعي فينظر إليه مرة أخرى شذراً ؛ يقترب منهم المجذوب وقد فقد همته التي كان يضرب بها الدوامة الرملية ، وصار كأنه أصبح أكبر سناً وأكثر هماً وعبطاً ، وأخذ يقترب أكثر وأكثر وعلى وجهه ابتسامة يوجهها إلى محمد وهو يركز بصره عليه ، فينظر إليه محمد مبتسماً فيقترب منه المجذوب وهو يقبل رأسه قائلاً :

انت الولد الطيب ابن الراجل الطيب ، وانت معاك أسد.

يقول ذلك وهو يشير إلى البقرة ، ويتجه إليها ليربت عليها ويقبلها ولكن البقرة تتململ وتثور قليلاً ،فيبتعد عنها المجذوب ويتجه إلى محمد ويجلس على الأرض أمامه ، فيسأل الشيخ مرعي المجذوب قائلاً :

انت بقى شفت ايه بيخرج من التراب ؟

ينظر إليه المجذوب متخوفاً وقد ارتسم على وجهه علامات الجزع والرعب ويقول :

أنا ما ثوفتث حاجة ، أنا ماثفتث حاجة أنا مـــث عـــايز اللاجل ده .

الشيخ مرعي : شوف بقى اهو ساعة الجد ابتدا في العبط, شوف بقى بيتكلم ازاي ، عامل عيل صغير .

يضع عصاته أمام وجهه ويبدو للجميع أنه خائف من الشيخ مرعي ، فيربت محمد على رأسه قائلاً :

انت خايف من مين ؟

ينظر المجذوب تجاه الشيخ مرعي وهو مـــازال مختبـــأً وراء عصاته وينظر محمد معه ليرى الشبح الساكن الذي كان يتوسط الدوامة الرملية واقفاً فارداً ذراعيه خلف الشيخ مرعي وكأنـــه يهدد المجذوب حتى لا يتكلم ، ولكنه يختفي فور أن يبدأ محمد في الإشارة إليه قائلاً :

بص وراك يا شيـــــ.......

ينظر الشيخ مرعي وراءه فلا يجد أحداً ، ثم يقول لمحمد :

بص يا محمد انت ما تقولش الكلام ده لحـــد ، أحـــسن الناس هنا عقلهم صغير ، والمجذوب اللي جنبـــك ده كـــان

بيحكي كتير في حاجات زي كدة لغاية ما بقى حاله زي ما انت شايف .

حلمي الزمار : وخلي بالك الناس اللي ورا السور دول الشيخ عبد الهادي أبوك أكتر واحد عارفهم ، لأنكم كنتم منهم لكن الشيخ عبد الهادي مارضاش لنفسه ولا لك انت وأمك انكم تعيشوا وسطيهم وجه عندنا هنا وبنى البيت والمسجد .

ينظر الشيخ مرعي إلى حلمي الزمار للمرة الثالثة بنظرة تحذير هائلة ويناديه وينتحي به ركناً بعيداً ليحدثه قائلاً :

انت بتفتح عينين الولد على الحاجات دي ليه ؟ ده لسة صغير وأول مرة يخرج لوحده ، انت عايز تعقده في عيشته .

حلمي الزمار : سامحني يا عم الشيخ ، أنا قلت ده بقى راجل كبير ولازم يعرف كل حاجة .

الشيخ مرعي : هيعرف كل حاجة في أوانها ، بس ما لكش انت دعوة .

حلمي الزمار : سامحني يا عم الشيخ ، مش هتكلم تاني في أيها حاجة .

في تلك الأثناء يقول محمد للمجذوب :

أنا شفت كل الحاجات اللي انت شفتها ، حتى الشبح اللي كان واقف ورا الشيخ مرعي .

المجذوب : أنا ماثفتش حاجة .

يعود الشيخ مرعي وحلمي الزمار إلى محمد ، ويمسك حلمي الزمار بمقود البقرة ويسيرون تجاه الساحة الكبيرة ، ويسير المجذوب بجانب محمد ، فيقول الشيخ مرعي للمجذوب:

روح لحال سبيلك بقى يا أدهم .

المجذوب : لا أنا هخلي بالي على الولد الطيب والأسد بتاعه.

محمد : خليه معانا مش هيعمل حاجة .

يقترب الجميع من الساحة الكبيرة ، فيقول الشيخ مرعي لحلمي الزمار :

خد محمد وروح معاه الساحة وخليك جنبه لغاية ما يبيع البقرة ويقبض تمنها وبعدين تجولي تاني .

حلمي الزمار : حاضر يا مولانا ، يلا يا محمد علشان ناخد مكان كويس يطل على الشارع ، كده الرايح والجاي يشوف البقرة بتاعتك وربنا يسهل .

يتجه حلمي الزمار ومحمد إلى أطراف الساحة من الناحية المطلة على الطريق وقد بدأت الحياة تعود إلى طبيعتها بعد انحسار العاصفة الرملية ، وسرعان ما يفسح حلمي الزمار مكاناً لمحمد وبقرته ومن خلفهما المجذوب ، ويجلس حلمي

الزمار على صخرة كبيرة هو ومحمد وعلى الأرض على يمين محمد يجلس المجذوب وإلى اليسار تقف البقرة ، يبدأ حلمي الزمار في المناداة على البقرة فيقوم واقفاً قائلاً بصوت عالٍ :

قرب يا جدع البقرة المبروكة ، بقرة الشيخ عبد الهادي ، تعالى وشوف بنفسك .

يكرر حلمي الزمار نداءاته ويلقي العابرين نظرات متفرقة على البقرة ولكنهم يسيرون غير مبالين ، يجد محمد أنه لا طائل مما يفعله حلمي الزمار فيقول له وهو يضحك على طريقته في النداء:

اقعد يا عم حلمي انت عامل دوشة ومافيش حد هيشتري بالطريقة دي ، الأحسن إنك تقعد تعزفلنا شوية على المزمار بتاعك .

فيجلس حلمي الزمار في مكانه ويمد يده في صدرية جلبابه ليخرج مزماراً شكله جميل ويبدأ في عزف خافت لا يكاد يسمع وسط صخب الذين يبيعون ويشترون في الساحة ، وبالتدريج يأخذ هذا الصخب في الاستكانة لعزف حلمي الزمار الذي أخذ يعلو تدريجياً ، فتتم المعاملات في هدوء أكثر وانفلات أعصاب أقل ، وكأنما تحمل تأوهات المزمار طيفاً ملائكياً يغشي الناس جميعاً ، إلا أنه يقطع عزف حلمي الزمار صوت طبلة تدق بانتظام ويصاحبها صوت بوق عالٍ وينطلقان معاً في إيقاع واحد متكرر ويبدأ الصوت في الاقتراب

تدريجياً ، فيقوم المجذوب من مكانه متقافزاً وهو يصفق بيديه قائلاً :"**الحاوي جاي علينا ، الحاوي جاي علينا** " ، فتثير كلماته فضول جميع الأطفال الذين يصطحبهم ذويهم فيأخذون في التهليل والفرحة ويطلقون صرخات كصرخات المجذوب ، وتتطلع أعناقهم تجاه مصدر الصوت ، وسرعان ما تظهر الأعلام الملونة التي تصاحب موكب الحاوي في الأفق ، وتقترب الضجة الهائلة التي تهز كيان كل الموجودين ليتوقف البيع والشراء فتتشكل دائرة واسعة لتستوعب موكب الحاوي الذي صار واضحاً وجلياً للعيان ، فترتسم علامات التعجب والانبهار على محمد وهو يرى موكب الحاوي لأول مرة ويلمح حلمي الزمار ذلك ، فيقترب من محمد ويتبعه حتى لا يغيب عن نظره ويعيد الناي إلى صدريته ويقبض على مقود البقرة بيده ، وسرعان ما يصل الحاوي ويبدأ في تنظيم أشيائه وفي لحظات يشيد مسرحاً صغيراً للعرائس التي تخلب لب الأطفال والكبار فيصطف الأطفال جالسين أمام المسرح ويجلس أمامهم المجذوب مبتسماً سعيداً متشوقاً أكثر منهم إلى المفاجآت التي سيقدمها الحاوي ، وبين الحين والآخر يصفق بيديه مظهراً سعادته ، وخلف الأطفال يصطف الكبار الذين وجدوا في تلك اللحظات مهرباً من العمل المستمر ورابطاً يعيدهم إلى طفولتهم الغابرة ، فينتقي حلمي الزمار مكاناً متقدماً لمحمد خلف المجذوب مباشرةً ، ويقف هو في أول صف مع الكبار وعيناه مثبتة على محمد ويديه تقبض على مقود البقرة .

ويتقدم أمام المسرح رجل طويل يرتدي بنطالاً أسود وحذاء برقبة مرصع بأزرار نحاسية في كل جانب ، وقميصاً أحمر حريرياً فضفاضاً ، وحول رأسه عصابة سوداء يجمع بها شعره الأسود اللامع الطويل ، ثم يقول بحركات استعراضية :

النهاردة عمكم الحاوي هيعلمكم أصعب حاجة في الدنيا، ازاي نرجع اللي راح ونجيب اللي فات ، ازاي نبقى احنا ومافيش حد إلا احنا.

يصنع الحاوي حلقة بإصبعيه ثم يقربها من فمه وينفخ فيها بهدوء فتخرج حمامة بيضاء جميلة لها تاج تطير برقة في الهواء ، فيصفق الحاضرون ، ثم يأتي حاوٍ آخر ينظر بإعجاب إلى الحمامة التي تحلق فوق الحاضرين وكأنها تنتظر شيئاً ما ، ثم ينظر الحاوي الثاني بتحدٍ إلى الحاوي صاحب الحمامة قائلاً :

الحمامة دي عجباني وأنا هاخدها .

الحاوي الأول : الحمامة دية بتاعتي ومش ممكن تاخدها .

الحاوي الثاني : هاخدها غصب عنك .

ثم يصنع الحاوي الثاني حلقة بأصبعيه ينفخ فيها بقوة شديدة حتى يحمر وجهه وتكاد أنفاسه تنقطع ، ليخرج من الناحية الأخرى صقر ضخم مخيف يرتفع إلى الأعلى بسرعة البرق ثم يهبط موجهاً مخالبه إلى الحمامة الوديعة المحلقة بهدوء ، وفي لمح

البصر يصنع الحاوي صاحب الحمامة حلقة بأصبعيه فتتجه الحمامة إلى يده لتدخل في الدائرة فتخرج من الناحية الأخرى تنيناً صغيراً أحمر اللون ذيله أسود على شكل رمح يتلوى وينفث النار من فمه ويخرج متجهاً إلى الصقر الهابط بلا تحكم ،وما أن يقترب منه حتى يغرس في بطنه ذيله الذي على شكل رمح ، وما أن ينغرز في ذيله الصقر حتى يقربه من فمه فينفث فيه النار ليحرقه ، ثم يلقي به على الأرض أمام صاحبه ، وبعد أن يفرغ يصنع له صاحبه بإصبعيه دائرة أخرى فيمر منها ليخرج من الناحية الأخرى حمامة أجمل وأكبر ، وفي تلك الأثناء ينظر الجميع مندهشين وكأن على رؤوسهم الطير من شدة الذهول ، ولكنهم يستفيقون على جمال الحمامة التي عادت مرة أخرى ، فيصفق الجميع بحرارة شديدة ، فيحييهم الحاويان بانحناءات متكررة ، وبعد أن ينتهي التصفيق يتقدم الحاوي الأول قائلاً :

اللي فهم اللي شافه يتفضل يمشي ، واللي مافهمش يستنى.

ينتظر الجميع في أماكنهم مما يدل على عدم استيعابهم بعد لكامل المعنى المقصود ، ثم يختفي الحاويان خلف مسرح العرائس الصغير .

وينفتح الستار ليبدأ العرض وتصاحبه موسيقى ذات إيقاع خافت رومانسي ، فتخرج عروس خشبية تحركها الخيوط على

شكل فتاة جميلة ولكن عيونها بيضاء مما يدل على أنها عمياء تتحسس طريقها ، ولكنها تقع وتتعثر عدة مرات حتى يخرج إليها ولد خشبي جميل يساعدها ويرشدها ،ثم يقول لها :

لقد أحببتك ، وأقدر أن أعيد إليك بصرك .

الفتاه الخشبية : لا أظن أن هذا ممكن .

الولد الخشبي : كل شيء ممكن ، بالحب سأمنحك أجمل الأشياء عندي ، سأهبك قلبي المبصر دائماً .

يضع الولد يده في صدره ليخرج قلباً له عينان ، ثم يضعه داخل رأس الفتاة فيتحول بياض عينيها إلى بياض يحوي مقلتين شديدتي السواد ، تتقافز الفتاة فرحة فتحتضن فارسها لتستغرقهما قبلة طويلة ينتهيان منها وأيديهما متشابكة ، ثم تتغير الخلفية لتظهر عدة أماكن تمرق من خلفهما لا يتمتع بها إلا المبصرين كالسنيما والملاهي والسيرك ،يدوران في كل هذه الأماكن ويتمتعان بها ، وبعد أن ينتهيا من الاستمتاع بكل هذه الأماكن الجميلة ، يخرجان للتمشية ، وفي الطريق تقع عيون الفتاة الجديدة على شاب يركب حصانه يدخل المكان وهو يتهادى ، تنبهر الفتاة به وتُعَلِّق عينيها عليه ، وما أن يلمح هذا الإعجاب البادي منها ، حتى يترك كل شيء ويتجه إليها فيأخذ بيدها ليركبها خلفه على حصانه ، يأخذها معه ليدخلا كل الأماكن التي دخلتها مع حبيبها صاحب القلب المبصر

الذي يتركاه فاقداً حبه وحيداً لا يجد إلا البكاء لـه رفيقـاً ، وأثناء بكائه يدخل إلى المسرح رجل عجوز خشبي يربت على كتف الولد وهو يقول :

لماذا تبكي يا بُنيّ ؟

يرفع الولد عينيه المغرقتين بالدموع ليقول للرجل العجوز :

حبيبتي كانت عمياء حتى منحتها قلبي المبصر ، وبعـد أن أبصرت اختارت غيري و تركتني بعد أن أخذت قلبي معها .

الرجل العجوز الخشبي : مادمت تبكي فأنـت مازلـت متحكماً في قلبك ، وما دمت متحكماً في قلبـك ، فأنـت متحكماً فيمن تراها حبيبتك .

يمسح الولد دموعه بعد أن أثار كلام الرجل العجوز انتباهه ثم يقول :

ماذا تقصد ؟

الرجل العجوز: يمكنك أن تريها كل ما رأته جميلاً معـك قبيحاً مع حبيبها الجديد .

الولد الخشبي : وهل سيفلح هذا ؟

الرجل العجوز : جرب وسترى أن هـذا أقـوى مـن السحر.

الولد الخشبي : ولكن كيف أفعل ذلك ؟

الرجل العجوز : ألا تحبها وتتمنى أن تريها كل خير .

الولد الخشبي : نعم .

الرجل العجوز : استمر في حبها كما أنت ولكن تمنى أن ترى كل الشر بدونك .

ينتهي العجوز من حديثه وينسحب مختفياً خلف أستار المسرح، يعي الولد ما قاله العجوز فيقوم واقفاً قوياً متخلياً عن الانهزام والانكسار محققاً في خلفية المسرح التي تحوي السينما والملاهي والسيرك ، فإذا بالسينما تتحول إلى مكان يشع اللون الأحمر ولهب النار يخرج منها ، وشياطين بقرون صغيرة تصرخ, والسيرك يمتلئ بحيوانات شكلها مرعب ووحوش تهاجم الناس تقتلع رؤوسهم ، وسرعان ما يخرج الفارس راكباً حصانه وخلفه الفتاة ، وفور أن يخرج يلقي بالفتاة من على حصانه ، ثم يقول لها :

وشك نحس ، كل حاجة ولعت من وشك الفقر ، غوري بعيد عني .

يغادر الفارس المكان بسرعة وتدفن الفتاة وجهها في الأرض مسترسلة في بكاء حارق ، فيتجه إليها الولد صاحب القلب المبصر ليربت على كتفها ، فترفع عينيها لتقول له فور أن تراه :

أنا لا أستحق كل هذا الحب منك ، ولا أستحق أن أكون مبصرة .

تمد العروس الخشبية يدها إلى رأسها لتخرج القلب المبـــصر وتعيده إلى صدر صاحبه ، فتكف عن البكاء ويعود إليها بياض عينيها، ثم تقوم لتتحسس طريقها مرة أخرى وتتعثر وتقـــع ثم تختفي داخل أستار المسرح، ثم ينغلق الستار على الولد صاحب القلب المبصر وهو ينظر إلى الخلفية ليجد أن كل شيء قد عاد مرحاً مرة أخرى .

ينغلق الستار وسط تصفيق حار من المتحلقين حول المسرح, وسرعان ما يسحب الحاويان المـــسرح مـــن وســـط حلقـــة المتفرجين, ثم يظهر الحاوي ليقول :

فهمتم كل حاجة ولا لسة ؟ ... دلوقتي هنشوف اللـــي ماحدش هيفهمه أبداً .

وفور أن ينتهي من كلامه تظهر فتاة ترتـــدي رداءً لامعـــاً مفتوحاً من الجانبين وتظهر ساقيها في إغراء ، تحمل في يـــدها بالونة كبيرة تضعها على الأرض ، ويلحظ جمهور الحاضـــرين شيئاً غريباً يدفعهم إلى التصفيق والتحاور فيما بينهم ، فالبالونة بالرغم من الريح الشديدة ثابتة ومستقرة في مكانها لا تتمايـــل مع دفعات الهواء لها ، ثم يأتي الحاوي في حركة مسرحية مخاطباً الجميع قائلاً :

دلوقتي لعبة الشجاعة ،لعبة الرجال والرجال بس ، أنا عايز راجل ابن راجل يقف على البالونة دي .

يقوم المجذوب من مكانه فجأة وهو يتقافز فرحاً ويدور حول البالونة ويحاول لمسها ولكن الحاوي يبعده عنها ،فيقول المجذوب :

أنا عايس أقف على البالونة ... أنا عايس أقف على البالونة .

وتحت إلحاح الحاضرين على الحاوي يوافق للمجذوب أن يقف على البالونة ، فيدور المجذوب في دوائر تدل على السعادة وهو يضحك بجنون ، وقبل أن تلامس قدمه البالونة ينظر إلى محمد نظرة خالية من البلاهة وكأنه استعاد وعيه في لحظة قصيرة يضع

خلالها يده في خرجه ليخرج قطعة حلوى يلقي بها إلى محمد, فيلتقطها محمد ويضعها في فمه ويبتسم له شاكراً ، ثم يرتد المجذوب إلى ضحكاته الجنونية ، ويقفز بكلتا قدميه على البالونة ليفرقعها فتنفجر تحت قدمه ويختفي المجذوب في الهواء ، يذهل الجميع للحظات قليلة متوقعين ظهوره مرة أخرى ولكن لا يحدث هذا ، فيسود الفزع وسط الجميع ويقفز الرجال فوق الأولاد محاولين الإمساك بالحاوي ومن معه الذين يختفون ويذوبون وسط الناس ويتكسر مسرح العرائس ، ويتلفت محمد

حوله باحثاً عن حلمي الزمار وبقرته ، فتقع عيناه على بقرتـه وهي تجري مع الناس الخائفين، فينطلق وراءها محاولاً الإمساك بها ولكنه لا يتمكن من ذلك إلا بعد أن يكون قد ابتعد عـن سوق المواشي ، فيقف وهو يمسكها يلتقط أنفاسه المتلاحقـة وينظر حوله فيجد الجميع منشغلين بالبحـث عـن المجـذوب والحاوي ، ويشعر بطعم غريب في فمه فيتذكر قطعة الحلـوى ويجدها قد تركت أثراً سيئاً على لسانه الذي أصـبح ثقـيلاً ، فيحاول أن يرفع صوته بالنداء ليبحث عن حلمـي الزمـار أو الشيخ مرعي ولكن يصدر عنه أصوات متقطعة غير مفهومـة ، فيبصق قطعة الحلوى من فمه لتقع على الأرض ويبتلعها التراب, وما أن ينظر أمامه حتى يرى رجلاً طويلاً ليس غريبـاً عليـه يرتدي دثاراً أسود ويشعر أنه رآه من قبل ، يتقدم تجاهه الرجل وعلى وجهه ابتسامة عريضة هدفها بعث الطمأنينة وسرعان ما يصل إلى محمد ويمد يده بالسلام ، فيسلم عليه محمد، فيقـول الرجل له :

أخوك الكبير عبد العال ، تاجر مواشي ، إلا قـول لي ، بكام المعزة دي ؟

يبادر محمد بالرد عليه وترتسم على وجهه ملامح التعجـب وعدم الرضا، ليقول له إن هذه ليست عنزة إنما بقرة ، ولكـن يعجز لسانه عن النطق بما يريد ، ويفاجأ محمد بأن الرجل يـرد عليه وكأنه قد قرأ أفكاره .

عبد العال : يا راجل هو ده بقر ؟ البقر كان زمان ، دية معزة بنت معزة ، حتى بص الثمن متروك لتقدير المـــشتري ، وأنا بقولك إن دية معزة ماتساويش أكتر من مائتين جنيه .

يلتقط عبد العال قطعة حير من الأرض و يكتب في خانـــة السعر المعلقة على رقبة البقرة " مائتان جنيه " ، ومحمد واقـــف مسلوب الإرادة تماماً، ولكنه يحاول النطق لكن لا يفلح, وكان يريد أن يقول إن البقرة ثمنها سوف يذهب لعلاج أمه ولهـــذا السبب تركوا خانة السعر خالية لأن والده يريد الرضـــا مـــن المشتري قبل الفلوس ليبارك فيها ربنا ، فيرد عليه عبد العـــال وكأنه قرأ أفكاره مرة أخرى ليقول :

وأنا يرضيني المائتين جنيه دول ، والفلوس دية مبروكـــة ، ولازم تنفذ كلام أبوك يا ابني ، وكمان عايز أقل لك حاجة ، أنا عمري ما قلت حاجة ونزلت الأرض ، المائتان جنيه دول هيكونوا فتحة خير عليكم وهيجيلكم أكتر من مليون جنيه ، اسمع اللي بقولك عليه واتكل على اللي خلقك .

يشعر محمد بمدى قرب كلام عبد العال من كـــلام أبيـــه ، ويخرج عبد العال ورقتين فئة المائة جنيه ليـــضعهما في جيـــب محمد العلوي ويمد يده ليأخذ مقود البقرة منه ، فيشعر محمـــد بخدر يسرى في يده التي تمسك بالبقرة فلا يقدر على أن يتشبث بها ، ويأخذها عبد العال ويمشي بها وهو يقول له :

صوتك يا ابني ، وما تنساش الشيء .. اللي أبوك قال لك عليه

يسير عبد العال منتشياً في الصحراء في عيصات الأتربة التي تتضارب مع بعضها وكأنه يعرف طريقه جيداً وسط هذا المجهول .. ويقتفي محمد مذهولاً مسحوراً وما زالت يداه معلقة في الهواء وكأنه ما زال يتمسك بعقود بقرته .. ومن بعيد يتراءى إلى مسامعه صوت حلمي الزمار وهو ينادي عليه .. فينبهه هذا من غفلته قليلاً فيستدير ناظراً إلى مصدر الصوت .. فيجد حلمي الزمار يأتي إليه جرياً وهو مبهور النفس متعثر الخطوات قائلاً :

بعتها بكام يا محمد ؟!

ينظر إليه محمد محدقاً فيه وكأنه يراه لأول مرة .. ويحاول للمرة الثالثة أن يتكلم ليرد عليه .. وينجح هذه المرة ويقول بصعوبة :

زي ما أبويا قال .. بعتها بالرضا .

تمد يد محمد [illegible] الهدوي ليخرج الملاليم جنيه .. وما أن [illegible] حلمي الزمار حتى يأخذ في الصراخ قائلاً :

يا نهاااااار أبوك أسود يا حلمي ... يا نهاااار أبوك أسود يا حلمي .. مين اللي اشتراها منك ؟؟؟ مين اللي اشتراها منك ؟؟؟

يرد محمد وهو يتأتأ في الكلام :

وواحد اسمه عبد العال ، قال إن دية معغزة .

حلمي الزمار : طويل واسمراني ، أيوة عرفته ده عبد العال الطناوي ، عبد العال النصاب ، انت عارف ده يبقى مين ؟ ده يبقى عمك أخو أبوك .

حلمي الزمار يأخذ محمد في يده ويتجهان جرياً ناحية السوق وحلمي الزمار يصرخ ويقول :

الحقوا يا ناس ، عبد العال النصاب سرق بقرة الشيخ عبد الهادي من ابنه محمد ، وقال له عليها دية معزة .

يكرر حلمي الزمار صراخه عدة مرات لتتزل كلماته كالأحجار على رؤوس رواد السوق وهم لم يستفقوا بعد مما شاهدوه يحدث للمجذوب وعلى رأسهم الشيخ مرعي الذي أمسك بكتفي حلمي الزمار وهو يستنطقه ليقول له ما حدث ، فيسرد له حلمي الزمار ما عرفه ، فينظر الشيخ مرعي إلى محمد ليجد أنه ليس على طبيعته فيكبح جماح نفسه حتى لا يصب عليه جام غضبه ، فيقول له وهو يحاول أن يتماسك :

انت عارف يا ابني مين عبد العال ده؟ ده عمك اللي أبوك متبري منه عشان نصاب وفاجر وساب العز والفلوس وجه بلك هنا وانت عمرك شهور ، لكن همَّ الكفرة مش

سايبنكم في حالكم ، عالعموم دية مش غلطتك دي غلطتنـــا احنا .

ثم يمد الشيخ مرعي يده في جيب صدريته ليخرج محفظـــة كبيرة سوداء ليأخذ منها رزمة نقدية كبيرة من فئة الخمـــسين جنيهاً يناولها لمحمد وهو يقول له :

الخمسة آلاف جنيه دول من تمن البقرة ، اديهم لأبـــوك وماتقولوش على أيها حاجة من اللي حصلت ، انت أمـــك تعبانة وهو مش ناقص ، وقوله إن باقي الفلوس عند الـــشيخ مرعي وبكرة هيكونوا موجودين ، ولو قال لك مين اللـــي اشتراها قول له إن أنا اللي اشتريتها بسبع آلاف جنيه .

وفي تلك اللحظة تقبل الكارتة التي يقودها مصطفى الـــذي يرفع صوته بالنداء على حلمي الزمار ومحمد ، فيشير إليه حلمي الزمار بأنهم قادمون ، ويقبّل الشيخ مرعي رأس محمد ويوصـــيه بألا ينسى ما قاله له ، ويأخذ محمد من يده متجهاً إلى الكاريتة فيجلسه بجانب مصطفى ويوصي مصطفى عليه وعلى ما يحمله من نقود ، وتغادر الكاريتة السوق عائدة إلى البلدة.

٣- كهف شمشون بشتك

بعد أن ينزل محمد مع حلمي الزمار يجران وراءهما البقرة ، ويغادر الكاريتة أغلب من فيها حيث لم يتبق إلا عابد وعم مشالي وأسرته فيقرع مصطفى بالسوط في الهواء ليبدأ الحصان في التحرك بخفة ورشاقة ، فترتج الكاريتة على الأرض الرملية المتعرجة ، فيخاطب مصطفى الحصان قائلاً وهو يشد لجامه قليلاً حتى يخفف من سرعته :

انت اتجننت ولا ايه ؟ مستعجل على ايه ولا فرحان إن الكاريتة فضيت .

ويجد عابد أن المجال يسمح له بأن يرمق سارية من طرف خفي ، فتبادله سارية النظرات بابتسامات خجلة رقيقة ، وينساب بينهما تيار رقيق من المشاعر الدافئة لا يلحظه أحد غيرهما ، حتى ينقطع هذا التيار ويتشتت دفئه في هذا الجو البارد على صوت مصطفى وهو يشير جانباً يقول :

انتوا هتنزلوا إن شاء الله عند الموقف اللي هناك ده بعد السور الأحمر ده ما يخلص ، آخر الكاريتة هناك .

فينظر عابد إلى الموقف الذي يظهر من بعيد فيجده فقيراً في حركته ومظهره ، ثم يرد عم مشالي على السائق قائلاً :

معلش يا ابني أنا راجل كبير ياريت تخش بينا جوة شـــوية وتترلنا عند بيت (شمشون بشتك) .

يجذب مصطفى اللجام بقوة لتتوقف الكاريتة فجأة ويـــرتج كل ما فيها ،ويقول مصطفى وقد بدا عليه الخوف والعصبية :

لا يا عم أنا مارحش هناك ، آخر الكاريتة الموقف .

عم مشالي : يا ابني ربنا يبارك لك أنا مش هقدر أمشي.

عابد : روح يا مصطفى مطرح ما بيقولك الراجل الكبير وأنا هديك عشرة جنيه زيادة .

يجذب مصطفى ذلك المبلغ الذي يعادل نصف يومينه ، فتبدو على وجهه ملامح الاقتناع ويقول لعابد :

ماشي كلامك يا دفعة ، بس انت باين عليك دفعة غني .

يقرع مصطفى بالسوط في الهواء لتكمل الكاريتة ســيرها ، إلا أن امتناعه في بادئ الأمر عن الذهاب إلى هذا المكان يـــثير قلق عابد فيسأله قائلاً:

انت ليه مش عايز تروح المكان اللي قال لك عليه عـــم مشالي؟

مصطفى : شمشون بشتك ده راجل ديله نجس ، وماحدش عارف له دين ولا ملة ، والناس بتقول إنهم بالليل بيـــسمعوا أصوات غريبة طالعة من عنده ، وناس بتقول إنه جاسوس ، لكن انتم ايه اللي موديكم عنده؟

ينظر عابد إلى عم مشالي ، فيرد عم مشالي قائلاً لمصطفى :

لينا عنده قرشين .

مصطفى : يبقى نأبك جه على شونة يا عــم الحــج ، ده راجل ضلالي وحرامي ، ده اللي خلانا مانقربش ناحية بيته, من زمان وأنا صغير كنت أسمع حكاية مشهورة قوي في البلد عن واد عبيط كان سايق كاريته زي دية ، وشمشون بــشتك ركب معاه وطلب منه يوصله لغاية بيته ، الولد بحسن نيــة وصله لغاية البيت ، وبدل ما يديله الأجرة ، لا الولــد ولا الكاريتة ولا الحمار رجعوا لغاية دلوقتي ، والأدهى من كده إن الخدام اللي شغال عنده في البيت أمه الله لا يرحمها كانت سحارة وسمعتها وحشة ؛ ما تــستعوض ربنــا في القرشــين بتوعك وبلاش تروح للراجل الخطر ده ، انت معاك بنــات وباين عليكم أغراب .

عم مشالي : ربك بيستر يا ابني ، واللــي يخــاف ربنــا مايخفش من حد.

يغمغم مصطفى قائلاً : **عندك حق .**

تعبر الكاريتة الموقف ويلاحظ عابد أنها كلما توغلت يزداد البؤس والفقر الذي يغطي وجوه الناس وملابسهم ، فنظــراتهم زائغة لا تكاد تستقر وكأنها تبحث عن شيء مفقود من زمــن

طويل ، ومن بعيد تظهر أشجار حمراء شكلها غريب ، تلتف أغصانها في الأعلى لتصنع قبة حمراء تخفي داخلها شيئاً ما ، تقترب الكاريتة تدريجياً من هذه الأشجار الحمراء وقبلها بقليل يتوقف مصطفى قائلاً :

البيت اهو عند الشجر الأحمر اللي هناك ده .

عم مشالي : طب ما تقربنا شوية يا ابني أنا راجل كبير .

يهز مصطفى اللجام ليتحرك الحصان إلى الأمام ، فيتحرك خطوات قليلة ثم يصهل ويرفع قائمتيه في الهواء حتى تكاد تنقلب الكاريتة ، فيربت عليه مصطفى وهو يتشبث باللجام, فيتراجع الحصان خطوات قليلة ثم يهدأ ، فيقول مصطفى لهم :

حتى الحصان خايف يقرب ، اتفضلوا انزلوا هنا .

يناول عابد مصطفى عشر جنيهات ،فيقول له مصطفى هامساً بينما يترل عم مشالي وأسرته من الكاريتة :

خلي بالك ياخويا من الناس دول ، هى البت الكبيرة حلوة لكن ماتوديش نفسك في داهية عشانها .

يرد عليه عابد بابتسامة ويشكره ويسرع بالترول من الكاريتة التي يلف بها مصطفى سريعاً ليخرج من المكان مخلفاً وراءه سحابة من الغبار الأحمر ، وما أن يغادر حتى يتقدم عم مشالي الجميع متوجهاً نحو المترل المغطى بأوراق الشجر الأحمر,

ويلاحظ عابد أنه كلما اقترب من المترل أخذ يدوي في أذنيه صفير ممتد يخترق رأسه حتى يواجه الجميع بوابة البيت الزرقاء الضخمة ، وتتوسطها رأس أسد نحاسية يمسك بها عم مشالي ويطرق بها عدة مرات ، وبعد لحظات قليلة ينفتح الباب ، ويظهر خادم أسمر قصير ذو ظهر محدب لا ينطق بأية كلمة ، ولكنه يستدير ويمشي أمامهم ، ينبهر الجميع بروعة الحديقة التي يعبرون خلالها والنوافير المتناثرة في أرجائها على أشكال فتيات عاريات كأنهن حيات حتى يخال لعابد أنهن يتبسمن له، فيحدق فيهم أكثر فيتعثر أكثر من مرة في الممشى المؤدي إلى المترل الذي تبدو عليه ملامح الفخامة والغنى ، ويصل الجميع إلى باب المترل ويمد الخادم الأسمر يده ليفتح الباب ويدخل ويرشدهم بإشارة من يده إلى غرفة يجلسون فيها مطلة على حديقة أخرى غير التي دخلوا منها ، يدخلون على حذر ، وسرعان ما يظهر رجل أشقر ذو عينين عسليتين خاملتين وعلى وجهه ابتسامة مرحبة ودودة ، ثم يمد يده مصافحاً عم مشالي ثم يسلم على الآخرين ويدعوهم إلى الجلوس ، يلحظ عابد الإضاءة الخافتة التي تعم أرجاء المكان ولكنه لا يعلم مصدرها ، وما أن يستقر الجميع جالسين حتى يبادرهم شمشون قائلاً :

تحبوا تشربوا ايه ؟ ..... انتم باين عليكم جايين من سفر طويل ، ده معاد غدا ، دقيقة واحدة ويكون الغدا جاهز .

عم مشالي : مالوش لزوم احنا مش عايزين نتعبك ، احنا جايينلك في خدمة ....

شمشون : خلي الكلام بعد الغدا .

ثم يدخل الخادم الأسمر حاملاً صنية عليها زجاجة ماء مثلج وعدة أكواب يضعها على المائدة التي تتوسط المكان ، ويصب الماء في الأكواب ، فيتهافت الجميع على الماء البارد ويستجمعون أنفاسهم من شتات الطريق ، وفي تلك اللحظة يدور في نفس عابد شعور بأن شمشون بشتك رجل لا غبار عليه ، وأن كل ما يحاك حوله من أقاويل ما هو إلا افتراءات كاذبة وإشاعات أطلقها عليه الحسالة من المتشردين الذين تعج بهم البلدة ، ولكنه يتعجب أيضاً ، فكيف لرجل ثري وراقي مثله أن يرتضي لنفسه بمجاورة هؤلاء الرعاع في تلك البلدة الفقيرة .

يستفيق عابد من أفكاره على صوت شمشون بشتك وهو يستأذنهم للحظات قليلة ، فيقوم ويتركهم وقد ارتوى عطشهم، فتبرز أفكار عابد على لسانه وهو يقول لعم مشالي :

أنا شايف إن الراجل كله ذوق وإنسانية ، وإن الكلام اللي بيدور حواليه ده كله غلط .

عم مشالي : أنا الزمن يا ابني علمني إني ما أحكمش على الناس إلا بعد ما أتعامل معاهم .

عابد : **بس العجيب في الموضوع أنه عايش هنا وسط الناس دول، لا هو منهم ولا همَّ منه .**

عم مشالي: ما تعرفش ظروف الناس إيه يا عابد يا بني.

عابد: بعني في سؤالك يا عم مشالي محيرني، إحنا جايين هنا ليه؟

عم مشالي: ما هو الفرح اللي إحنا رايحينه، الراجل ده اللي هو صاحبنا عنده.

عابد: هو ممكن الفرح قريب من هنا؟؟

عم مشالي: أيوة يا ابني جنبنا هنا.

عابد: طب ما نروح إحنا بمعرفتنا، هو الراجل ده فوق وكل حاجة، لكن لازم هو يودينا؟؟

عم مشالي: أصل الراجل ده من قرايب العريس، وإحنا جايين نعمل الواجب ولازم يبقى معانا حد يورينا السكة، وانت يا ابني مش غريب لوقتي عننا، وشايف إن أنا راجل كبير ما استحملش البهدلة، وربنا يعطيك لي وقت الزنقة، زي ما عرفنا بتمشون برخصة عشان يبقى معانا في السكة.

عابد: وانت عرفت تمشون منين؟؟

عم مشالي: ولاد الحلال اللي زيك كتير يا ابني، لما الناس عرفوا إن إحنا رايحين الفرح ده دلوني عليه وقالوا لي إن هو له سكة بيوصلنا منها بسرعة.

يدخل الخادم الأسمر ، مشيراً إليهم بالتقدم تجاه غرفة الطعام

يظهر شمشون بشتك من خلف الخادم مبتسماً وهو يقول :

اتفضلوا ، الغدا جاهز .

سارية : معقولة بسرعة كده ؟

شمشون : الحلل عندي هنا كلها برستو بتسوي الأكل بالبخار في عشرة دقايق .

يقول عم مشالي وهو يقوم من مكانه ومن خلفه عابد وسارية ورميسة .

ماشاء الله ربنا يزيد ويبارك.

يسير الجميع خلف شمشون بشتك والخادم حتى يصل بهم إلى ستارة حمراء من الخرز الملون يزيحها بيده فتحدث صوتاً مميزاً يداعب الأذن ، وبعد أن يدخل الجميع يترك شمشون الستارة لتعود إلى وضعها السابق محدثة نفس الصوت المميز ، وتقع أعينهم على مائدة ممتدة ، عليها من صنوف الطعام ما يزيد عن حاجتهم جميعاً ، فيقول لهم شمشون بشتك وهو يدعوهم إلى الجلوس :

اتفضلوا البيت بيتكم .

يجلس عابد وسارية بجانب بعضهما وأمامهما عم مشالي ورميسة ، وبجانب عابد يجلس على رأس المائدة شمشون بشتك,

يقول عابد :" **بسم الله الرحمن الرحيم** " فيقول الجميع مثلـــه ، ثم يمد عم مشالي يده ليتناول حمامة محشية ، فيتــرك شمــشون بشتك الشوكة والسكينة ويتناول الحمام بيده مثل عم مشالي ، ويفعل الجميع مثلهما ، يقدر عابد هذا التصرف الذي يدل على مراعاة شمشون بشتك لمشاعر الآخرين ، فيشعر الجميع أهم في مترلهم وينهمكون في الطعام إلى أن يشبع الجميع فيبـــدأون في القيام الواحد تلو الآخر ، فيرشدهم الخادم إلى مكان الحمـــام ثم يرشدهم إلى غرفة جلوس أخرى تطل على حديقة واسعة جميلة يتوسطها حمام سباحة تتناثر حوله تماثيل منحوتة بدقة بالغة من الجرانيت ، وبعد أن يفرغ الجميع من الطعام يقـــوم شمــشون بشتك من على المائدة مما يدل على كرمه وحسن ضـــيافته ، ثم يلحق بهم في غرفة الجلوس ، ويلفت نظر الجميـــع اللوحـــات المتناثرة على جدران الغرفة ، ويلحظ شمشون بـــشتك تركيـــز الجميع على اللوحات المعلقة فيتركهم يتأملونهـــا في صـــمت ، وبعد فترة يسألهم شمشون بشتك قائلاً :

ايه رأيكم ؟

عابد : أعمال جميلة ، و إحساسها واحـــد ، أعتقـــد إن شخص واحد هو اللي رسمهم كلهم .

شمشون : أنا اللي رسمتهم .

يبدو على الجميع ملامح الانبهار والإعجاب ، تقول سارية:

هي أعمال جميلة لكن أنا مش فاهمة حاجة .

شمشون : مش مهم إنك تفهمي المهم إنك تحسي .

عابد : أنا برضو حاسس ومش فاهم .

شمشون : طالما جيتم هنا يبقى قدامكم فترة صغيرة وهتعرفوا كل حاجة .

يجلس شمشون بشتك بجانب عم مشالي ، وأمامهما يجلس عابد وبجانبه سارية ورميسة ، ثم يسحب شمشون بشتك درجاً صغيراً من المائدة التي تتوسط غرفة الجلوس ليخرج صندوقاً خشبياً يفتحه وينهمك في التعامل مع ما أخرجه منه بكلتا يديه ثم يخاطب عم مشالي قائلاً :

أنا تحت أمرك اتفضل اتكلم في أيها حاجة انت عايزها .

ينظر عم مشالي إلى سارية ورميسة نظرة ذات معنى ، فيقومان من مكانهما متجهتين إلى الحديقة التي تطل عليها الغرفة, وما أن تخرجان حتى يفرغ شمشون بشتك مما انهمك في إعداده ، فيناول عم مشالي سيجارة ملفوفة ، يأخذها منه مبتسماً وشاكراً ، ثم يشعلها له شمشون ، وينهمك في إعداد سيجارة أخرى يلفها بسرعة ويناولها لعابد ، فيقوم عابد من

مكانه ليأخذها منه ، وأثناء إشعالها تقع عين عابد على قطعة حشيش كبيرة ، فتظهر على وجهه ملامح الانبهار بحجمها الكبير ، ويلحظ شمشون ذلك ، يعود عابد إلى مكانه ليجد عم مشالي يلتهم سيجارته التهاماً لدرجة أنه يشعل النار من جذوتها المتقدة ، ثم يقول لشمشون وقد بدأ التوهان يزحف على لسانه وعقله:

مش على الجوزة كان يبقى أحسن ؟

يرد عليه شمشون منهمكاً في إعداد سيجارة أخرى :

الموضة دلوقتي السجاير ، والجوزة هتخلي الناس تقول علينا حشاشين .

عم مشالي : على رأيك ، السيجارة دية جامدة قوي ، أنا حاسس إنك لافف فيها جوزة .

ينفجر عابد وشمشون في الضحك ، لدرجة أن تقع السيجارة التي يلفها شمشون من يده ، ويسقط رماد سيجارة عابد عليه مشتعلاً ، فيقفز عابد من مكانه حتى لا تحرق النار بذلته الميري ، فتطير الجذوة المشتعلة على عم مشالي فيقفز من مكانه بدوره لتقع على المائدة ، وقد انهمك الجميع في الضحك على ما يحدث ، وبعد أن يهدأ الجميع يعيد شمشون بشتك لف السيجارة التي كانت في يده ، وبعد أن ينتهي من لفها يضعها في فمه ويشعلها ويتناول سكيناً على شكل ساطور صغير يقطع

به من قطعة الحشيش الكبيرة قطعة صغيرة ، ثم يقسمها إلى نصفين ويناول عم مشالي قطعة وعابد قطعة وهو يقول لهما :

انتم ناس دماغكم حلوة ودية هدية صغيرة .

يتناولا ما أعطاه لهما شاكرين ، ويضع عم مشالي قطعته في جيب جلبابه الداخلي ، ويضع عابد قطعته في جيب بذلته العلوي ، ثم يبدأ عم مشالي الكلام قائلاً :

انت راجل أكرمتنا وأنا مش هلف وأدور عليك ، أنا معايا هدية فخمة عايز أقدمها للراسي طيور الطناوي في فرحه ، واحنا جايين عندك علشان تعدينا لحد عندهم ، واللي انت عايزه هتاخده.

ينصت شمشون لكلام عم مشالي باهتمام شديد ، ثم يقول له:

بس يعني أنا مش شايف إن معاك هدية ، هي فين ؟

يمتص عم مشالي نفساً أخيراً من سيجارته ثم يطفئها ، ويلتقط عصاته التي يضعها بجانبه ، وبالقرب من نهاية مقبضها يضغط على شيء ما لينفتح درج طويل في العصا يخرج منه أنبوب جلدي بطول الإصبع ، وما أن تقع عين شمشون عليه فترتعش السيجارة في فمه ويرتسم على وجهه ملامح الاهتمام والتعجب الشديد وهو يقول :

زئبق أحمر... !!

عم مشالي : زئبق أحمر فرعوني أصلي مختوم ، ما اتفتحش قبل كده ، بص ..

ثم يناول الأنبوب لشمشون فيتناوله بأصابع مرتجفة ويتأملـــه فلا يجد أثراً لأي خيط ، فالأنبوب مغلق مـــن كـــل الجهـــات بطريقة ما لا يعلمها إلا أصحابه الذين صنعوه ، ويقول شمشون وهو يتأمل أنبوب الزئبق الأحمر :

دي هدية غالية ونادرة ، لازم فعلاً تقدمها انت بنفسك، واللي أنا عاوزه علشان أوصلك لطيور الطنـــاوي ، نقطـــة واحدة من الأنبوبة دية .

ينتفض عم مشالي قائماً فيترع عابد من غفوته التي غـــشت كل حواسه ، حتى سيجارته التي أصبحت تحرق أصـــابعه ولا يشعر بها ، فيقوم عابد واقفاً هو الآخر ، وقد ارتخت أجفانـــه وأصبح لسانه ثقيلاً وهو يقول لعم مشالي :

اهدا يا عم الحج ، هو حصل ايه يعني ؟ يعني هو الزيبـــق الأحمر ده هيخسرنا بعض ؟ اقعد كده واسمع الراجل هيقول ايه ، أكيد مش هيضرك .

فيعود عم مشالي إلى جلسته وقد ارتسم على وجهه ملامح الضيق والغضب ، ثم يقول له شمشون بشتك :

اهدا يا عم مشالي ، أنا ليّ طريقة ماحدش يعرفها غـــيري آخذ بيها اللي أنا عايزه من الأنبوبة دية من غـــير مــا حـــد يعرف, حتشوف بنفسك .

يضع شمشون يده حول رقبته ليخلع سلسلة ذهبية يتدلى منها أنبوب ذهبي صغير يشبه أنبوب الزئبق الأحمر الجلدي ، يمـسك شمشون الأنبوب الذهبي ليقربه بحرص من أحد طرفي الأنبـــوب الجلدي ، ثم يدير حلقة صغيرة تقع عند أسفل الأنبوب الـــذهبي فيخرج سن رفيع لا يكاد يرى يخترق الأنبوب الجلدي ليخرج منه نقطة حمراء تستقر في قناة زجاجية تتوسط الأنبوب الذهبي, ثم يدير الحلقة مرة أخرى لينفصل الأنبوبان ، ثم يمد شمشون يده مناولاً عم مشالي أنبوبه الجلدي وهو يقول له مبتسماً :

ايه رأيك يا عم مشالي ، باين حاجة ؟

يخرج عم مشالي من ذهوله وخوفه القلق ، وهـــو يقلـــب الأنبوب بين يده وينظر في كلا الطرفين بدقة شديدة ، ولكنه لا يستطيع تحديد أي طرف أُخِذَت منه قطرة الزئبـــق ، ويقـــول متعجبا :

ده شغل أول مرة أشوفه .

يعيد شمشون ارتداء سلسلته ، ولكن بدون الأنبوب الـــذي يمسكه بأطراف أصابعه ، ويقول مشيراً إلى الأنبوب الذهبي :

المفتاح ده مايفتحش إلا أنبوب الزيبق الأحمـــر ، واللـــي صنعوه همَّ نفسهم اللي صنعوا أنبوبة الزيبق اللي معاك دي ،

الفراعنة ماسبوش حاجة إلا عملوها ، مافيش حد عنده المفتاح ده حتى طيبور الطناوي نفسه ، وعمري ما تخيلت ان أنا حاستخدمه ،لكن الخير جه على ايدك انت يا عم مشالي ، عارف أنا بفكر دلوقتي في ايه ؟.......

بفكر أعطي المفتاح ده هدية (للراسي) في فرحه ، لكن برضه اللي مخليني قلقان إنهم ناس أغبياء وجهلة وكل اللي يميزهم الفلوس اللي معاهم ، ومش عارف ممكن يحصل ايه لو اجتمع عندهم الهدية بتاعتي والهدية بتاعتك ، ممكن فلوسهم تزيد وغباؤهم يزيد وظلمهم يزيد ، لكن ممكن برضه بعد ما أقدم هديتي وانت تقدم هديتك الحال يبقى غير الحال ويسمحولي ابني بيت ورا السور في الناحية اللي عندهم ، الواحد يطلع على وش الدنيا ويبقى له ظهر جامد ، لكن ده طبعاً بعد ما آخد نقطة الزيبق اللي هنا .

يرفع شمشون يده التي تحمل الأنبوب الذهبي ناحية فمه ويلف غطاءها ليفتحها لتسقط نقطة الزئبق الأحمر في حلقه فيحمر وجهه وهو يغلق الأنبوب مرة أخرى ، ويأخذه سعال شديد متصل يكاد أن يزهق روحه وتبدو عليه ملامح الاختناق, ينصعق عابد وعم مشالي من هذا التأثير الواقع على شمشون ويظنان أنه يموت ، ولكنهما لا يقومان من مكانهما ليحاولا

انقاذه حيث يشهدان على أشياء غريبة تحدث ، لا يستطيعان الحكم عليها إن كانت حقيقة أم خيال ، فالاثنان يحدقان في ثلاث حسناوات يحطن بشمشون وهو يسعل ، يلبسن ما يسترهن بالكاد ويتحسسن شمشون في كل مكان في جسده ، وتضع اثنتان منهما أيديهما داخل صدره وهو يسحب عدة مناديل من علبة المناديل الموجوده على المائدة يبصق فيها ، ثم تضع الثالثة إصبعها بين عينيه ، ثم يتناول مناديل أخرى ليبصق فيها ويخرج فيها أشياء كثيرة من صدره .

وفي تلك الأثناء في الحديقة سارية ورميسة ترفعان رأسيهما إلى السماء بعد أن يُسمع صوت انكسار زجاجي آت من أعلى يعقبه سقوط لكرات داكنة ، ما أن تلامس أرض الحديقة حتى تتفتت لتصبح على شكل كرات قطنية رمادية ، ثم تغزو زرقة السماء الحديقة بعد أن تفتت هذا الغطاء الداكن الذي كان يحيط بالمترل ، ويُسمع صوت زقزقة عصافير لم تكن تسمع من قبل ، وتهبط طيور مختلفة لتحيط بسارية ورميسة وهي تنقر الأرض في أمان .

ويبدأ شمشون بشتك في الهدوء تدريجياً وتتحول الثلاث فتيات إلى دخان أحمر يتشعب إلى ثلاثة خيوط ، خيطان يدخلان داخل الأنف والثالث يدخل داخل فمه ، فيتناول شمشون عدة مناديل ليبصق من صدره شيئاً كبيراً ثم يتوقف عن السعال تماماً ويلقي المناديل التي في يده على المائدة ، ثم يلقي

بظهره على المقعد وهو يتنفس بعمق شديد ، فيصفو وجهه من الحُمرة الشديدة التي انتابته من أثر السعال ، وبعد أن استفاق تماماً أخذ ينظر إلى يده التي كانت تمسك بالأنبوب الذهبي فلا يجده فيعتدل في جلسته وهو ينظر إلى الأرض باحثاً عنه ، فيمد عم مشالي يده في دائرة بصر شمشون ويفتح قبضة يده ليُري شمشون الأنبوب الذهبي فيها ، فيمد يده ليلتقطه ويقبله ويمسكه بين أصابعه ويريه لعم مشالي وعابد وهو يقول :

أجدادنا العباقرة ماسبوش حاجة ، أول ما النقطة دخلت في الأنبوبة ، ظهر على جنب الأنبوبة تلاتين حلقة حمرا ، تسعة وعشرين واحدة فاضية من نصها ، وواحدة دايرة كاملة مقفولة ، معنى كده إن الأنبوبة اللي معاك دي يا عم مشالي فيها تلاتين نقطة زيبق أحمر ، واحنا أخدنا واحدة ، فالأنبوب الذهبي راح معلم لك إن في واحدة استُخدمت .

ينظر عم مشالي وعابد بدوار ممزوج بالذهول إلى الأنبوب الذهبي وهما يتفحصان ما يقوله شمشون ليجداه صحيحاً ، فيبدو عليهما ملامح الفهم والاطمئنان ، ويلاحظان أن شمشون بشتك قد فقد تحفظه ، و أصبح خفيف الظل والحركة ، وتورد خداه وغادرته ملامح الشيب في الشعر والوجه وأصبح متفائلاً وانزاح عن المكان الإحساس الداكن الذي كان يعتريه ، ويخرجان من تأملاتهما في وضع شمشون ومنزله الجديد على صوت شمشون ينادي الخادم قائلا :

مبروك ! هات المنقد النحاس وشوية جاز .

يذهب الخادم مبروك مسرعاً ويعود بعد قليل ليضع أمام شمشون المنقد النحاس ويحمل في يده زجاجة جاز ، يجمع شمشون المناديل التي بصق فيها ويضعها في المنقد النحاسي ، فيثير ذلك فضول عم مشالي وعابد اللذان يحدقان فيما يفعل ، فيقول لهما شمشون :

لازم البلاوي دي تتحرق ، زي ما كانت حتحرقني.

ثم يمد يده ليفتح منديلاً يريه لهما ، فإذا به ممتلئ بكتل من البلغم الأخضر البني ويحيط بكل كتلة أشكال بيضاوية ممزوجة بالدم ، ثم يقول شمشون لهما :

كل المرض والقطران ده كان خانق روحي ، سجاير على مخدرات على عادم سيارات وسم في المية ، كل ده خرج علشان نقطة الزيبق اللي دخلت ، الجميل ده أنا مش هنساه أبداً يا عم مشالي ، وأيها حاجة تطلبها أنا تحت أمرك ، وأنا خدامك من اللحظة دي .

عم مشالي : حاشا لله إنك تقول كده يا شمشون بيه .

يضع شمشون كل المناديل في المنقد النحاسي ثم يسكب مبروك الجاز عليها ، ثم يشعل عود ثقاب ويلقي به في المنقد ، فتهب نار زرقاء عظيمة ، فيفزع مبروك ويقفز راجعاً إلى

الخلف، وتعاود الجميع هذه المرة التهيوءات ، فيرون شياطين حمراء وبرتقالية تتراقص داخل النار الزرقاء ، وجميعها تحمل حراب سوداء تنظر إلى شمشون الذي يحدق فيها وكأنه يتحداها ولا يخاف منها ، فسرعان ما تحيط النار الزرقاء بهذه الشياطين لتطفئ نيرانهم وتذيب حرابهم وتحولهم إلى رماد أبيض يتخلف في المنقد النحاسي بعد خمود النار الزرقاء ، ثم يمد شمشون يده ليلتقط بعضاً من الرماد الأبيض ثم ينادي على الخادم مبروك يطلب منه الاقتراب ثم يقول :

افتح بقك ، وطلع لسانك .

يمتثل الخادم للأمر ويفتح فمه ، فيضع شمشون الكمية التي التقطها من الرماد على لسان الخادم ، وما أن يُدخل مبروك لسانه في فمه حتى يرتسم على وجهه ملامح مرارة شديدة ، ولكنه يبدأ في التأتأة ومحاولة الكلام ، وتنفك عقدة لسانه فينطق قائلاً :

الحمد لله ، متشكر قوي يا سيدي .

ويقترب مبروك من يد شمشون ليقبلها ، فيسحب شمشون يده ويربت على كتفه قائلاً :

لف واخلع جلابيتك .

يستدير الخادم ويرفع جلبابه ، فيأخذ شمشون كمية أخرى من الرماد ويمررها على عموده الفقري ، وفي لمح البصر يقوم

مبروك واقفاً وقد اعتدل ظهره وأصبح أكثر طولاً ، وغزت وجهه ابتسامة لم تكن معهودة فيه من قبل ، وينظر إلى عم مشالي قائلاً :

قدمك خير علينا ، ربنا يبارك فيك انت واللي معاك .

شمشون : مبروك عليك يا مبروك ، روح بقى هات لي حاجة أحط فيها شوية الرماد دول .

يذهب مبروك مسرعاً وقد اعتدلت خطواته بعد أن هامت قامته ، ثم يعود سريعاً حاملاً برطماناً معدنية ومغرفة صغيرة يلتقط بها الرماد ليضعه كله في البرطمان المعدنية ، ثم يغلقه بإحكام ، ثم يطلب منه شمشون بشتك أن يضعه في الخزانة .

شمشون : لو أي حد تعبان عليه مرض أو لعنة أو سحر أو حسد ياخد من رماد الأبالسة ده يبقى فيه الشفا ، أنا بكرة أطبخه وأعمل له حصى، الحصوة منه تبقى بألف جنيه ، والفضل في ده طبعاً يرجعلكم .

عم مشالي : إلا مبروك ده كان تعبان من ايه ؟

شمشون : مبروك ده كان ملعون لعنة من شيخ عظيم اسمه (عبد الهادي الطناوي) علشان أم مبروك كانت بتعمل سحر لأهل البلد ، والشيخ عبد الهادي عرف وشافها مرة في السوق فلعنها ولعن نسلها ، وللصدفة ابنها ده كان معاها

ساعة ما لعنها ، كان ماشي على رجليه الاتنين زي النـــاس ، لكن لما وصلوا البيت ، كان ماشي على أربعة وبقى شــكله زي ما انتم شفتوه ، أمه شافته كده شــالته وقعدتــه علـــى الحصيرة وقالت شوية وهيبقى كويس ، وقامت تحضر الأكل, انفجر فيها وابور الجاز فماتت محروقة وفضل مبروك واتشرد وبقى ملطشة لكل أهل البلد ، بيتــشائموا منــه والعيـــال بتضربه, فأخدته عندي لغاية ما جه الوقت المناسب وقـــدرت أعمل له حاجة .

عابد : أنا حاسس إن اللي أنا فيه ده كله مش حقيقـــي ، وإن ده تأثير المخدرات .

يضحك شمشون بشتك وعم مشالي ، ثم يقـــول شمـــشون بشتك :

اسمحوا لي أردلكم الجميل العظيم ده ، بمفتاح الزيبـــق ده ممكن أطلع لكل واحد منكم نقطة زيبق ، وهي مرة في العمر حياتكم حتتغير للأحسن ، نفوسكم حتـــصفا ، أجـــسامكم حتشفا ، العمار بينكم وبين أيها حاجـــة عايزينـــها حيبقـــى موجود ، اللي عايز ربنا حيشوف سكته في ثـــواني ، واللـــي عايز أقل من كده حيلاقي برضه ، بمعنى إن الزيبق ده اختبار عظيم لمعدن كل إنسان ، يلا نتوكل على الله ؟

يتبادل عم مشالي وعابد نظرات قلقة حائرة إلى أن يقـــول عم مشالي:

لكن أنا خايف الهدية تبوظ ، وطيبور الطناوي مش سهل وخدامه كتير ، وممكن ياخد باله ونبقى رحنا في داهية .

شمشون : طيبور الطناوي ؟ ده الحمار يفهم أحسن منه ، ولا عمره شاف زيبق أحمر ولا زيبق أصفر ، المصيبة إنه لما ياخد منه جهله حيزيد وحيعم وافتراه على الناس حيكتر ، ده انت جايبله هدية غالية قوي مايستحقهاش ، المصيبة الأكبر في الراسي ابنه ، ده بقى الشر الغبي بعينه ، يأذي الناس من غير سبب هو وأمه .

يتغير وجه عم مشالي فور أن يسمع اسم (الراسي) ويلحظ شمشون ذلك فيقول له :

يظهر انك شايل منه قوي .

يستدرك عم مشالي نفسه قائلاً :

لا أبداً ، ده حبيبي وابن حبيبي ، الحكاية كلها إن عندي شوية مصالح كبيرة عايز أقضيها ، ولازم أنول الرضا من طيبور، وانت عارف إن كل حاجة في ايديهم ، وكلمة منهم تغير الحال.

تبدو ملامح الاقتناع الحذر على وجه شمشون الذي يستطرد قائلاً :

ماتقلقش يا عم مشالي ، ماحدش يقدر يعرف إن الأنبوبة دية حد خد منها ، طالما إننا بناخد منها بمفتاحها الأصلي .

يدخل عابد في الحديث قائلاً :

كل كلامك يا شمشون بيه كويس ، ماعدا حاجة واحدة ، إنك انت حتهادي الراسي بالمفتاح الأصلي كمان ، وممكن واحد من المفتحين اللي حواليهم ياخد باله من مقياس النقط الموجود على المفتاح ، كده ممكن يتعرف إن حد خد من الأنبوبة دي .

شمشون : عندك حق ، وممكن كمان يطلع في دماغهم يجيبوا الشخص اللي أخد من الأنبوب ده ، بعد ما يعرفوا أثره عليهم ، وبما إنهم ناس زبالة مش هيسمحوا إن أي حد يبقى زيهم ، أنا غيرت رأيي ، أنا مش حديهم المفتاح ده .

تنفرج أسارير عم مشالي ، ويهدأ بال عابد ، فيجلسان في هدوء ، ثم يضع عم مشالي يده في جيب جلبابه ليخرج أنبوب الزئبق الأحمر ويناوله لشمشون فيقول شمشون فرحاً: (**هو ده الكلام**)، ثم يضع المفتاح في أحد طرفي الأنبوب ليستخرج نقطة أخرى ، وتنغلق دائرة أخرى على المقياس على جانب المفتاح ، ويتناول عم مشالي منه بأيدٍ مرتعشة معروقة المفتاح الذهبي ، ويفتح غطاء الأنبوب ، ويرفعه إلى فمه بسرعة ، فيحدث له

نفس السعال والاختناق الذي حدث لشمشون ، ولكن أعنف, ويخرج من عبائته ظل أسود يغادره ويحلق فوقه ، ومن أسـفله تخرج ثلاث فتيات ، إحداهن تحمل سوطاً أزرق اللون تحيط به هالة بيضاء ، تندفع وهي تقرع بالسوط وتنـدفع إلى الأعلـى بسرعة لتنهال على الظل الأسود فتفتته إلى قطع صغيرة سـوداء تتطاير في الهواء ، ثم تعود إلى عم مشالي لتتحسسه كما تفعـل الفتاتان الأخرتان ، ويتناول عم مشالي عدة مناديل ليبصق فيها عدة مرات ، ثم تتحول الثلاث فتيات إلى ثلاثة خيوط دخانية ، ليتسربن داخل عم مشالي من خلال أذنيه وفمه ، وفي تلـك الأثناء تقلق سارية ورميسة على والدهما ، فتتركان لهوهما مـع الطيور الوافدة إلى الحديقة وتقفان على باب الغرفة جزعتـان على والدهن ، ولكن يتبدد قلقهن فور أن يبدأ عم مـشالي في الهدوء التدريجي وهو يلقي بظهره إلى الخلف متنفساً بعمق هـو الآخر ، وهو ينظر إلى كف يده الذي كان قابضاً على المفتاح الذهبي فيجده فارغاً ،فيضحك شمشون بشتك وهو يضع يـده أمام وجه عم مشالي ويفتحها ليجد عم مشالي المفتاح مـستقراً في يده ، فيطمئن قلبه ، ثم ينظر عم مـشالي إلى ابنتيـه وقـد اختفت رعشة يده وعروقهـا وصـفار وجهـه ، ثم يـشير إليهما بالاقتراب منه ، ليدفن وجهه في حضنهما وقد استرسل في بكاء مُر ، فيمد شمشون يده ليربت على كتفه قائلاً :

انت طلع منك غضب وحقد أسود ماحدش يقدر يتحمله, هو انت رايح لطيبور علشان ينصرك على عدو ؟

يستجمع عم مشالي رابطة جأشه وهو يقبل ابنتيه اللتين تتجهان للجلوس ناحية عابد الذي تأثر كثيراً وظهرت على وجهه ملامح العطف الشديد على عم مشالي الذي أخذ يمسح دموعه قائلاً لشمشون :

هو كده فعلاً يا شمشون بيه .

شمشون : معلش كلنا اتظلمنا ، وكلها كام ساعة وتقابل طيبور ومشاكلك كلها تتحل .

ثم ينادي شمشون مبروك الذي يأتي مسرعاً حاملاً المنقد النحاسي وزجاجة الجاز ليفعل في مناديل عم مشالي كما فعل في مناديل شمشون ، فتثور نار زرقاء أخرى داخلها ظل أسود يمسك بشخص صغير يشبه عم مشالي ، ويخرج من هذا الظل خراطيم سوداء تتصل بأذنيه وفمه وكأنها تعطل حواسه ولكن النار الزرقاء لا تمهله فتحيط به لتذيب خراطيمه ، وتذيبه هو الآخر لتخبو بعد ذلك مُخلفة وراءها رماداً لونه مثل لون الجلد البشري ، يأتي مبروك ليجمع هذا الرماد في برطمان معدنية يناولها بعد ذلك لعم مشالي ، الذي يضعها داخل جلبابه .

ثم يوجه شمشون كلامه إلى عابد قائلاً :

يلا يا أسد الدور عليك .

يشعر عابد بإثارة شديدة قادته إليها الصدفة البحتة ، فهو لا يعرف ماهو مُقدم عليه ، ولا يُدرك أي شيء من هـذا العـالم الغريب الذي يحيط به ، كل ما يحتل ذهنه الآن عيون سارية التي أسرته وأحضرته إلى ذلك المكان الذي يخوض فيه أولى مغامرات حياته ، فحتى حياة الجندية اعتاد عليها بسرعة وأصبح جـزءاً منها وتعود على نمطها ، أما هذا الذي هو مُقـدم عليـه فـلا ملامح واضحة له ، يستفيق عابد من همس أفكاره علـى يـد شمشون بشتك تمتد إليه بالأنبوب الذهبي وبداخله نقطة زئبـق ثالثة ، فيتناوله منه بيده التي تحاول أن تتظاهر بالثبات ، ويجـد عيون الجميع محدقة إليه ، فيفتح غطاء الأنبوب ليلقـي بنقطـة الزئبق في حلقه ، وفور أن تلامس حلقه تتغلغـل في صـدره وكأنها تمزق غطاءً داخلياً خفياً يحيط برئتيه ، فيلامسهما الهواء لأول مرة ، فيصدمه هذا الإحساس الجديد فيسعل بقـوة، وفي كل مرة يسعل فيها ينتشر الزئبق خارجاً من صدره متسرباً إلى كل أعضائه الداخلية ، فيزداد سعاله ويتناول مناديـل كـثيرة يبصق فيها هذا الغطاء الذي تمزق داخل صدره ، ويكرر ذلـك ثم تظهر نفس الثلاث فتيات ليتحسسن جسده بشغف مـثير ، وتضع إحداهن إصبعها على الزر الأوسط لبذلتـه العـسكرية لتخلعه من مكانه ، فتنفتح البذلة وتظهر سرته أسـفل فانلتـه الداخلية ، وسرعان ما تتحول الثلاث فتيات إلى خيوط دخانية تنفذ إلى جسد عابد من خلال سرته ، فتحترق الدائرة البيضاء

من فانلته الداخلية المواجهة لسرته ، فيهدأ سعاله ويشعر برغبة مُلحة في إفراغ معدته ، فيلمح مبروك ذلك وقد ظهر الانزعاج على وجه سارية ورميسة ، ولم تستطع سارية السيطرة على نفسها ، فوضعت يدها على ظهر عابد بينما أتى مبروك حاملاً المنقد النحاسي فيلقي عابد ما في معدته فيه ، فإذا بكومة من الدود الأحمر والأسود والأصفر على شكل كرة تتلوى باستمرار ، فيسكب عليها مبروك الجاز بسرعة ، ويضع عابد معها المناديل التي بصق فيها ، فيشعل مبروك فيها النار لتشتعل نار عظيمة زرقاء يتلوى داخلها مئات من الأفاعي البرتقالية والحمراء رؤوسها كأنها رؤوس الشياطين ، تنظر إلى عابد وتصرخ ، وتنفث من فمها ناراً حمراء تجاه عابد ، وسرعان ما تحتويها النار الزرقاء لتحولها إلى رماد أحمر ، يأتي مبروك ويجمعه في برطمان معدنية ويناولها لعابد ، فيضعها في مخلته ، وقد أصبح يشعر أنه أكثر نشاطاً وقوة ورغبة في الحياة ، فيقوم ليقبل يد عم مشالي شاكراً إياه على هذه المنحة العظيمة ، ثم يتجه ناحية شمشون ليقبل رأسه ، فيقول له شمشون :

انت كان في معدتك حاجة جامدة قوي على فكرة ، لكن انت باين عليك ابن حلال وتستاهل كل خير .

عم مشالي : هو من ناحية ابن حلال هو ابن حلال مصفي, كفاية وقفته معانا لغاية ما وصلنا هنا ، وقفة راجل ابن راجل.

ثم يتجه عابد إلى مكانه ليجلس بجانب سارية مبتسماً لهـــا ، ثم يقول شمشون له :

التراب المعفرت بتاعك يا عابد حصوة منه تعالج أي مرض في البطن ، وانت يا عم مشالي ، حصوة من التراب بتاعـــك تضيع الهم والغم والنكد عن اللي ياخد منها ، وعلى فكـــرة أنا ملاحظ إن البنت الصغيرة عندها عين تعبانة ، تسمح لى يا عم مشالي أدي لها شوية من التراب بتاعي و......

يقاطعه عابد قائلاً :

طيب ما ندي كل واحدة منهم نقطة زيبق زينا .

يشعر عابد أنه أخطأ في شيء ما لا يعرفه ، حيـــث يـــسود صمت تجاه اقتراحه وتحديق مستمر له من شمشون وعم مشالي ، فيكمل كلامه قائلاً وقد أصبح أكثر قوة وثقة بالنفس :

هو في حاجة غلط لما نفوسهم تصفى زينا ؟

شمشون : بس الستات يمكن مايعرفوش يـــسيطروا علـــى القوة دي زي الراجل ، ودي قوة كبيرة ولو الست قويـــت ممكن تخرب الدنيا .

عابد : احنا دلوقتي مسيطرين على نفسنا أحـــسن مـــن الأول ، علشان اللي منغص علينا عيشتنا طلع واتحرق ، حتى التراب اللي فضل منه بقى دوا وعلاج ، فأكيد النتيجة عند

الست حتكون كده برضه ، والستات برضه مهمين لأنهم لازم يبقوا واعيين وعارفين كل حاجة.

يهز عم مشالي رأسه موافقاً على كلام عابد ، فيمد يده إلى شمشون بشتك بأنبوب الزئبق الأحمر ، فيأخذه شمشون ليسحب منه نقطة رابعة ، ثم يناوله لعم مشالي ومعه المفتاح الذهبي ، فيشير عم مشالي إلى سارية أن تجلس بجانبه ، ثم يطلب منها أن تفتح فمها ، ليلقي بنقطة الزئبق الأحمر في حلقها ، وما أن تبتلعها حتى تمسك بعنقها المرمري وتسقط طرحتها إلى الخلف ، لترتسم ملامح القلق على عابد وهو ينظر إلى كل هذا الجمال وهو يختنق ، تنتفض سارية عدة مرات ولكنها لا تسعل أبداً مثلما فعل الباقون ، ثم تترك عنقها وتضغط على بطنها بيدها ، فإذا بالجميع يشاهدون شخصاً دخانياً يخرج من بين رجليها ، ويسخن المكان كله في هذا الوقت من الشتاء ويتعرق الجميع ، وما أن يكتمل خروج هذا الشخص الدخاني منها حتى تبدأ سارية في الهدوء ، وسرعان ما يبدأ الدخان المتماسك في الانحلال ، وتبدأ حرارة الغرفة العالية في الهبوط ، ويتحول هذا الشخص الدخاني إلى حلقات تسبح في سماء الغرفة مخلفاً وراءه على الأرض بين رجلي سارية نجوماً حمراء صغيرة تسبح في هلام أبيض ، فتقوم رميسة على الفور لتستر ما تكشف من رجلي أختها وتضع لها طرحتها على كتفيها ، ثم تريح سارية رأسها على ظهر الأريكة ، وتنحدر دموع صامتة من عينيها تداريها بكفيها ، ثم تعتدل في جلستها وتمسح وجهها بطرحتها

وقد أصبح وجهها أكثر براءة ، واختفت حدة الملامح من أسفل عينيها ، وصارت وجنتيها أكثر امتلاءً ، عادت كطفلة في جسد امرأة ، يتطلع عابد لبرائتها الوليدة فيجدها أجمل ألف مرة مما كانت عليه ، تلحظ إعجابه الجديد بها ، فيفتر ثغرها عن ابتسامة جميلة ، ثم يأتي مبروك بالمنقد النحاسي والمغرفة ليجمع الهلام الأبيض والنجوم الحمراء التي تتخللها ، فتقوم سارية لترجع جالسة في مكانها لتبعد عن النيران التي سوف تشتعل ، ثم يشعل مبروك النار فتهب نفس النار الزرقاء ولكن أكبر وأعظم, فيظن الجميع أن المكان كله سيشتعل ، ولكن يلحظ عابد أن هذه النار ليست حارة فتواتيه فكرة مجنونة، وهي أن يمد أطراف أصابعه ليختبر حقيقة حرارة هذه النار ، ويشرع في فعل ذلك فتمتد يد سارية لتمنعه ، ولكن بعد أن لامست أصابعه لهباً شارداً ، فلا يشعر بأية حرارة تدفعه لأن ترتد يده سريعاً ، إنما إحساس غريب بالفتور يغشي أطراف أصابعه التي لامست اللهب الأزرق وينظر مدققاً في أطراف أصابعه ليجدها قد صارت بيضاء ، وسرعان ما ينفجر خارجاً من هذه النار شخص لونه برتقالي ، يصرخ شمشون فور أن يراه قائلاً : **(الراسي !!)** فيلتفت هذا الشخص الخارج من النار إليه وهو يضحك ضحكة تدل على الاستهتار والجنون ، ويحيط به أشخاص في أوضاع جنسية متعددة يصرخون وينظرون جميعاً في وقت واحد إلى سارية ، التي تفزع مما تراه فتتزحزح تجاه عابد لتحتمي به ، وسرعان ما تبدأ النار الزرقاء في حصار هذه

الأشكال الشيطانية لتقضي عليها ، ثم تبدأ في الخفوت لتخلف وراءها رماداً أبيض معروقاً برماد زهري يثير عجب الجميع ، وسرعان ما يأتي مبروك بالبرطمان المعدنية ليجمع الرماد فيها ، ثم يناولها لسارية التي تناولها لوالدها ليحمله معه ، ثم يشير عم مشالي إلى رميسة أن تأتي إلى جانبه وهو يناول شمشون بشتك الأنبوبين ليسحب نقطة خامسة ، ولكن شمشون بشتك يقول له:

انت عارف مين اللي ظهر من النار ، ده الراسي طيبور الطناوي ، اللي انت رايح تماديه وتبارك له ، هو ايه علاقة الناس دي بسارية ؟؟

عم مشالي : لا علاقة ولا حاجة ، انت تلاقي كدة الشياطين تحب تتشبه بيهم .

شمشون : هم ناس شر ، لكن الراسي علشان يظهر كده ، أكيد في سبب .

ينهي شمشون كلامه ثم يبدأ في سحب نقطة خامسة ، ثم يناول الأنبوب إلى عم مشالي الذي يلقي بها في حلق رميسة ، التي تبتلعها ثم تبدأ في الاختناق ، ولكن تجحظ عينها التركوازية ذات الحلقة الحمراء بشدة من وجهها ، حتى يظن الجميع أنها سوف تنفجر ، وفجأة يتسرب من عينها الجاحظة دخان أزرق وأحمر ، ثم تأخذ في الصراخ بصوت عالٍ ، حتى

يكتمل خروج هذا الدخان الذي يدور أمامها علـــى شـــكل إعصار ينحسر تدريجياً على الأرض مخلفاً وراءه أشكالاً سوداء مختلفة ، فتهدأ رميسة وهي تضع يدها على عينها وتلقي بظهرها إلى الخلف ، ثم ترفع يدها من على عينها ، فإذا بهـــا عـــادت طبيعية جميلة ، ثم تبتسم ابتسامة جميلة تغمر وجهها بجمال غير مألوف ، و تعمها براءة لم تكن معهودة على ملامحها من قبل ، ثم تنطق لأول مرة وهي تقول :

الحمد لله .

يأتي مبروك حاملاً المنقد النحاسي فتقوم رميسة عائـــدة إلى مكانها لتفسح له المجال ، فيجمع مبروك الأشـــكال الـــسوداء بالمغرفة في يده ويشعل فيها النار ، وما أن تبدأ النار الزرقـــاء في التأجج حتى تُسمع طرقات على باب المترل ، لا يلتفت أحـــد إليها بسبب لهب أحمر يخرج فجأة ليثير فزع الحاضرين ويلتوي حتى يتخذ شكل دائرة ثم يتجه طائراً إلى رميسة ، فيرفع عـــم مشالي عصاته ليلتقط بها هذه الحلقة الحمراء فتدخل في عـــصاته لتخمد النار على الفور ولا تخلف وراءها رماداً هـــذه المـــرة ، وتبقى الحلقة الحمراء معلقة في عصا عم مـــشالي ، فيثبتـــها في الأرض ، فترتجف الحلقة الحمراء ، وتبدو سخونتها وهي تحرق الأرض الخشبية تحتها لتصنع دائرة ســـوداء فيهـــا ، فيـــسارع

شمشون ليسكب عليها بعض الماء حتى تبرد ، فيغمغم عم مشالي قائلاً :

سحر النجس ابن النجس كان عايز يرجع لها تاني .

ثم تعود الطرقات على الباب مرة أخرى ، فيشير شمشون إلى مبروك بأن يفتح الباب ، فيذهب مبروك مسرعاً ثم يعود قائلاً :

في واحد مغطي وشه بشال أسود ، ومش عايز يقول هو مين ، وعايز يقابلك يا شمشون بيه.

شمشون : قول له يتفضل .

ثم يقوم شمشون من مكانه استعداداً لاستقبال الضيف الغامض ، ثم يعود مبروك ووراءه رجل طويل يغطي وجهه بشال أسود ، وما أن يقترب حتى يزيح الشال عن وجهه ، لترتسم ملامح التعجب والترحيب على وجه شمشون وهو يقول:

الشيخ عبد الهادي بنفسه ، أهلاً وسهلاً ، ده شرف عظيم.

وفي تلك اللحظة التي ينطق فيها شمشون باسم الشيخ عبد الهادي ، يلتفت مبروك وراءه ويتسمر مكانه وهو يحدق فيه ، فيربت على كتفه الشيخ عبد الهادي قائلاً :

بركة إنك بخير يا مبروك ، وإن ربنا كرمك وخفيت .

فيومئ مبروك برأسه مُفسحاً المجال ليسلم شمشون على الشيخ عبد الهادي الذي يتقدم إليه ليحتضنه ويدعوه إلى الجلوس ، فيقوم الجميع ليسلموا على الشيخ عبد الهادي ، فيقول شمشون متعجباً وهو يرى معرفة الجميع به :

هو انتم تعرفوا بعض ؟ ، الشيخ عبد الهادي من أقرب الناس لله في البلد ودخلته بيتي دي معناها إن ربنا رضي عني.

عم مشالي : احنا قابلنا الشيخ عبد الهادي واحنا جايين في السكة ، وشفنا ابنه محمد ربنا يحفظه .

يجلس الشيخ عبد الهادي بجوار عم مشالي وهو يقول :

انت تستاهل كل خير يا شمشون بيه ، أنا عن نفسي مقولش على حد وحش إلا لما أشوف حاجة تستاهل ، ومابسمعش لكلام الناس اللي بيدور حواليك ، والخيال الأعمى اللي همَّ عايشين فيه .

ترتسم ابتسامة سعادة على وجه شمشون ، بينما يستفحص الشيخ عبد الهادي المنقد النحاسي ، والحلقة الحمراء الملقاة على الأرض ويتوسطها عصا عم مشالي ، فيبتسم قائلاً :

الظاهر انكم كنتم بتعملوا حاجة وأنا جيت عطلتكم .

يقاطع شمشون ظن الشيخ عبـــد الهـــادي في الاسترســـال ويتحدث بصدق قائلاً :

النهاردة ربنا هداني هديتين في يوم واحد ، هدية على ايد عم مشالي وهدية في زيارتك لِيّ النـــهاردة ، والزيـــارة دي حتخلي أهل البلد يبصوا لي بصة تانية .

تقاطعه رميسة قائلة:

بس عم الشيخ كان مغطي وشه ، يعني ماحدش عرف من أهل البلد إن الشيخ عبد الهادي هو اللي دخل بيتك .

ينظر إليها الشيخ عبد الهادي معجبـــاً بـــسلامة منطقهـــا ورجاحة عقلها بالرغم من صغر سنها ، فيقول لها مبتسماً :

ربنا يبارك فيكي يا بنتي وفي عقلك ، أنا فعلاً تعمدت إن ماحدش يعرف إني جاي هنا ، وكمان قصدت آجـــي بعـــد المغرب علشان ماحدش يتعرف على هيئتي ، بس قولـــوا لي الأول ، ايه الهدية الغالية بتاعة عم مشالي ؟؟

شمشون : الراجل الطيب ده جاي يبارك لطيبور الطناوي على فرح ابنه الراسي ، وجايب هدية نادرة جداً عبارة عـــن أنبوبة زيبق أحمر ، وللصدف السعيدة إن عندي المفتاح بتاعها ، واتكرم عليّ وعلينا كلنا وسمح إن كل واحد ياخد نقطـــة زيبق أحمر .

يعتدل الشيخ عبد الهادي في جلسته ، وقد أثـار الكـلام اهتمامه الشديد وغادرته الابتسامة ، وقد ارتسمت ملامح الجد على وجهه ، وقال :

قصدك زيبق أحمر فرعوني ؟ انتم اخدتم منه وحتدوا الباقي لطيبور ؟.

يهز عم مشالي وشمشون رأسيهما بعلامة الموافقة ، فترتـسم ملامح الغضب على وجه الشيخ عبد الهادي ، فيقوم من مكانه منتفضاً وهو يقول غاضباً :

هو طيبور وابنه ناقصين افترا على الخلق ؟، حرام عليكم, دول هم على حالهم ده وموربنا الويل ، حتى بعد ما سـبت حالي ومالي عندهم ، وهربت بمراتي وابني ، وجيـت هنـا وسط الناس الفقرا الشرفا ، مش سايبنا في حالنا ، حتى ابني النهارده بعته السوق يبيع بقرة دخلوا عليه بالحنجل والمنجل, و نصبوا عليه و .....

يقاطعه عم مشالي قائلاً :

اقعد بس يا شيخ عبد الهادي ، ماتزعلش ، كـل حاجـة وليها حل ، احنا شفنا الولد النهاردة ، ربنا يبـارك فيـه ، وركب معانا الكاريتة ، بس هو صغير على أمانة كبيرة كده.

يجلس الشيخ عبد الهادي مستعيداً هدوءه وهو يقول :

الولد كبر وبقى راجل وقلت أحسسه بنفسه ، لكن نعمل ايه في اللي بايع دينه ومش سايبنا في حالنا ، الناس الطيبين في السوق أدوله خمس آلاف جنيه ، علشان يديها لي ، ومايحكيش حاجة عن اللي حصل ، لكن الولد عمره ما يكذب وحكى لى كل حاجة ، وأخدت الفلوس ورجعتها لأصحابها ، واستعوضت ربنا ، وقلت أبيع الحمار اللي عندي في السوق بتاعهم ، وجاي عندك هنا يا شمشون علشان أمر من سكتك .

عم مشالي : أنا والله مقدم الهدية الغالية دي لطيور غصب عني ، بس هي دي الطريقة الوحيدة اللي ننول بيها الرضا منهم .

شمشون : بس اسمح لي، يا شيخ عبد الهادي همَّ مش محتاجين حمير عندهم ، هناك كلهم عندهم عربيات وعايشين عيشة تانية غير عيشتنا ، ما انت كنت هناك وعارف كل حاجة .

الشيخ عبد الهادي : بس ده مش حمار عادي ، ده حمار بيتبول دهب.

ينذهل الجميع ، وأكثرهم ذهولاً شمشون الذي يقول :

معقول ده ؟! ، دي معجزة ، لو مش انت اللي بتقول الكلام ده يا شيخ عبد الهادي ما كنتش صدقت ، الظاهر

النهاردة يوم المعجزات ، على العموم كده الموضوع يبقى فعلاً يستاهل إنك تعرضه هناك عندهم ، ممكن يدفعوا تمن كبير جداً فيه ، ده كمان ممكن عبد العال أخوك هو اللي يشتريه ، انت عارف إنه بيحب الحاجات الغريبة .

الشيخ عبد الهادي : أنا مش عايز حد يعرفني وأنا هناك خاصة عبد العال .

شمشون : شكللك كده رايح تنتقم يا شيخ عبد الهادي...

ثم يوجه شمشون كلامه للجميع قائلاً :

ايه رأيكم لو نكشف ورقنا ، وكل واحد يقول هو رايح ليه عند الطناوية اللي ورا السور .

يروق الاقتراح للجميع ، خاصة بعد أن خلصهم الزئبق الأحمر مما كان يدفعهم إلى الكذب وعدم الثقة بالنفس والناس ، كما أشاع وجود الشيخ عبد الهادي نزعة إيمانية عمت نفوس الجميع ، ولكن قبل أن يفصح أي منهم عن سر زيارته ، يسأل شمشون الشيخ عبد الهادي قائلاً :

بس الأول تحب تشرب ايه يا شيخ عبد الهادي ، دية أول مرة تشرفني ، لازم أقدم لك حاجة .

الشيخ عبد الهادي : لو عايز تكرمني صحيح ، تسمح لي بنقطة من الزيبق علشان مراتي عيانة قوي ، ممكن النقطة دية تنقذها .

ينظر شمشون إلى عم مشالي ، نظرة متسائلة ، فيقول عم مشالي بدون تفكير ، وهو يمد يده بالأنبوب لشمشون .

عم مشالي : احنا يحصل لنا الشرف بيك وجماعتك كمان ولأي حد إنت تقول عليه .

يخلع شمشون سلسلته الذهبية مرة أخرى ويخرج منها المفتاح الذهبي ، ويسحب نقطة ، ثم يفتح غطاء الأنبوب ويغلقه أمام الشيخ عبد الهادي ، ويناوله الأنبوب ، فيسأله الشيخ عبد الهادي :

هو ده علشاني ؟

شمشون :عم مشالي هو اللي قال ، وكمان ده وقاية ، وأنا وأهل البلد كلهم عارفين إنك مش محتاج أيها حاجة غير صلتك بربنا ، لكن دي تحية من عم مشالي متردهاش .

يتناول الشيخ عبد الهادي الأنبوب الذهبي ، ويفتح الغطاء كما رأى شمشون يفعل ، ويلقي بنقطة الزئبق في حلقه ، وسرعان ما يحمر وجهه وتبدو عليه ملامح الاختناق مثلما حدث للجميع ، ولكن بصورة أقل ، فلا يسعل بقوة ، ولكن يتناول عدة مناديل من أمامه ، وفجأة تظهر الثلاث فتيات ولكنهن راكعات أمامه ، خائفات منه ، لا يتحسسنه كما فعلن مع الآخرين ، ثم يبصق الشيخ عبد الهادي ويتمخض في المناديل التي معه ، فإذا به يُخرج كرتين سوداوتين معروقتان باللون

الأحمر فيهدأ، ولا تتحول الفتيات إلى خيوط دخانية كما فعلن مع الآخرين ، إنما يتوارين في ظله المنبسط خلفه ، ثم يأتي مبروك على الفور وهو يحمل المنقد النحاسي ليضع فيه مـــا تمخـــضه الشيخ عبد الهادي ، وقبل أن يشعل النار يزيح المنقد بعيداً عن الشيخ عبد الهادي ثم يؤجج ناره ، فتشتعل نفس النار الزرقـــاء التي سرعان ما ينتشر داخلها مئات مـــن الوجـــوه البرتقاليـــة والحمراء تنظر بخبث شديد تجاه الشيخ عبد الهادي ، ويبـــدو عليه أنه يعرفهم جميعاً ، فينظر إليهم وعلى وجهـــه ابتـــسامة ساخرة تدفعهم إلى الصراخ والاحتراق التام ، ويتخلف منـــهم رماد أبيض يماثل رماد شمشون بـــشتك ، يجمعـــه مـــبروك في برطمان معدنية ويضعها أمام الشيخ عبد الهادي الذي ينظـــر في حجر جلبابه ليجد المفتاح الذهبي واقعاً فيه فيأخذه مناولاً إيـــاه لشمشون ، ثم يوجه حديثه لمبروك وهو يتنفس بعمق قائلاً :

سامحني يا مبروك يا ابني ، أنا ما كنتش أقـــصد أضـــرك ، لكن اللعنة صابتك من جملة ما صابت ، لكن انت مـــالكش ذنب في حاجة علشان كده ربنا شال عنك وكرمك .

ينظر إليه مبروك وقد ارتسمت على وجهه ابتـــسامة رضـــا قائلاً :

يا مولانا أنا طول عمري بحترمك ، حتى بعد ما كـــبرت وعرفت إن لعنتك لأمي هي سبب خرسي وتشويه ظهـــري ، لكن برضه عمري ما كرهتك ، والبركة في شمشون بيه كان

دايماً يجيب سيرتك بالخير ويصبرني على ما ابتلاني ربنـــا بـــه، والحمد لله في يوم واحد ربنا يرضى عني واخف ويرضى عني تاني وأشوفك في نفس اليوم .

وفي تلك الأثناء يسحب شمشون بشتك نقطة زئبق يحتفظ بها داخل أنبوبه الذهبي الذي يعيد تعليقه في رقبته ، ثم ينهض واقفاً وهو يناول الأنبوب الجلدي لعم مشالي ، ويقول للشيخ عبـــد الهادي :

يلا بينا نوصل لحد البيت عندك ، وأنا حستناك برة لغاية ما توصل الأمانة اللي معانا لأم محمد ، ربنا يشفيها .

يقوم الشيخ عبد الهادي من جلسته بينما يقول شمشون لعم مشالي وأسرته وعابد :

وانتم يا جماعة البيت بيتكم ، ومبروك معاكم ، ولو طلبتم أي شيء هو تحت أمركم ، وفي اوض نوم فوق لـــو حبيـــتم تستريحوا .

في تلك الأثناء يضع مبروك المنقد النحاسي وزجاجة الجاز في حقيبة سوداء ، يناولها لشمشون بشتك وهو في طريقـــه مـــع الشيخ عبد الهادي خارجين من المترل ، وبعد لحظات يُـــسمع صوت محرك يدور ثم ينطلق ، ويفتح عم مشالي الباب الـــسري في عصاته ليعيد فيه أنبوب الزئبق ، ثم ينحني ليلـــتقط الحلقـــة الحمراء التي مازالت على الأرض وطرف العصا في منتـــصفها ،

ولكنه يصرخ من شدة سخونتها ، فيقوم عابد ليرى ما يحدث ، وتنتفض سارية ورميسة واقفتين ، وإذا بالحلقة تتحرك وتـــدور وتلف في الأرض وكأنها تحاول الهرب ، ويدخل مبروك علـــى صرخة عم مشالي ليجد الحلقة في حالة جنون ، فيصرخ قائلاً :

رجع العصاية فيها يا عم مشالي ، ما تخليهاش تتحرك .

يعيد عم مشالي العصا في منتصف الحلقة ، وإذا بالحلقة قـــد أصابها الجنون ، فأخذت تدور وتلف وتحاول الـــصعود علـــى العصا لتهرب منها ولكنها تفشل ، فتستقر على الأرض وهـــي تخرج دخاناً أبيض وترتعش ارتعاشات خفيفة ، يقول مبروك :

انت حاولت تشيلها ، لكن واضح إن ده سحر قوي من واحد قادر وفاجر ، اوعى تشيل عصايتك يا عم مشالي .

عم مشالي : روح يا ابني يا مبروك هات لنا شوية مية نبرد بيها الملعونة دي أحسن تولع في أرض البيت كلها .

مبروك : ولا مية الدنيا تبردها يا عم مشالي ، هو السحر ده كان مقصود به الأمورة الصغيرة ، ممكن شوية من الرماد بتاعك وبتاع أختها ،ممكن السحر ده لما يكتر عليه غـــضبكم يفسد ، لكن المشكلة ازاي هنخرج الحلقة علـــشان الرمـــاد يغطيها من الناحيتين ؟

عابد : أنا صوابعي ما بقتش تحس بالسخونة بعد ما حطتها في النار ، أجرب أحاول أمسكها وربنا يستر .

يفتح مبروك البرطمانات الواحدة تلو الأخرى ، ويجمع في يده خليط من الرمادين ، وينحني عابد ليختبر سخونة الحلقة ، فيجد نفسه لا يشعر بشيء عندما يمسك بها ، فيطلب من عم مشالي أن يرفع عصاته ، فيرفعها حذراً ، فتبدأ الحلقة في الارتعاش ، فيشدد عابد من قبضة أصابعه عليها ، ويقترب منه مبروك ليضع الرماد فوق الدائرة الحمراء ، التي تنتفض بشدة حتى تكاد أن تلقي بعابد خارج الغرفة ، ولكنه يتماسك ويقلبها على الناحية الأخرى ، ليضع مبروك ما تبقى من رماد على الناحية الأخرى منها ، فتبدأ في التقلص والانكماش والتحول إلى اللون الأزرق الذي يخترقه في منتصفه تماماً خط زهري فاتح جداً يشع دفئاً ، ثم يقول مبروك لعم مشالي :

تحب تحتفظ بها معاك يا عم مشالي ، وطول ما هي معاك سحر الساحر ده ما يأثرش فيك لا انت ولا ذريتك من بعدك.

يوافق عم مشالي ، فيطلب منه مبروك أن يرفع عصاته ، ثم يضع الحلقة داخلها ، فتنكمش من فورها لتقبض على العصا وتلتحم بها إلى الأبد ، فتهدأ أنفاس الجميع المتلاحقة ، ويجلسون ليستوعبون ما يحدث .

....

في تلك الأثناء تقطع عربة شمشون الطريق متسترة بالليل والغبار الكثيف ، وتعبر الكوبري الخشبي الذي يصل البلدة

بالطريق المؤدي إلى مترل الشيخ عبد الهادي ومحطة القطـــار ؛ تتوقف عربة شمشون أمام بيت الشيخ عبد الهادي الذي يقـــول وهو ينظر في ساعته :

فاضل خمس دقائق على آذان العشاء ، الحمدلله إني جيت, وحتى لو ماجيتش كان محمد هيرفع الآذان ، اتفضل معايا يا شمشون بيه .

شمشون : أفضّل أستنى هنا ، علـــشان مـــا أســـببش أي إزعاج, أنا عارف إن المدام عيانة .

الشيخ عبد الهادي : اتفضل احنا يحصل لنـــا الـــشرف، و بالمرة تصلي معانا العشاء .

يترل شمشون من سيارته ويسير مع الشيخ عبد الهـــادي إلى المترل ، وما أن يصلا إلى الباب حتى يفتحه الشيخ عبد الهـــادي قائلاً **:يا ساتر.**

يقابلهما محمد ببشاشة وجهه المعهودة ، ولكن يلمع في عينيه حزن يحاول أن يداريه ، يربت أبيه على رأسه بينما يمد محمـــد يده ليصافح شمشون بشتك وهو يدعوه إلى الجلوس ، ثم يقـــول الشيخ عبد الهادي :

أروح أنا أرفع الأذان ، وشوف عمك شمشون يشرب ايه يا محمد .

ينصرف الشيخ عبد الهادي ، وبعد لحظات يُسمع صـــوت الأذان يرتفع ، وتتسرب نداوة صوت الشيخ عبد الهـــادي إلى نفس شمشون الذي يقول لمحمد بلا إرادة : **عايز أتوضأ** ، يسير محمد أمام شمشون بشتك حتى يصلان إلى باب أخضر خشبي ، يفتحه محمد ، فإذا به يؤدي إلى حديقة المسجد ، ثم يسيران في ممشى الحديقة ، وإذا بالمصلين يتوافدون لأداء الصلاة ، وبجانب ميضة المسجد حمام كبير منفصل مغلق ، يفتحه محمد ليـــدخل شمشون بشتك ، الذي يجد حوضاً ودشاً بجانبه ، فيسارع بخلع ملابسه ليدع مياه الدش تنساب عليه ، وتدمع عينـــاه بـــدون سبب ظاهر ، وما أن يفرغ حتى يرتدي ملابسه ليلحق بهـــم في المسجد قبل إقامة الصلاة .

....

وفي تلك الأثناء في منزل شمشون بـــشتك يـــشعر الجميـــع بالإنهاك من أثر السفر وما مروا به في الساعات القليلة الماضية ، يلمح مبروك ذلك فيقول لهم :

الفيلا فيها اوض كتيرة ، ممكن تتفضلوا تستريحوا .

يلقى هذا الاقتراح قبولاً لدى الجميـــع ، فينهـــضون وراء مبروك الذي يصعد بهم سلماً رخامياً يُفضي إلى الدور العلـــوي الذي يتوسطه غرفة معيشة على شكل دائري لها قبة زجاجيـــة

ملونة ، وينفتح على الغرفة سبعة أبواب يحيطون بها مـــن كـــل جانب ، وبعد خطوات قليلة من صعودهم السلم ، يفتح مبروك باب أول غرفة ويدعو عم مشالي إلى الدخول ، ثم يفتح بـــاب الغرفة التالية ، مشيراً إلى سارية ورميسة للدخول فيها ، ثم يفتح باب الغرفة الثالثة ويدعو عابد إلى دخولها ، وما أن يدخل عابد حتى يجده جناحاً كاملاً ليس مجرد غرفة صغيرة ، فالسرير يُصعد له بدرجتين ومفروش بحرير أزرق ، وأمامه صالون في مواجهته تلفاز ودش بداخل الحائط ، وعلى اليمين باب أبيض ، وعلـــى اليسار جهاز تكييف بجانبه مرآة أسفلها عـــدة أدراج لأدوات الزينة ؛ يتجه عابد نحو المرآة لينظر فيها ، فيجد نفـــسه تغـــير كثيراً, فوجهه أصبح أكثر حمرة وصفاءً ، وحلقة عينه أصبحت أكثر اتساعاً ، وصدره صار وكأنه مملوء بالهواء ، يُعجب عابد بنفسه وبالتغيرات التي حدثت له ، حيث أصبحت رغباته وكل امكانياته طوع أمره أكثر من ذي قبل .

....

وفي الغرفة المجاورة لعابد ، سارية قد تحررت من ملابسها ، وهي تجلس على حافة السرير بلباسها الداخلي لتتأمل في المرآة المواجهة لها جمالها الصارخ الذي يبرز من خلال جسدها الذي لا يستره إلا قميصها الأسود الشفاف ، ومن خلفها في الصالون رميسة التي تقف في مواجهة مرآة أخرى تدقق النظر في عينـــيها

التي شُفيت وهي تفتح حلقة عينها بإصبعيها وهي غافلة تماماً عما تفعله أختها ، حيث تتحسس سارية صدرها ثم تترل بيدها إلى بطنها ، ثم تترلق إلى الأسفل لتضغط بشدة ، فيصدر عنها آهه خفيفة ، تلتقطها أذن رميسة التي تتسائل قائلة :

مالكِ ؟

تترع سارية نفسها من إثارتها ، وترد عليها وهي تبعد يدها قائلة:

مافيش ، عايزة أدخل الحمام .

رميسة: شوفي الباب الأبيض اللي هناك ده، شكله كده باب حمام .

تقوم سارية لتختبر مقبض الباب لينفتح بسهولة ، فترى على الضوء القادم من الخارج تفاصيل حمام فخم جداً ، ولكنها تنظر فلا تجد مفتاح النور ، فتغلق الباب خلفها مُكتفية بالضوء القادم من الخارج ، وتقع عينها علىترباس داخلي صغير تغلقه ، ثم تتجه ناحية ترابيزة مستديرة صغيرة حولها كرسيان تجلس على كرسي منهما .

في تلك اللحظة يقف عابد مستعرضاً عضلاته أمام المرآة ، ثم يصدر صوت خلفي يدل على ضرورة الذهاب إلى الحمام ، فيتجه إلى الباب الأبيض الصغير ، ثم يمد يده ليفتحه بهدوء شديد ، فتقع عيناه على سارية جالسة وظهرها له ، ولا تشعر

بدخوله وهى مستغرقة في تحسس تفاصيلها الأنثوية التي فقدت الإحساس بها منذ مدة طويلة ، حيث تعبث أناملها بصدرها ، وأنامل يدها الأخرى تدول أسفل بطنها ، فتأخذها فورة متقدة من الرغبة تدفعها لأن تغمض عينيها ، ويتسمر عابد مكانه حريصاً على ألا يصدر أي صوت ، ولكن رغبته تدفعه رغماً عنه للاقتراب على أطراف أصابعه من سارية التي لا تلحظه بسبب عينيها الغائبتين عن الوعي ، وما أن يصل في مواجهتها حتى يجثو على ركبتيه أمامها ليحتضنها ، فتفزع ولكنها تهدأ بعد أن يكمل هو ما بدأته هي ، كم تحتاج منه الآن أن يخترقها, تصله مشاعرها ، فيحرر كل كيانه من أثقال الأخلاق والدين ليستودعها ما تريد ، فتجذب سارية رجليها إلى صدرها ليصلها أكثر ، وفي غيبوبة من الرغبة يمتزجان ، حتى تصل لذروتها ، فتتعلق به أكثر ، فيتشبث بها ، حتى يتركان الكرسي ويتدحرجان معاً على الأرض ، حتى يستقران على فراء أبيض يفترش منتصف الحمام ، فيستلقي عابد على ظهره وفوقه سارية ويسيل على وجهه شعرها الأسود الطويل الذي يتطاير مرة تلو الأخرى حتى يصل عابد لذروته ، ثم تنطرح سارية من فوقه لتستلقي بجانبه وهي تقول له :

أنا بعتبرك جوزي من اللحظة دي .

فيمطرها عابد بقبلات وهو يقول :

أنا بعتبرك مراتي وحُبي وحياتي ، ومش هفارقك لحظة واحدة بعد كدة ، وأول ما هشوف عم مشالي حأطلب منه ايدك .

سارية : مش دلوقت ، استنى لما نرجع من الفرح .

تقول سارية ذلك ثم تسرح في مجهول بعيد لا يعرفه عابد يترعهما من كيانهما الذي توحد منذ قليل ، و لكن طرقات خفيفة على الباب تترع سارية من أفكارها البعيدة ، وتترع عابد من مكانه جوارها ليهب واقفاً ، ثم يأتي صوت رميسة وهي تقول : سارية ، يا سارية .

فتقوم سارية بسرعة البرق متجهة ناحية البانيو لتفتح صنبور الماء ، و يخرج عابد مندفعاً من الحمام إلى غرفته لاهث الأنفاس مغلقاً الباب خلفه بهدوء ، ثم يسمع صوت رميسة تقول :

انتِ مطفية النور عندك ليه ؟

سارية : مش لاقية مفتاح النور .

رميسة : ده المفتاح عندي هنا .

تضيء رميسة نور الحمام لسارية ، وتهدأ أنفاس عابد المتلاحقة ، وتخور قواه النافرة وهو يسترجع كل ما حدث ، فيتذكر قطعة الحشيش التي في جيبه ، فيسرع ليخرجها لعلها تساعده على أن يسترد رابطة جأشه وهدؤه ، ويقطع منها قطعة

صغيرة بأسنانه ، ولكنه لا يجد ورق بفرة ليلفها فيـــه ، فيفـــتح باب الغرفة لينادي على مبروك ، الذي يأتي مسرعاً ثم يـــذهب لإحضار ورق البفرة ثم يأتي سريعاً ، يأخذ عابد البفرة ويجلـــس ليلف سيجارة ثم يشعلها ، و يبدأ في تأمل كل شيء حـــدث ، ويتوقف عقله عند تأثير هذا الزئبق عليه ، فيجد نفسه تغير وقد تخلى عن كل خوف أو حذر داخله ، حتى الجيش الذي كـــان يعمل له ألف حساب ، صار يعتقد الآن أنه يستطيع الـــسيطرة عليه بأبسط جزء من عقله ،شعور غامر بالسيطرة علـــى كـــل شيء يغزوه ، وينزعه من حقيقته البسيطة ، لدرجة أنه مـــارس الجنس مع سارية بلا تقدير أو خوف من أية عواقب ، فيخرج بشيء واحد من كل هذا ، أن طبيعته البشرية طغـــت علـــى طبيعته الإنسانية التي كانت تهاب الآخرين وتحترم حـــدودهم ، حتى ذاكرته وذكاءه يستطيع السيطرة عليهما بكل بـــساطة ، وتوجيههما إلى التعامل مع كل شيء يريده ، فهو لم يعد قادراً فقط على التمييز بين الجيد والسيء ، بل إنه يستطيع التـــوازن بينهما فلا يطغى أحدهما على الآخر ولا يتحـــول أحـــدهما إلى الآخر ، فكل ما يزعجه الآن هو عدم طهارته ورغبته الشديدة في الاغتسال .

تنتهي السيجارة مع انقطاع صوت الماء وخروج سارية من الحمام ، فيقوم عابد متجهاً إلى الحمام ، ثم يلمـــح زر النـــور فيضغط عليه ، ثم يدخل ليلقي بنفسه تحت الماء المنـــهمر مـــن الدش .

وفي تلك الأثناء ينتهي المصلون من أداء صلاة العشاء في مسجد الشيخ عبد الهادي ، ويبدأون في الانصراف ، ولايبقى إلا شمشون والشيخ عبد الهادي ومحمد ، ويستغرق الشيخ عبد الهادي في تسابيح هادئة لا يسمعها أحد ويختمها بدعاء سري تدمع عيناه وهو يدعوه ، وبعد انتهائه يقوم الجميع متجهين إلى منزل الشيخ عبد الهادي ، وما أن يدخل الشيخ عبد الهادي منزله ، حتى يخلع شمشون الأنبوب الذهبي من رقبته ويناوله للشيخ عبد الهادي ، ثم يخرج المنقد النحاسي وزجاجة الجاز يناولهما لمحمد الذي يتبع أبيه إلى غرفة أمه ، بينما يجلس شمشون في غرفة الجلوس .. وما أن يدخل الشيخ عبد الهادي إلى غرفة زوجته ، فينظر إلى السرير حيث تركها ولكنه يجده فارغاً ، فيدور بنظره في أرجاء الغرفة ، إلى أن يجدها راكعة تصلي وتهمس بدعاء مسموع إلى الله تطلب فيه أن ينجدها مما هي فيه ، ثم تدعو لزوجها وابنها بالهداية ونور البصيرة ، يحترم الشيخ عبد الهادي هذه اللحظة فيدخل وهو يغلق الباب بهدوء ومن خلفه محمد وينتظران حتى تنتهي من أداء صلاتها ، فترفع رأسها إليهما بابتسامة رائعة مريضة ،فيقول لها الشيخ عبد الهادي وعلى وجهه إشراق وأمل:

حرماً يا ست الكل .

فترد عليه و هي تواجه صعوبة في القيام من مكانها:

جمعاً إن شاء الله .

فيتجه إليها الشيخ عبد الهادي بسرعة فيساعدها على القيام ويجلسها على السرير ، ويساعدها على التمدد ثم يغطيها قائلاً:

تبقي تصلي وانتِ قاعدة يا ست الكل .

أم محمد : طالما قادرة أقف قدام ربنا يبقى خلاص .

يطبع الشيخ عبد الهادي على يدها قبلة صادقة ، ويعتـــدل واقفاً وهو يُخرج الأنبوب الذهبي من جيبه الداخلي ، فيرتـــسم على وجه أم محمد ابتسامة تدل على الذهول والعجب ، وهـــي تقول:

غريبة يا شيخ عبد الهادي ، هو ده وقت صيغة ، ده احنا بايعين البقرة وفي عرض مليم .

يضحك الشيخ عبد الهادي وهو يقول :

صيغة ايه يا ست الكل ، ده أنا حآخد الـــصيغة اللـــي في ايديك دي .

تسارع أم محمد بخلع الأساور الذهبية التي ترتديها ، و تخلع طرحتها وتضع الأساور فيها وتناولها للشيخ عبد الهادي وهـــي تقول :

ما أنا قلت لك من الأول خد الأساور ، البقرة لوحـــدها مش حتكفي ، إحنا ورانا هم تقيل ، بس قول لي الأول ايـــه اللي معاك ده ؟

يتناول الشيخ عبد الهادي الأساور ويضعها في جيبه قائلاً :

إن شاء الله الأساور هترجعلك قدهم عشر مرات ، أما اللي معايا ده إن شاء الله يكون فيه الشفا .

أم محمد : دوا جديد يعني ، زيه زي غيره ، بس طالما من ايدك يبقى أكيد ربنا حيجعل فيه الشفا .

يفتح الشيخ عبد الهادي الغطاء ، و يطلب من أم محمد أن تفتح فمها، فتقول: (**بسم الله**) ثم يلقي الشيخ عبد الهادي بالنقطة في حلقها ، ويسارع بإحضار قطعة قماش بيضاء من الدولاب الواقع خلفه ، وتبدأ أم محمد في سعال مُريع لا يُبشر بخير، وتحاول أن تشهق لتتنفس ، ولكنها لا تفلح ، فيحمر وجهها الأصفر الباهت حتى يكاد أن ينفجر من شدة الضغط ، ثم تخرج من فمها رغاوٍ بيضاء ، فيمسح الشيخ عبد الهادي فمها بالقماشة البيضاء ثم يضعها أمامها ، ثم تلفظ من حلقها كرة بيضاء متوسطة الحجم تنحشر في فمها ، و يبدأ وجهها في التحول إلى اللون الأزرق ، فيخرج الشيخ عبد الهادي مطواة صغيرة يغرزها في الكرة المحشورة في فمها ليسحبها بسرعة قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وأخيراً تقع الكرة على قطعة القماش البيضاء ، فتتنفس أم محمد أنفاساً متلاحقة ، لتهدأ بعدها ثم تسترخي وتذهب في غفوة ، فيحمل الشيخ عبد الهادي قطعة

القماش وما عليها إلى المنقد النحاسي ، ثم يسكب الجاز عليها ويشعل فيها النار ، لتشتعل النار الزرقاء ويتمثل داخلها شخوصاً يصرخون وينظرون إلى أم محمد بحقد شديد ، وهي تفتح عينيها بصعوبة ، وتقول في ذهول :

كلهم أهلي ، حسبي الله فيهم .

تبدأ النار في الخفوت لتخلف وراءها رماداً زهري يميل إلى البياض ، فيحضر الشيخ عبد الهادي برطماناً يجمعه فيها ، ثم يحملها ويتجه إلى حائط معلق عليه لوحة مكتوب عليها " بسم الله الرحمن الرحيم " ويضغط على نقش في إطار اللوحة ، ليتحرك الحائط كله ، فيضع البرطمان على رف فيه ، ثم يُخرج بذلتين وهاتفين محمولين ، يضعهم على طرف السرير ثم يُغلق الحائط ، ويجلس الشيخ عبد الهادي بجانب أم محمد وهي نصف مغمضة العين ، قائلاً لها وهو يُقبل يدها :

إزيك دلوقتي ؟

أم محمد : الحمدلله ، أحسن كتير ، بس جسمي كله سايب .

يتأملها الشيخ عبد الهادي ، ليجد أن علامات المرض قد اختفت ، وقد استردت وجنتيها لونهما الوردي ، وقد بدأت تدُب فيها ملامح العافية وهي تقول :

أقوم أقدم حاجة للضيف اللي برة ؟

الشيخ عبد الهادي : انتِ عرفتي منين إن في ضيف برة ؟

أم محمد : شفته قاعد برة بيسبح بسبحتك الخضرا وهو بيبكي ، والغريب إني شفته من عندي هنا بعد ما أخدت الدوا اللي أنت ادتهولي ، وكأنه قاعد معانا هنا .

الشيخ عبد الهادي : سبحان الله ، انتِ مبروكة طول عمرك ، وربنا فاض عليكي من فضله ورحمته وبصيرته ، انتِ تستاهلي كل خير ، لكن استريحي دلوقتي واحنا هنشوفه هيشرب ايه .

أم محمد : بس أنا حاسة إن أنا بقيت أحسن ، هو انت اديتني ايه يا شيخ عبد الهادي ؟ ، و ايه اللي خرج مني وانت ولعت فيه ؟

الشيخ عبد الهادي : أنا مجرد وسيط ، ده ربنا اللي أراد لك الشفا ، و اللي أنا ولعت فيه ده ، المرض اللي خرج منك .

يتناول الشيخ عبد الهادي الأشياء التي أخرجها من الحائط ، ثم يقبل رأس أم محمد استعداداً للذهاب ، فتستوقفه وقد استردت بريق عينيها ، و استواء قامتها ، وارتسمت عليها ملامح الصحة و الإصرار ، و تقول :

بس قول لي قبل ما تمشي ، مين اللي برة ده ؟.

ينظر الشيخ عبد الهادي إلى محمد قائلاً :

روح شوف عمك شمشون يشرب ايه .

تُصدم أم محمد عندما تسمع اسم شمشون ، وتقف مكانها مذهولة وهي تقول :

وتدخله بيتنا يا شيخ ؟؟ ده كل البلد بتقول عليه انه بيشتغل عند طيور الطناوي ، وبيخطف أهل البلد ويوديهم ورا السور ، وماحدش عارف بيحصلهم ايه .

يتبسم الشيخ عبد الهادي وهو يرد عليها قائلاً :

انتِ لسة شايفاه بيعمل ايه يا ست الكل ؟

أم محمد : شايفاه بيسبح ربنا و بيبكي .

الشيخ عبد الهادي : يبقى تصدقي عينيكي وتبطلي تصدقي كلام الناس ، انتِ عارفة ؟، ده لسة مصلي معانا العشا أنا ومحمد .

أم محمد : هو اللي عطاك الدوا اللي أنا شربته ؟

الشيخ عبد الهادي : هو كان وسطة خير بيني و بين صاحب الدوا .

أم محمد : ربنا ينور بصيرقم و يديهم على أد نيتهم.

يعود محمد في تلك اللحظة وهو يقول :

هو مش عايز يشرب حاجة ، وبيقولك يلا بسرعة علشان الساعة سبعة دلوقتي ، والساعة تسعة حيبدأ طيـــور يقابـــل الضيوف ويتلقى الهدايا ، لازم تمشوا بسرعة .

ترتسم على وجه أم محمد ملامح الرعب وهي تسمع اســـم طيبور ، وتقول بحدة :

هو انتم هتروحوا فرح الراسي !!!!! انت عايز تضيعنا يا عبد الهادي ، حتروح برجليك عند عدوينك وعدوين ربنا !! وحتبارك لهم على ايه ، تنهد عليهم وعلـــى دمـــاغ اللـــي عايزهم .

ترتسم ملامح الحدة على وجه الشيخ عبد الهادي ، وهـــو يحاول أن يضع على وجهه ابتسامة يكبح بها جماح نفسه ، وهو يقول لها :

انتِ فاكرة ايه يا ست الكل ، إن أنا مش عارف أنا بعمل ايه ، ولا أنا يمكن بعت ديني وبعت ربنا ، ارمي حمولك على ربنا واتكلي عليه ، وادعي إن ربنا يعديها على خير .

تشعر أم محمد أنها أخطأت فتبكي وتقول بانكسار :

أنا ماقصدش يا شيخ عبد الهادي ، بس لو تريحني وتقول لي انت رايح عندهم ليه ؟

الشيخ عبد الهادي : حتعرفي كل حاجة في وقتها .

أم محمد : اللي تشوفه يا شيخ عبد الهادي ، ربنا معاك ويرجعك لينا بالسلامة .

ثم يغلبها البكاء فيربت عليها الشيخ عبد الهادي ويضمها إلى صدره قائلاً :

ربنا حينصرنا عليهم إن شاء الله ، على فكرة أنا حآخد الحمار معايا ، وماتنسيش تحطي لعنتر أكل ، أنا سامعه بيهوهو من بدري ، ده حيفرح لما يشوفك ، انتِ اللي مربياه

تمسح أم محمد دموعها ، ويخرج الشيخ عبد الهادي من الغرفة ، ويلتقط هاتفه المحمول ، ثم يتحدث قائلاً :

آلو ، الشيخ مرعي ؟

الشيخ مرعي : أهلاً شيخ عبد الهادي ، كل حاجة جاهزة زي ما طلبت ، العربية النص نقل وسرياقوسي سواق عليها ، المهم انت اتفقت مع شمشون على كل حاجة ؟

الشيخ عبد الهادي : ده طلع راجل طيب ، وناوي أصارحه بكل حاجة ، هو عندي هنا في البيت ، ابعت لي العربية على هنا علشان لازم نمشي دلوقتي .

الشيخ مرعي : ربع ساعة وتكون العربية عنـــدك ، ربنـــا معاك ، لا إله إلا الله .

الشيخ عبد الهادي : محمد رسول الله .

ينهي الشيخ عبد الهادي مكالمته الهاتفية ، ثم يـــدخل غرفـــة أخرى ، فيحرك لوحة على الحائط ليتحرك الحـــائط ليتنـــاول حقيبة سوداء يحملها معه ويخرج إلى الغرفة التي يجلـــس فيهـــا شمشون ، فيقول له وهو يناوله أنبوبه الذهبي :

معلش اتأخرت عليك .

فيقول له شمشون وهو ينظر إلى البذلتين :

شمشون : باين عليك جاهز تمام ، كويسة قـــوي البدلـــة دي, هتسهل المهمة كتير قوي .

الشيخ عبد الهادي : أنا كنت عايش وسطهم وعـــارفهم كويس ، بس قبل ما نمشي تعالى معايـــا ، في حاجـــة لازم نعملها الأول .

يخرج من المترل الشيخ عبد الهادي ومن خلفـــه شمـــشون ، ويتجهان يساراً ناحية حظيرة خشبية كبيرة ، يدخلاها حيـــث يقف حمار أبيض اللون ، وفي ركن جانبي ترابيزة خشبية عليها موقد لحام متصل بأنبوب غازي وحامل معدني عليه طبق مـــن الصلب ، يتجه الشيخ عبد الهادي إلى الترابيزة ، ثم يخرج صرة الأساور الذهبية من جيبه ليضعها في الطبق المعدني ، ويُـــشعل

موقد اللحام ، ثم يعلقه أسفل الطبق لتندفع نار مُركزة تـــذيب الذهب ، يُطفيء الشيخ عبد الهادي الموقد ، ويُخرج مـــن دُرج في الترابيزة ماسكاً معدنياً وقالباً معدنياً طويلاً بداخله حلقـــات كروية الشكل مرصوصة بعضها بجانب بعض في انتظـــام ، ثم يلتقط الطبق المعدني بالماسك ليسكب الذهب المُـــذاب داخـــل القالب المعدني ليتخذ الذهب شكل الكُرات الصغيرة ، ينظـــر شمشون إلى كل هذا وهو لا يفهم شيئاً ، و لكنـــه لا يـــسأل وينتظر ؛ يضع الشيخ عبد الهادي القالب المعدني داخـــل إنـــاء مملوء بالماء ، ليُصدر صوتاً ودخاناً ، وبعد لحظات يرفع القالب ثم يطرقه عدة مرات على الترابيزة ، لتسقط الكُرات الذهبيـــة ، فيجمعها وهو يقول :

تصور الحمار ما أكلش من الصبح .

يتجه الشيخ عبد الهادي إلى حزمة كبيرة من البرسيم مُعلقـــة في الأعلى ، يتناولها وينزع منها برسيماً على قدر قبضتي يده ، يضع في كل منها كرتين أو ثلاث من الذهب ثم يدفع بها في فم الحمار ، يكرر ذلك عدة مرات حتى تفرغ الكُرات الذهبيـــة ، فيفهم شمشون كل شيء ، ثم يُسمَع صوت نفير سيارة يُـــدوي عدة مرات ، فيقول الشيخ عبد الهادي :

العربية وصلت ، طبعاً انت فهمت أنا حاعمل ايه .

شمشون : طبعاً ، الحمار ده كمان ساعة حيتبول دهـــب ، يلا بينا .

يخرجان ويسحب الشيخ عبد الهادي وراءه الحمار تجاه العربة نصف النقل الواقفة بالخارج التي ينزل منها السائق ، ليفتح بابها الخلفي ويسحب لوحاً خشبياً ، يضع طرفه على الأرض وطرفه الآخر على الصندوق ليتمكن الحمار من الصعود على العربة ، وما أن يفرغ حتى يُسرع إلى الشيخ عبد الهادي ليسلم عليه ، وتقع عيناه على شمشون فيتسمر مكانه ، فيلتقط الشيخ عبد الهادي يده قائلاً :

إن شاء الله تكون بخير يا سرياقوسي ، سلم على عمك شمشون ، ربنا يفتح عليك يا ابني .

يمد سرياقوسي يده ليسلم على شمشون ، ثم يلتقط لجام الحمار ليدخله في العربة ثم يغلق الصندوق ويركب العربة ، فيقول له الشيخ عبد الهادي وهو يركب مع شمشون في سيارته:

امشي ورانا يا سرياقوسي .

تنطلق السيارتان تنهبان الطريق وقد استغرق الجميع في تصور ما ستأتي به الساعات القادمة .

....

في هذه الأثناء ينتهي عابد من حمامه وينزل إلى الأسفل ، ويجلس منهمكاً في لف سيجارة أخرى ، وما أن ينتهي منها حتى تنزل سارية متسللة وهي تسأل عابد :

في حد هنا ؟

عابد : لأ مافيش غيري ، تعالي ، هو عم مشالي فين؟

سارية : نايم .

تنزل سارية وطرحتها على كتفيها وشعرها المنسدل يبرز جمالها أكثر ؛ يحاول عابد التقاط الحلم من عينيها ولكنها مدفوعة بسر لا يعرفه ، يشعل عابد سيجارته لتنبعث رائحة المخدر الذكية ، بينما تجلس سارية أمامه قائلة :

ممكن أجرب اللي بتشربه ده ؟

ينظر إليها عابد مبتسماً وهو يقول :

انتِ بتشربي سجاير ؟

سارية : لأ مابشربش .

عابد : طب حتعرفي تشربي ده ؟

تقول سارية بدلال : **علمني .**

يناولها عابد السيجارة قائلاً :

خدي النفس ده على صدرك لكن بالراحة ، انتِ لسة أول مرة .

تجذب سارية نفساً خفيفاً ، تُدخله إلى صدرها ، فتسعل سعالاً بسيطاً تحمر على أثره عيناها ، ثم تناول السيجارة لعابد ،

وتدفن وجهها في يديها ، ويتناول عابد عدة أنفاس متلاحقة يكتمها مرة واحدة بصوت مُلفت ، فترفع سارية وجهها ، وأثر المخدر قد ظهر عليها ، فتقول له :

إيه ده انت أكلت السيجارة ؟

ثم تأخذها هيستيريا من الضحك ، وتكرر كلمة : " **أكل السيجارة ... أكل السيجارة** " عدة مرات وفي كل مرة تضحك أكثر وأكثر ، ينظر إليها عابد باستغراب في بادئ الأمر, ثم تنتقل إليه عدوى الضحك ، ثم يقول لها وهو يناولها السيجارة :

عابد : لأ لسة فاضل حتة .

تأخذ سارية السيجارة منه ، وتسحب أنفاساً متلاحقة مثله ولكنها تسعل ولا تقدر على كتمها فتسعل سعالاً قوياً ليتمكن المخدر منها أكثر وأكثر ، ثم تناوله السيجارة قائلة وهي نصف مغمضة العينين :

هو مافيش هنا مزيكا ؟

ينظر عابد حوله لتقع عينه على جهاز استريو حديث ، فيقوم ليضغط على زر التشغيل ، لتنطلق موسيقى أجنبية ذات إيقاع غريب ، وصوت شجي لمطربة تغني:

You my lucky number

فتقوم سارية تتمايل على أنغام الموسيقى ، وتلاحم جسدها مع كل إيقاع يصدر ، ثم يقوم عابد ليدور في دوائر حولها ، وللحظات نادرة يستمر هذا التناغم مع الحركات والمشاعر ، حتى يقطع كل هذا صوت نفير السيارتين وهما تقتربان ، فيتجمد كل شيء ويسرع عابد ليطفيء جهاز الاستريو ، وتنطلق سارية صاعدة السلم بخطوات واسعة .

في تلك اللحظة يدور شمشون بشتك حول الفيلا بالسيارة ، إلى أن يتوقف عند جدار خلف الفيلا ، ليخرج من جيبه جهاز ريموت صغير يوجهه على الحائط ، فيرتفع الحائط ، فيدخل بالسيارة ومن خلفه سرياقوسي بالسيارة نصف النقل ، وينغلق الباب خلفهما ؛ ينزل شمشون ليضيء النور ، فينبعث ضوء يكشف عن جراج كبير تصتف داخله ثلاث سيارات فخمة ، الأولى مرسيدس سوداء عليها أرقام خضراء تدل على أنها هيئة سياسية ، والثانية صفراء سباق من نوع لامبورجيني ، والثالثة عربة فان كبيرة ذات صندوق ضخم كبير مغطى ، وفي نهاية الجراج باب ضخم يتسع لمرور سيارة كبيرة ، يتجه إليه شمشون ويجذب مقبضه لينكشف أمام الجميع سرداب مظلم طويل ، ثم يقول شمشون :

هو ده طريقنا اللي حيوصلنا عند طيبور الطناوي ، بس قبل ما نمشي في شوية حاجات لازم نتكلم فيها الأول .

يغلق شمشون باب السرداب ، ثم يتجه إلى باب آخر يفضي إلى الحديقة المطلة على غرفة الجلوس التي كانوا يجلسون فيها ، ليجدوا عابد جالساً غير منتبه إليهم ، يلف سيجارة أخـــرى ، ويرون عم مشالي ينزل السلم بطريقة لا تناسب سنه الكـــبير ، كشاب في العشرين من عمره ، يلمحهم عم مشالي فيرحـــب بهم, لينبه عابد الذي تمكن التوهان منه ، فيرفع رأســه نـــاظراً إليهم بابتسامة تائهة وهو يقول :

أهلاً... هو انتم جيتوا منين ؟

ثم يحاول القيام ليسلم عليهم ، ولكنه يتـــرنح ، ثم يتمالـــك نفسه بعد أن يصل إليه عم مشالي ليمسك ذراعه ، ينظر إليـــه شمشون بعين خبيرة مبتسماً ابتسامة ماكرة تدل علـــي معرفتـــه ببواطن الأمور ، ثم يقول لعابد وهو يتلقف يده مسلماً عليه :

المزاج عال يا بطل .

عابد : البركة فيك يا باشا .

يدعو شمشون الجميع إلى الجلوس ، ثم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، طبعاً احنا كلنا ماشيين في طريق واحد ، والطريق ده له شوية شروط صغيرة ، لازم كلنا نلتزم بها ، أول حاجة المظهر .....

يقاطع عم مشالي شمشون قائلاً وهو يشير إلى السلم:

احنا عاملين حسابنا .

ينظر الجميع تجاه السلم ، ليجدوا سارية ورميسة ترتـــديان فستاني سهرة آخر صيحة ، يكشفان من مفاتنهما أكثـــر ممـــا يستران ، ينبهر الجميع بهذا الجمال الذي يقتـــرب ، و تتعلــق أبصارهم بالفتاتان حتى تترلان وتجلسان ، ثم يقوم عم مـــشالي ليخلع دثاره الرمادي ، ليري الجميع بدلة سمـــوكن يرتـــديها ، يُكمل شمشون بشتك كلامه مشيراً إلى عابد :

طبعاً البدلة الميري دي اللي لابسها أخونا عابد تودينـــا في داهية.

عابد : أنا شايف إن ممكن تتفضلوا تروحوا الفرح ، و أنا انتظركم هنا .

ترتسم علامات الضيق على وجه ســـارية فـــيلحظ ذلـــك شمشون الذي يبادر قائلاً :

على العموم أنا عندي بدلة جديدة شـــيك قـــوي ممكـــن تناسب عابد .

يهز عابد رأسه شاكراً وهو يتلقى نظرات نارية من ســـارية تنقلب إلى ابتسامة رائعة فور أن يعلن موافقته .

الشيخ عبد الهادي : سرياقوسي أنا عملت حسابه وجايبله معايا بدلة .

شمشون : الساعة دلوقتي سبعة ونص . يادوب نقوم دلوقتي علشان نلحق نوصل ، اتفضل معانا يا شيخ عبد الهادي انت وسرياقوسي ، علشان تغيروا هدومكم، وانت كمان يا عابد.

ينهض الجميع لتغيير ملابسهم ، ويبقى عم مشالي وسارية ورميسة ، اللتان تنهضان متجهتين إلى الحديقة ، تقول رميسة:

أنا خايفة قوي يا أختي من المشوار ده ، وقلبي مقبوض .

سارية : **اللي كتبه ربنا حيكون ، أبوكي راجل عاقل و مش حيودينا في داهية .**

في تلك الأثناء يترل عابد وقد ارتدى بذلة سهرة وصار مظهره ككبار رجال الأعمال ، وما أن يصل إلى المرآة المجاورة لباب الفيلا، حتى ينظر إلى مظهره الجديد بإعجاب ، ثم يقول لعم مشالي :

دي أول مرة ألبس فيها بدلة يا عم مشالي ، أنا خايف آخد على كده .

عم مشالي : بكرة ياما تشوف يا ابني ، انت لسة صغار ، أهم حاجة إنك ماتنساش نفسك .

عابد : هو ده اللي أنا حاسه بالظبط دلوقتي ، حاسس إن أنا نسيت نفسي ، ونسيت البدلة الميري والتراب والقطر .

يضحك عم مشالي وهو يقول :

ربنا يديلك يا ابني وتجيب زيها ، بقولك ايه ، سيب المرايا وتعالى اقعد أحسن تتجنن .

يضحك عابد وهو يتراقص أمام المرآة ، فتلمحه الفتاتان ، فتستغرقان في الضحك ، فيشعر بالخجل ويتوقف عن الرقص ، ويتجه إلى الجلوس بجانب عم مشالي وهو يقول :

أنا حاسس إن ربنا حيكرمنا آخر كرم ، بس شمشون بشتك ده طلع راجل جدع و..........

يقطع كلام عابد نظرة ذهول ترتسم على وجه عم مشالي ، وهو يحدق في السلم الداخلي للفيلا ، قائلاً :

انت مين ؟؟

يلتفت عابد ناظراً بسرعة ليجد رجلاً أجنبياً يلبس بذلة فخمة ، يترل على السلم فيقوم عابد وعم مشالي واقفين متجهين ناحيته ، فيقول عابد :

انت دخلت هنا ازاي ؟

يرد الرجل الأجنبي قائلاً بصوت مألوف :

أنا دخلت من الباب ، ماتخفش يا عابد ماتخفش يا عم مشالي أنا الشيخ عبد الهادي ، بس أنا مغير شكلي علشان الموضوع اللي أنا رايح له محتاج كده .

يتراجع عابد عن موقفه الهجومي هو وعم مشالي ، الـــذي يسلم على الشيخ عبد الهادي وهو يقول :

اسمح لى أحييك على التنكر الرائع ده ، ولو سمحـــت لِيَّ طلب ، ممكن تعملي تنكر زي ده ، حيسهل لي المهمة اللي أنا رايح لها .

يجلس الشيخ عبد الهادي بجانب عم مشالي ، قائلاً له:

لكن اللي أنا أعرفه ، إنه يهمـــك إن طيبـــور الطنـــاوي يعرفك, علشان يبقى سند لك بعد ما تقـــدم لابنـــه الهديـــة النادرة اللي معاك .

ينظر عم مشالي إلى الأرض مطرقاً ، وقد ألقى بـــه كـــلام الشيخ عبد الهادي في هاوية من الأفكار المتلاطمة ، ويبـــدأ في التحدث همساً للشيخ عبد الهادي ، يلحظ عابد ذلك فيقـــوم لينضم إلى الفتاتين في الحديقة ، ثم يقول عم مشالي :

أحلفك يا شيخ إن الكلام اللي حتسمعه مني ده ما حـــد يعرفه غيرك ليوم الدين .

يحلف الشيخ عبد الهادي على ذلك ، ثم يسترسل عم مشالي في حديثه قائلاً :

أنا رايح أقتل طيبور الطناوي ابن الراسي .

يقع هذا الكلام على الشيخ عبد الهادي كالصاعقة فيسأله مذهولاً : ليـــــه ؟ .

عم مشالي : الراسي ابنه حط راسي في الطين وفضحني أنا وبنتي ، انت عارف إنهم سحارين وبيسلبوا عقول النـــاس ، واللي يعصاهم يسلطوا عليه ويرهبوه لغاية ما يبقى طوعهم ، ومن حوالي سنة الراسي زار بلدنا وهو متخفـــي ، وشـــاف بنتي سارية فعجبته فسلب عقلها وضحك عليها ، وأختـــها رميسة مشت وراهم في اليوم الملعون ده ، بتراقبهم من بعيد، طبعاً عرف الفاجر بوجودها قام رامي عليها سحره وســـيطر على عينيها ولسناها ورجليها ، ففضلت متـــسمرة مكانهـــا بتراقبه من بعيد وهو بيعتدي على أختها ، دخنا بيها لغاية ما واحد صالح زيك كده قدر يفك لها رجليها ولسانها ، لكـــن عينها ماطابتش إلا النهاردة ، مابقاش لِّي عين أبـــص في وش أي واحد من أهل البلد ، وأول ما عرفت إن فرحه النهاردة، قلت لازم أوصل له وأقتله هو وأبوه ، وأريح النـــاس مـــن شرهم .

يستمع الشيخ عبد الهادي لهذا الكلام ، وقد ارتسمت عليه ملامح الجد والتفكير العميق ، وسرعان ما يدخل شمشون وقد ارتدى بذلته ، ويحدق في الشيخ عبد الهادي وهو يسأل :

حضرتك مين ؟

فيباغته الشيخ عبد الهادي قائلاً وعلى وجهه ابتسامة :

أنا الشيخ عبد الهادي .

يصفق له شمشون وهو يقول :

رائع يا شيخ عبد الهادي ، قمة في الإبداع ، واضح إن كلكم جاهزين ، أمال سرياقوسي فين؟

الشيخ عبد الهادي : سبق على العربية .

يقول شمشون وهو يتجه إلى دولاب خلفه :

نسيت آخد هديتي معايا

ثم يُخرج من الدولاب علبة قطيفة حمراء ، يفتحها ليريها للجميع ، لتقع أعينهم على خنجر ذهبي مرصع بالأحجار الكريمة ، ينبهر الجميع بدقة صنعه وندرته ، ثم يُغلق شمشون العلبة ، ليترل الجميع إلى الجراج ، ثم يقول شمشون :

ماينفعش العربية النص نقل دي تدخل والحمار عليها مكشوف كده ، حنبقى فُرجة وحنثير الشك ، العربية الفان ممكن تاخد الحمار فيها ونقفل عليه ، ونعدي به من غير ما حد ياخد باله .

يقول الشيخ عبد الهادي لسرياقوسي :

تعرف تسوق الفان اللي وراك دي يا سرياقوسي ؟

سرياقوسي : طبعاً يا شيخ ، أنقل الحمار فيها ؟

يشير إليه الشيخ عبد الهادي بالموافقة ، ويُلقي شمشون بمفاتيح السيارة إلى سرياقوسي .

يركب شمشون السيارة المرسيدس وبجانبه عابد ، وفي الكرسي الخلفي عم مشالي وسارية ورميسة ، ويركب الشيخ عبد الهادي بجانب سرياقوسي ، ثم يضغط شمشون على جهاز التحكم لينفتح السرداب وتسطع أنوار السيارات لتبدد ظلمته ، ثم ينطلق شمشون ومن خلفه العربة الفان .

....

الفصل الثاني

على سقف العالم السفلي

تنطلق السيارتان بسرعة في ذلك النفق الذي يمر تحت الأرض ويقودهم تجاه المجهول ، ومن المصابيح المتناثرة على جانبي النفق أضواء تتقاطع على وجوههم ، وبعد دقيقتين أو ثلاث من السير السريع يصل شمشون بسيارته إلى نهاية الطريق حيث فتحة مظلمة سوداء يدخل فيها شمشون بالسيارة ليتراح زرع كثيف فيدخل الضوء من أعمدة الأنارة التي تنكشف على جانبي الطريق وتتبعه سيارة الشيخ عبد الهادي ، وسرعان ما تستقر السيارتان على طريق سريع تمرق بجانبهما سيارات مسرعة ، يتأمل عابد ومشالي والآخرين اللافتات المتناثرة على جانبي الطريق وأغلبها تهنئة للعريس ، ثم يلي ذلك اسم كبير لصاحب التهنئة وذكر لنشاطه التجاري وصور أخرى للعريس عليها تهنئة أيضاً ، وتطل من وجه العريس الشاب ملامح الخبث والشر ويلمح ذلك عابد ومن معه ، كما توجد صور تتضمن تهنئة لأبي العريس يلحظ عابد فيها مدى بلاهته والغباء الذي يطل من عينيه ويضاف إلى ذلك ابتسامة تُظهر أسناناً كأسنان الحمار ، فيقول عابد للراكبين :

أنا أشك حتى إن الابتسامة دي تدل على السعادة اللي الناس كلها تعرفها ، إنما هي بتدل على نوع تاني من السعادة

وهي سعادة الإنسان من شدة غبائه ومن شدة عـدم فهمـه لأيها حاجة بتحصل حواليه ، فيبتسم مستريح البال .

ينهي عابد كلامه ويغمر الجميع أضواء ساطعة تأتي من كل مكان وتبطئ السيارة حتى تكاد تتوقف خلف صف طويل من السيارات وينبهر الجميع فور أن تقع أعينهم على بوابة ضخمة على شكل فيل عملاق يميل إلى الاحمرار على ظهره هودج فيه تمثال للراسي وعروسه وهما يلوحان بأيديهما ، وعلى جـانبي الفيل حبال مشدودة يتعلق بأطرافها عبيـد سـود يمـسكون بمشاعل وعلى جانبي فم الفيل يخرج نابان طويلان جداً يمتـدان بعرض الطريق كله وأسفلهما على الجانب الأيمن ثماني بوابـات للدخول إلى المدينة ، وعلى الجانب الأيـسر ثمـاني بوابـات للخروج منها ، وما بين قدمي الفيل بوابة عالية ضخمة واسعة مُخصصة لدخول وخروج كبار الزوار مُعلق عليها لافتة تحمل VIPيتجه إليها شمـشون فـور أن يلمحهـا ومـن خلفـه سرياقوسي. ويُخرج الشيخ عبد الهادي جوازي سفر يضعهما على تابلوه السيارة .

وفي السيارة الأخرى يناول عم مـشالي شمـشون ثـلاث بطاقات دعوة ويخرج شمشون واحدة من جيبه ، وما أن يـأتي دوره حتى يناول حارس البوابة الأنيق ذا البدلة السوداء وجهاز اللاسلكي بطاقات الدعوة ، فيرحب بـه الحـارس ويتنـاول البطاقات ويتفحصها ثم يذهب إلى حارس آخر يقف على بُعد

خطوات منه يناوله بطاقات الدعوة فيتحدث بصوت خافت في جهاز اللاسلكي قائلاً :

مساء الخير يا باشا ، آسف للإزعاج .

الطرف الآخر : خير في حاجة ؟

الحارس : لا، استفسار بسيط، معايـا أربـع دعـوات والموجود قدامي خمسة أشخاص في سيارة هيئة سياسية .

الطرف الآخر : هيئة سياسية؟ ... أنت عايز تعملنا أزمة سياسية على نفر زيادة ، خليه يعدي وسهلها ما تعقـدهاش وخلي الليلة دي تفوت على خير.

يجلس الجميع في السيارة أثناء هذا الحديث وكـأن علـى رؤوسهم الطير حتى يأتي إليهم الحارس قائلاً :

آسف على التأخير لكنها إجراءات أمنية ، على العمـوم شرفتونا اتفضلوا حتى لو فيه نفر زيادة مش مشكلة .

ويناوله الحارس لشمشون دعوات الفرح ثم ينطلق شمشون ، ويقول عابد :

أنا مش قلتلكم خليني أنا وروحوا انتم الفرح ده ، أنـا خايف أسبب لكم مشاكل أكتر من كده .

سارية : لا مشاكل ولا حاجة أهي متسهلة أهي .

عم مشالي : أنت نورتنا يا ابني .

يسير شمشون بشتك على الجانب الأيمن من الطريق مُبطئــاً من سرعته حتى يتمكن الشيخ عبد الهادي المتنكر من اللحـــاق به.

عند البوابة يقف سرياقوسي ويناول الحارس جوازي السفر ودعوتي الفرح ، فينظر فيهم الحارس ثم يعيدهم إليه آذناً لهمـــا بالمرور ، ينطلق سرياقوسي وبعد لحظات يلمح سيارة شمشون وهي تومض بإشارة الانتظار على جانب الطريق فيعطيه إشارة بالنور دلالة على رؤيته ويتوقف بجانبه ، فيقول شمشون مبتسماً لعبد الهادي :

عدت على خير يا بطل ، خلي بالك الحمار اللي معاك ده حيجنن الناس هنا ، في أسواق جديدة ماكنتش على أيامك ، مخصوصة للحاجات الغريبة اللي زي كده ، تحب أوصـــلك لحاجة منهم ؟

الشيخ عبد الهادي : أقرب حاجة لعبد العال .

شمشون : قعدة أخوك المفضلة في الويرد فوريسا ، اطلـــع ورايا .

ينطلق شمشون مصدراً صوتاً عالياً بعجلاته الخلفيـــة ومـــن خلفه سرياقوسي ، تنهب السيارتان الطريق لمـــدة دقـــائق ثم تصعدان جسراً علوياً يتجه بهما إلى بقعة متوهجة بالنور، وما أن تنزلان من الجسر حتى تدخلان إلى المدينة ، يتنـــاثر علـــى

جانبي الطريق المُؤدي إليها نفس لافتـات التهنئـة والأضـواء الساطعة ، وفي منتصف الطريق لافتة حمراء مكتوب عليها :

(مرحباً بالزائرين في مدينة ويرد فوريا) يتكرر ذلك بعدة لغات أجنبية ، تصل السيارتان إلى وسط المدينة وينبهر الجميع بمدى غرابة ألوان مبانيها وتصاميم الأبنية العجيبة ، وبالشاشات التلفازية الضخمة التي تنتشر في كل مكـان بعـضها يعـرض إعلانات وبعضها يعرض أغانٍ ساخنة جداً ، كمـا يـستنفر حواس عابد الأزياء المثيرة الغرّيبة التي ترتديها النساء ، فبعضها مفتوح لدرجة أنه يكشف أغلب الصدر والبعض الآخر قـصير لدرجة أنه يكشف الملابس الداخلية وكلها تصاميم غريبـة لم يرها أحد من قبل ، تستغرقه هذه الإثارة التي لا تنتهي طـوال الطريق ، حتى يستفيق على قرصات مصدرها سارية التي تجلس خلفه تماماً ولاحظت هذا الاستغراق المشبوه فيلتفـت إليهـا مبتسماً ويلمح ابتسامة على وجه شمشون وهو يقول :

البلد دي فيها كل حاجة غريبة ، أغنى بلد في إمبراطورية الطناوي ، ومن كتر الفلوس اللي عند الناس بقى عندهم كل حاجة عايزينها ، لدرجة إنهم ملّوا وبيدوروا على أي حاجـة مثيرة تكسر مللهم ، حتى الستات اتجننوا وبيألفوا لـبس ، بص ....

يشير شمشون إلى سيدة تمشي برشاقة ترتدي ملابس جلدية من الأسود والأحمر شبه عارية تمسك بمقود كلب صغير شعره

مصفف بطريقة الكاريه مثل صاحبته تماماً ، تدور رؤوس الجميع مع هذه السيدة حتى يسبقونها بالسيارة وتقع أعينهم على الكلب فيجدونه بعين واحدة في منتصف رأسه تماماً ، فيشهق الجميع وهم يقولون :

ده الكلب بعين واحدة في نص راسه.

فيقول شمشون :

انتو لسة شفتوا حاجة ؟ ...ده في أغرب من كده ، بس للأسف مش هنقدر ندخل دلوقتي نتفرج أحسن الفرح يفوتنا، ممكن نبقى نيجي بكرة .

يتجه شمشون إلى بوابة ضخمة عليها لافتة كبيرة يتوقف قبلها بقليل ثم يأتي عبد الهادي إلى جواره ، فيقول له شمشون :

زي ما أنت شايف اسم المكان يدل على اللي فيه

(the impossible limlit) الأفق المستحيل ، المكان ده مخصص لعرض الأشياء الغريبة وبيعها ، أكيد هتلاقي عبد العال هنا ، على البوابة قل لهم بس إن الحمار ده نادر ، وقل لهم على سره هتدخل على طول ، احنا هنلف وهنرجع على الفرح ، ولو احتجت أي حاجة كلمني على الموبايل هتلاقيني عندك ، في جوة فنادق ومطاعم وكافيتريات خد راحتك .

عبد الهادي : متشكر قوي يا شمشون تعبتك معايا ، وهبلغك بالتطورات أول بأول ، سلام .

ينطلق سرياقوسي وعبد الهادي الذي يتمتم قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم .

يتوقف سرياقوسي أمام البوابة ، بينما يقف الحارسان منشغلان بمداعبة الكلب ذي العين الواحدة ويتحسس أحد الحراس حول عين الكلب التي تطرف عدة مرات فيتأكد الحارس أنه لا خدعة في الكلب ، ويتنبه الحارس الآخر لسرياقوسي ويلمح الشيخ عبد الهادي في شخصيته الأجنبية فيتجه إليه مسرعاً وهو يقول :

Good evening sir، welcome in the impossible limit، can I help you ?

الشيخ عبد الهادي :

I have a phenomena donkey ، it's make a golden toilet ، can I show it here.

يذهل الحارس وهويقول محدقاً :

can I see it ?

عبد الهادي : sure

يترل عبد الهادي وسرياقوسي الذي يفتح الصندوق الخلفي لتقع أعين الجميع على مُؤخرة الحمار وأسفلها بعض البراز

الذي يلمع بداخله الكرات الذهبية ، يتأملها الحارسان بذهول ومن خلفهما المرأة التي تسير مع الكلب ذي العين الواحـــدة ، وبذكاء يتناول سرياقوسي ثلاث كرات ذهبية ينـــاول اثنـــتين لكلا الحارسين وواحدة أخرى للمرأة التي تفتح حقيبتها الجلدية الحمراء لتخرج عدسة صغيرة تضعها على عينها وتقرب الكرة الذهبية منها ثم تصرخ قائلة :

It's gold ، it's real gold ، ohh master you have a treasure.

تعيد السيدة الكرة الذهبية لسرياقوسي وكذلك الحارسان ، فيقول لهم عبد الهادي :

You can keep the gold ، but told every body about my donkey .

تقول السيدة لعبد الهادي :

thank you sir ، I'll told every one about your donkey.

يشكر الحارسان عبد الهادي بتقدير بالغ ، ويُخرِج أحدهما جهازاً لاسلكياً يخبر فيه عن هذا الحمار النادر ، ثم يـــستمع إلى أوامر تطلب منه إرشـــاد الـــضيف إلى the diamond area، يُسرع الحارس ليحضر بطاقة فضية معها خريطة صغيرة يناولهما لعبد الهادي الذي يتناولهما شاكراً ، ويناول الحـــارس

الآخر بطاقة ذهبية للسيدة صاحبة الكلب وخريطة تفتحها على الفور ثم تقول :

واااو دي مسافة كبيرة قوي .

ثم تنظر إلى سيارة عبد الهادي وسرياقوسي يهم بـــالتحرك فتناديه قائلة :

Hi master ، master

يأمر عبد الهادي سرياقوسي بالتوقف على الفور ، فتقترب السيدة بخطوات ماكرة قصيرة سريعة ، وما أن تصل إلى شباك السيارة حتى تقول بدلال بالغ :

can you pick me with you sir، please، please ??

عبد الهادي :

of course ، get in the car

يشير عبد الهادي إلى سرياقوسي الذي ينزل مسرعاً ليفـــتح باب السيارة وهو يتمتم قائلاً :

يا ساتر الستر استر يا رب .

فتركب السيارة وهي تردد كلمات شكر كـــثيرة ، يعـــود سرياقوسي إلى مكانه وهو يهمس لعبد الهادي في أذنه :

خطر قوي كده .

يرد عبد الهادي حريصاً على ألا تسمعه السيدة هامساً :

ماتقلقش هتنفعنا قوي .

ينطلق سرياقوسي وهو يتناول الخريطة لينظر فيهـــا تـــارة وينظر إلى الطريق تارة أخرى ، فيقول له عبد الهادي :

مش مخم مش مخم سرياخوسي ، اخنا نلف شـــوية جـــوا الأول

السيدة :

wow ، it's very good idea ، ohh sorry، you don't know me yet ، I'm Suzy Raslan ، I'm living here ، you can visit me at any time sir ، and this is my personal card.

وتناول سوزي عبد الهادي الكارت الخاص بها ، فيأخـــذه منها شاكراً ويعرفها بنفسه قائلاً :

I'm Master Nicolas Arnold from USA.

سوزي :

You welcome.

عبد الهادي :

Can you show me some coffee shop here please، but I want the best

سوزي :

Ok، tern right now ، لف شمال يا أسطى

يدور سرياقوسي كما قالت ويسير ببطء وبعد قليل يقتربون من قهوة ، يتفحص عبد الهادي وجوه الجالسين فيها ، باحثاً عن عبد العال ولكنه لا يجده فيقول :

It's not good ، can you show me another one please ?

سوزي :

You want the very expensive one، I will take you to "Wesley Spako coffee shop"

الشارع اللي جاي يمين يا أسطى

يدخل سرياقوسي الشارع ويجده مليئاً بالمقاهي ، ويتأمل عبد الهادي وجوه الجالسين والماشين ، وسرعان ما يصل سرياقوسي إلى ميدان كبير في وسطه تمثال رائع لـ "سلفادور دالي" وحوله عدد من الرسامين المستغرقين في الرسم ، ويدور سرياقوسي حول الميدان ويمرون على عدد من المقاهي الفخمة ،وعلي مقهي " ويسلي سباكو" يرى عبد الهادي عبد العال جالساً وحيداً مستغرقاً في تدخين شيشة ذهبية بارعة الصنع ، تمر السيارة أمامه حتى تصل إلى شارع جانبي فيشير عبد الهادي إلى سرياقوسي حتى يدخل فيه فتقول :

لأ مش الشارع ده.

وبعد أن يسير سرياقوسي مسافة قصيرة يشير إليـــه عبـــد الهادي بالتوقف ، فيتوقف جانباً يلتفت عبد الهادي إلى سوزي قائلاً :

I want favor from you please; in Wesley Spako ، someone is sitting alone ، smoking a golden shesha ، I want him know about my golden donkey ،please، go there ، and sitting beside him ، and be worry about you waiting someone you will buy a golden donkey from him .

ثم يخرج عبد الهادي رزمتين نقديتين من فئـــة المائـــة دولار يناولهما لسوزي قائلاً :

This is a down payment from. the donkey's price ، you will give me the money front him ، ok?

تبتسم سوزي بخبث قائلة :

After that mission، this money will be mine?

عبد الهادي :

Yes ، from this moments it's yours .

تقفز سوزي لتقبل عبد الهادي عدة قبلات مجنونـــة وهـــي تتقافز بسعادة ، وتحمل الكلب استعداداً للنزول فيستوقفها عبد الهادي قائلاً :

But leave the dog here please، and after ten minute we will arrive front of the coffee shop.

سوزي :

Ok.

تهبط سوزي من السيارة بعد أن تترك الكلب ذا العين الواحدة داخلها ، وتخطو بخطواتها المثيرة وملابسها شبه العارية تجاه ويسلى سباكو، ويقول سرياقوسي لعبد الهادي :

بس الفلوس دي مش كتير يا شيخ ؟

عبد الهادي : دي فلوس مضروبة مالهاش قيمة .

سرياقوسي : بس عبد العال ممكن يعرف إنها مزورة .

عبد الهادي : وعبد العال ايه اللي هيمسكه الفلوس دي؟, الفلوس دي هي حتديهالي قدامه بس مقدم لتمن الحمار ، فهمت ؟

يومئ سرياقوسي برأسه دلالة على فهم الخطة ، في تلك الأثناء تصل سوزي إلى الكوفي شوب ، وتنتقي مكاناً قريباً جداً من عبد العال ، الذي يلفت نظره ملابسها العارية التي تكشف عن جسدها المثير ، فيرفع عينه نصف النائمة ويرسل إليها ابتسامة رقيقة ، فترد له ابتسامته وهي تشير بيدها قائلة:

Hi .

فيرد عبد العال:

أهلاً وسهلاً.

فتتحرك قليلاً لتصبح في مواجهة عبد العال تماماً وتضع رجلاً على رجل حتى تظهر ملابسها الداخلية ، يصوب عبد العال عينيه إليها ولا يرفعهما عنها وهو يمتص أنفاساً متلاحقة من الشيشة التي يدخنها ، تفتح سوزي شنطتها لتخرج هاتفاً محمولاً لتتصل برقم وهمي ثم تتحدث قائلة :

هالو ، ايوة يا سرياقوسي انتم فين ؟ ، أنا قاعدة على كافيه ويسلى سباكو على ميدان سلفادور دالي ، أنا جاية معايا العشرين ألف دولار المقدم ، بس ياريت يطلع فعلاً الحمار بيعمل دهب زى ما بتقول ، قدامك أد ايه ؟ .... كويس ...... كويس .... باي .

تعيد سوزي الهاتف إلى شنطتها ، وقد تركت هذه المحادثة وقعاً ساحقاً على عبد العال الذي اتسعت عيناه ، وصار يأكله الفضول ، وهو يتحرق شوقاً إلى معرفة ما يدور ، فيبادر قائلاً:

يا مدام خلي بالك من النصابين ، هو في حمار مقدمه عشرين ألف دولار ؟

تبتسم سوزي بترق وكأنها لم تلحظ سخريته وهي تقول له:

ده منجم دهب يا حبيبي مش حمار عادي ، ده حمار بيعمل تويلت دهب وصاحبه خواجة مش من هنا وبيبيعه ، وحظي الحلو خلاه وقع في ايدي ....

يقطع كلامها ظهور سيارة عبد الهادي وهي تتوقف أمـــام الكوفي شوب ، فتقول سوزي :

أهم وصلوا .

فتقوم من مكانها متجهه إلى السيارة وتتـــرك عبـــد العـــال وراءها وهو يكلم نفسه قائلاً:

معقول فيه حمار بيتبول دهب !!؟؟

فيقوم وراءها وقد صار متحفزاً للوقوف على ســـر هـــذا الحمار كاملاً ، فيترل عبد الهادي من السيارة وقـــد تغـــيرت شخصيته تماماً ، حيث يرحب بسوزي فارداً ذراعيه وهو يقول لها:

Hello my sweet darling، you're very beautiful today.

يحتضنها عبد الهادي وهو يقبل وجنتيها بشغف ، ثم تقـــع عيناه على عبد العال آتياً من ورائها ، فيُظهِر أنه حَسِبَه معهـــا فيسلم عليه بحرارة ، في تلك الأثناء يقوم سرياقوســـي بفـــتح الباب الخلفي للسيارة ، فيصطحبهما عبد الهـــادي لمـــشاهدة الحمار ، وبذكاء تفسح سوزي مكاناً لعبد العال خلف بـــراز الحمار تماماً المذركش بالكرات الذهبية ، يذهل عبد العال ويمد يده المرتجفة ليلتقط كرتين ذهبيتين ، وتلتقط سوزي كـــذلك كرة ذهبية وتتفحصها ، بينما يخرج عبد العال عدسة صـــغيرة

يضعها على عينه ويقرب الكرتين الذهبيتين منـــها ، ثم يـــصفر قائلاً:

دهب عيار ٢٤ ،معقول ده ؟

في تلك اللحظة تخرج سوزي العشرين ألف دولار وتناولهم لعبد الهادي الذي يقول لها بعربي مكسر:

شكراً شكراً.

سوزي :

Tomorrow at ١١ o'clock I will get you ٦٠,٠٠٠ dollars.

عبد الهادي :

Ok، I'll waiting، but the donkey will still with me .

سوزي : Ok.

يقاطعهما عبد العال قائلاً :

استنى يا خواجة ، بقى الحمار ده يسوى ٨٠ ألف دولار بس ، أنا أدفع فيه ١٢٠ ألف دولار .

عبد الهادي :

What he said? He said dollars ، what dollars ?

سوزي : **Nothing .**

وتتأبط سوزي ذراع عبد الهادي وتستدير ليركبوا السـيارة بينما يهمس سرياقوسي لعبد الهادي فيظهر على عبد الهـادي ملامح الضيق وهو يقول :

I didn't understood what he said، get someone understanding English and Arabic ، except you Suzy

يجول عبد الهادي بعينيه ، وتمثل سوزي ملامح الضيق وتزفر عدة زفرات ، وتقع عين عبد الهادي على الرسامين المـتجمعين في الميدان ، فيتجه إليهم بسرعة وهو يقول بصوت عالٍ :

Any one understanding English and Arabic language here?

يرفع عدة رسامين أيديهم ويختار عبد الهادي أكبرهم سـناً ويطلب منه أن يصاحبه ليترجم له حواراً ، ويذهب به إلى عبد العال الذي يعيد ما قاله مرة أخرى ، ويترجم الرسام قائلاً :

He said that he can pay ١٢٠,٠٠٠ dollars for this donkey.

يرتسم على وجه عبد الهادي ملامح السرور ، ويعيد النقود إلى سوزي ، ويسلم على عبد العال قائلاً :

مبروك مبروك

ثم يرن الهاتف المحمول الخاص بعبد الهادي ، فيرد ويأتيه من على الطرف الآخر صوت شمشون قائلاً :

ازيك يا عبد الهادي عملت ايه ؟

عبد الهادي :

How are you sir? .... I didn't sell it yet ، .... ohhh ١٥٠,٠٠٠ dollars ، ok ، the donkey is for you .

ينهي عبد الهادي المكالمة ويقول للرسام طالباً منه الترجمة لعبد العال :

Told him ، I'm sorry ، someone will get the donkey for ١٥٠,٠٠٠ dollars .

الرسام مخاطباً عبد العال : هو آسف مش هيقدر يتمم البيع ، علشان في مشتري تاني هيدفع ١٥٠ ألف دولار .

يغضب عبد العال قائلاً :

مشتري تاني مين ؟ قوله أنا هدفع ١٧٠ ألف دولار وهروح أجيب الفلوس كلها كوم واحد دلوقتي .

يترجم الرسام لعبد الهادي ما قاله عبد العال ، فيوافق ويخبره أنه سينتظر حضوره بالنقود ، يغادر عبد العال بسرعة ناحية سيارة رياضية يركبها وينطلق مسرعاً ، وتجلس سوزي في تلك الأثناء تتناول مشروباً وترقب ما يحدث ، وما أن تنهي مشروبها حتى تقوم وتودع الجميع بابتسامة رائعة ويسلم عليها عبد الهادي قائلاً :

مع السلامة ، اوعى تكون زعلان.

ثم يشير إلى سرياقوسي بأن يوصلها إلى أي مكان تريده ، فينطلق سرياقوسي ومعه سوزي ، ويشكر عبد الهادي الرسام الذي يعود إلى الميدان ليكمل رسمه ، بينما يجلس عبد الهادي ويطلب من الخادم كوباً من الشاي ، يرتشفه على مهل ، وما أن ينتهي منه حتى يعود سرياقوسي ، ومن خلفه يتوقف عبد العال بسيارته الرياضية ، ومن خلفه سيارة نصف نقل كبيرة مغطاة ، يترل عبد العال من سيارته وعلى كتفه شنطة سوداء متوسطة الحجم ، فيقوم عبد الهادي واقفاً مرحباً بعبد العال ، الذي يضع الشنطة السوداء أمامه ويفتحها ليريه النقود بداخلها فيتناولها عبد الهادي قائلاً باللغة العربية بصعوبة :

كله سليم تمام ، أنا غداً هكون هنا إذا أردت أي شيء .

ثم يشير إلى سرياقوسي بأن يخرج الحمار من السيارة ، ويترل سائق سيارة عبد العال نصف النقل ليأخذ الحمار ويضعه في سيارة عبد العال ، وفي تلك الأثناء يقول قائد السيارة نصف النقل الخاصة لعبد العال :

الفلوس اللي اديتهاله دي مضروبة ولا سليمة ؟

عبد العال : سليمة يا سيدي ، ده خواجة صايع ، والعملة دي بتاعتهم وعارفها زي ما هو عارف كف ايده ولو كشف إن الفلوس مضروبة هتتقلب الدنيا علينا ، انت عارف إنهم بيعملوا هنا للخواجات ألف حساب .

قائد السيارة : الحمار ده يستاهل برضـــو ،هيرجعولـــك مليون يا ريس .

عبد العال : الفلوس اللي دفعتها له كمان هترجع ، أنـــا موضب للخواجة ده توضيبة ما تخرش المية ، وماتوديناش في داهية ، الأهبل بكرة هيبقى موجود هنا زي دلوقتي .

يركبان سيارتاهما وينطلقان مسرعان ، ثم تـــضيء شاشـــة ضخمة معلقة على سطح أحد المباني المطلة على الميدان ويدوي صوت مذيع يتردد صداه في الميدان كله .

المذيع : والآن على الهواء مباشرةً ننقل إليكم حفل زفاف الغالي (الراسي طيبور الطناوي) .

وتنطلق أصوات صاخبة للمدعووين من عامة الشعب الذين يتجمعون في ساحة ضخمة أُعدت لحفل الزفـــاف ، ثم تليهـــا أصوات موسيقى ، ثم يقول المذيع :

مع أولى فقرات الحفل التي تحييها المطربة العالمية " مـــون ساراتكا بايين ".

تنطلق عاصفة من التصفيق الحاد يليها موسيقى غربية خليط ما بين الموسيقى المغربية والغربية ، وتدخل فرقـــة استعراضـــية مكونة من عدة رجال حليقي الرؤوس يدورون في دائرة واسعة حول أنفسهم وأيديهم على أكتافهم ، ويرددون أثناء دورالهم كلمة "راسي " ويخرج كل منـــهم وشـــاحاً أزرق يرميـــه في المنتصف حتى يصبح المركز الذي يدورون حوله أزرق تمامـــا ، ويتسارع دورالهم وترتفع البقعة الزرقاء وكألها وشاح واحـــد

تدريجياً حتى يصل إلى مستوى رؤوسهم وقـد زادت سـرعة دورالهم جدا ، فيتفرق الوشاح لأوشحة صغيرة مـرة أخـرى ليخرج من تحته عدة راقصات ، فيبطأ رتم الموسيقى السـريعة ويتوقف الرجال عن الدوران تماماً ويجلسون على الأرض حول الراقصات ، وينساب صوت تخت شرقي ، تقود فيه ايقاعـات الطبلة التشكيلات الرائعة التي تؤديها الراقصات ، وتتـسارع الموسيقى مرة أخرى وتمتزج بإيقاعات التخت الشرقي ، وتدور الراقصات في دائرة وهن يرعشن بطوهن وحـولهن الرجـال يصفقون بقوة ، وتُلقي كل راقصة وشاحا أحمر موجوداً علـى كتفيها في مركز الدائرة التي يَدُرن حولها ، ثم يتسارع دورالهن وهن يرعشن بطوهن بجنون فيرتفع الوشاح الأحمر ، ومـا أن يصل إلى مستوى رؤوسهن حتى يتفرق لعدة أوشحة ، وتظهر المطربة " مون ساراتكا " لتنطلق عاصفة من التـصفيق الحـاد تزلزل المكان ، ثم يسود هدوء غريب لتخرج آه ممطوطة منغمة تأسر القلوب تصل إلى عنان السماء ، وما أن تنتهي حتى تدق طبول بانتظام، فيحمل كل رجل راقصة وتشكل الفرقة دائرتين تسيران عكس بعضهما حول مون ساراتكا التي تبدأ في التمايل على إيقاع الطبلة والباص القوي اللذان يهزان أرجاء المكـان ، وتأخذ في الغناء بسحر.

في تلك اللحظة يشير عبد الهادي إلى سرياقوسـي الـذي تسمر محدقاً بذهول في الاستعراض السحري الذي يعرض على الشاشة العملاقة ، ينتبه سرياقوسي فيقول له عبد الهادي :

الفاجر ده شكله موضب لنا حاجة يسرق بها الفلـوس ، يلا بينا نمشي .

سرياقوسي : حنروح فين يا شيخ دلوقتي ؟

يخرج عبد الهادي من جيبه كارت سوزي وينظر فيه ويقول لسرياقوسي :

يلا بينا على سوزي ، ما نعرفش حد غيرها هنا .

ثم يسرعان إلى السيارة وينطلقا إلى بيت سوزي .

٢- فرح الراسي

يصل شمشون ومن معه إلى مدينة الطناوي حيث يُقام الفرح وتنتشر في أرجاء المدينة الشاشات العملاقة التي تعرض صـــورا ثابتة للراسي مع عروسه قبل بدء الحفل وتنتشر في الـــشوارع الأنوار والزينات والمارة يتراقصون على أنغام الموســـيقى الـــتي تصدح من كل مكان ، يصل شمشون إلى شـــارع كـــبير في المدينة على أوله حاجز يعترض الطريق يقف عنـــده حراســـا يرتدون ملابس القرون الوســـطى والباروكـــات البيـــضاء ، يتفحصون دعوات الحضور ويسمحون لأصحاب الـــدعوات بالدخول ، يتوقف شمشون أمام الحاجز بعـــد دخـــول عـــدة سيارات كانت متوقفة أمامه ، يلمح الحـــارس أرقـــام الهيئـــة السياسية على السيارة فيؤدي تحية رسمية وينحني قائلاً :

أهلاً يا فندم ، الدعوة من فضلك .

يناوله شمشون الدعوة فيسمح لهم بالمرور قائلاً:

أول شمال يافندم ، باركينج كبار الزوار عليـــه علامـــة VIP. يدخل شمشون ويمشي حسب إرشادات الحارس ويصل في الباركينج الذي فيه شاشة عملاقة يختفي من عليها صـــورة الراسي وعروسه لينطلق صوت المذيع معلناً بدء حفل زفـــاف الراسي ؛ تتوقف سيارة شمشون فيتقدم تجاهه حارس آخر يسير أمامهم حتى يصل بهم إلى بوابة سوداء مزينة بنقوش ذهبيـــة ، يضغط الحارس على زر بجانبها فتنفتح البوابة ، ليدخل الجميـــع

إلى ردهة مزينة بأفخر أنواع الأثاث منتشر حولها عدة أبواب تتوسطهم بوابة فخمة جداً يفتحها الحارس لتقع أعينهم على بهو فسيح يضم علية القوم الذين يجلسون على موائد دائرية متناثرة في أرجاء المكان يشاهدون الحفل من نافذات زجاجية ضخمة تطل مباشرة على الساحة وبجانب كل مائدة فتاة ترتدي تنورة قصيرة واسعة وصديرية تكشف أغلب الصدر ، تتقدم تجاههم فتاة تقف بجانب مائدة فارغة تقودهم إليها ، فيجلسون ثم تقول الفتاة :

ممكن أتشرف باسم العظيم اللي حيقدم الهدية ؟

يرد شمشون :

مشالي السرساوي .

المضيفة : **ممكن أعرف نوع الهدية ؟ .**

عم مشالي : أنبوبة زيبق أحمر ، ورقصة مني للعريس في كوشته.

تبرق عين الفتاة ويقتمع وجهها ويدفعها الذهول إلى أن تسأل فيما لا يخصها :

معقول زيبق أحمر !!؟؟

يرد شمشون بضيق :

أيوة معقول قوي، كل الغالي للغالي الراسي ، عندك مانع ؟ ترتبك المضيفة وهي تعتذر عدة مرات ويحمر وجهها

خجلاً ، وتنصرف مسرعة ناحية رجل يبدو عليه أنه المسئول عن القاعة ، فتقول له وهي تحاول أن تحافظ على رباطة جأشها:

في واحد اسمه مشالي السرساوي هيقدم هدية للعريس أنبوب زيبق أحمر ، بلغ الخبر ده عند العريس وخليهم يبعتوا حد كبير من عندهم بسرعة .

يطلب منها الرجل أن تشير إلى المائدة التي يجلسون عليها ، وما أن يراهم حتى يبلغ في جهاز لاسلكي يحمله عن نوع الهدية واسم صاحبها ويصفه ويصف من معه ، فيرد عليه الطرف الآخر بأنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم ولكنه يطلب منه الترحيب بهم حتى يأتي إليه من يقودهم إلى تقديم الهدية ، يتجه الرجل على الفور ناحيتهم ويرحب بهم بحرارة شديدة ، ثم ينفتح باب يقود إلى القاعة الكبرى التي يجلس فيها العريس ويتجه إلى مائدتهم ، فيتعرف عليه شمشون فيقوم واقفاً وهو يقول له :

شادي باشا ، وحشتني جداً .

شادي : شمشون باشا ، الناس العظيمة دي معاك ؟

شمشون : أنا حرصت على سلامتهم وعلى سلامة الهدية الغالية اللي معاهم لغاية ما يوصلوا للغالي الراسي .

شادي : طيور الطناوي مش حينسالك الجميل ده أبداً ، ومن النهادرة حتقعد معانا هنا ، حترجع الأمور زي ما كانت

وأحسن ، اتفضلوا فخامتكم علشان تقدموا الهدية للراسي ، هو في انتظاركم مع والده وعمه زُريق الطناوي في القاعة الملكية .

يسير أمامهم شادي الذي يتحدث في جهاز لاسلكي معه ويأمر مذيع الحفل أن يقدم عم مشالي وهديته ، فينطلق صوت المذيع وينزل هذا الكلام كالصاعقة على جميع الحضور الذين يفسحون الطريق لشادي وعم مشالي ومن معه ؛ يتأمل عم مشالي نظرات المودعين النارية التي ترمقه حتى تكاد قدماه أن تخذلاه ، و يشعر أن نظراتهم تريد أن تنزل الأنبوب من مكانه السري داخل عصاته ، ويراهم بخياله وكأنهم تحولوا إلى جبال بشرية تجحظ عيونهم وتمتد أيديهم إليه وتنفتح أفواههم الجائعة لنقطة من هذا الزئبق الذي يحمله معه ؛ يحول عم مشالي نظره عنهم ، ويقبض على عصاته وهو يخطو في صمت مطبق ، بالرغم من كل من قدموا هدايا قبله قد صاحب دخولهم تصفيق حاد .

يصل الجميع إلى باب القاعة الملكية المصنوع من الذهب الخالص ، ويدخلون على بساط أحمر يؤدي إلى مجلس الراسي وعمه ووالده ، ويقتربون من المجلس المُبجل وترتجف قلوب الجميع مع كل خطوة تقودهم إلى الأمام ، يصل شادي وشمشون أولاً فينحنيان أمام الراسي الذي يجلس على يساره

عمه الذي ينظر باستهانة للجميع وكأن الأمر لا يعنيه في شيء, وعلى يمينه طيبور متهدل الفم وكأنه لا يفهم شيئاً ، وينظر الراسي بعينه المسحوبة كأعين الثعالب إلى شمشون نظرة كريهة, ثم يعتدل شادي قائلاً :

نرجو من فخامتكم قبول هدية خادمكم مشالي السرساوي ، الذي أتى بصحبة صديقنا القديم شمشون بشتك ....

يقاطعه الراسي بوقاحة قائلاً :

معرفش حد اسمه مشالي .

يتنحنح شادي مستطرداً مُظهراً الخضوع والأدب الشديد ثم يكمل حديثه :

وبتواضع شديد يقدم لفخامتكم ، أنبوب من الزيبق الأحمر ورقصة أمام كوشة العريس .

الراسي : مافيش حاجة اسمها زيبق أحمر ، بنسمع عنه بس.

يتقدم عم مشالي تجاه الراسي وينحني ثم يضغط على العصا ليخرج منها الأنبوب الثمين ، ويتقدم خطوتين وهو يمد يده إلى الراسي بالأنبوب ، ينتفض الجميع واقفين فور أن تقع أعينهم على أنبوب الزيبق ، وتجحظ عين زُريق الذي ينحني مقترباً

بشدة من يد الراسي التي ترتعش وهي تتناول الأنبوب من عم مشالي ، ويفغر طيبور فاه المتهدل أكثر وأكثر وهو يقول لابنه:

وريني يا وله فيه خياطة ولا مافيهوش .

يمد الراسي يده بالأنبوب لوالده ، وقد ارتسم على وجهه ذهول شديد ، ويدقق النظر في الأنبوب ، بينما يُحدق فيه بحقد وحسد شديدين زُريق الطناوي ، ثم يقول طيبور :

ده زيبق أحمر فعلاً مافيش خياطة .

يقبض طيبور كف يده على الأنبوب وهو ينظر بقلق إلى زُريق الذي أخذ يُحدق فيه بطريقة غريبة ، فيضع طيبور الأنبوب في جيبه ، ويقوم ومن خلفه الراسي وزُريق فيسلم على شمشون الذي يلتقط يده ليقبلها فيجذبه طيبور إلى حضنه وهو يقول له: **وحشتني يا حبيبي يا مجرم .**

ثم يقرص خده ، ويحتضن عم مشالي ويقبله ويسلم على الباقين وهو يرسم على وجهه ابتسامة مجاملة عريضة ، ويحتضن الراسي شمشون كذلك ويهمس له في أذنه :

علشان الهدية الحلوة دي ، أنا حسامحك ومرحب بيك في أي وقت في أي قصر تختاره حتى لو القصر بتاعي .

ثم يمسك برأسه ويقبلها ، ويسلم على عم مشالي ويحتضنه ، وما أن تحس سارية بقربه حتى تسدل وشاحها اللامع على جانبي وجهها ، وأثناء ذلك يقول الراسي لعم مشالي :

أنا فعلا ماعرفكش ، لكن بعد الهدية الغالية دي ، انت في منزلة والدي ، اتفضل اقعد معانا العروسة زمانها جاية .

ويتأبط ذراعه بينما يتأبط طيبور ذراع شمشون ، ويقف زُريق ويده في وسطه يرقب ما يحدث وقد ركبه هم وغم شديدان ظهرا على ملامحه ، إلا أنه عندما يقترب منه طيبور والراسي ومعهما ضيوفهما ، يرسم جاهداً ابتسامة عريضة على وجهه بل ويشير إلى سارية ورميسة وعابد أن يجلسوا إلى جانبه, يجلس الجميع بينما يقول طيبور لعم مشالي الذي جلس جانبه:

أنت نورتنا ، لكن انت عرفتنا منين ؟ وطبعاً كلنا بنشكرك على الهدية الغالية دي ومقدرين جميلك .

عم مشالي : كل الناس الأكابر يعرفوك وخدامينك ، وخدامين التراب اللي بتمشوا عليه ، احنا مش طالبين إلا رضاكم وتقبلونا من خدامكم .

طيبور : اتمنى عليّ أي حاجة انت راجل كلك أصل وواجب .

عم مشالي : أتمنى أرقص في فرح الراسي .

طيبور : ده احنا نزداد شرف ....

يقطع كلام طيبور الشاشة الفضية المعلقة في سقف القاعة بعد انتهاء مون ساراتكا من أغنيتها ، ويعلن المذيع عن وصول العروس وينعقد لسانه من الدهشة حيث تصل العروس على هودج مُذهب يتمايل على ظهر فيل أحمر اللون حوله عبيد زنوج يدقون على طبول زرقاء ويتناغم معهم صدى مزمار رائع ، يمشي الفيل بخطوات متزنة على إيقاع الموسيقى وكأنه مُدرب على ذلك ، ينبهر الجميع بالموكب الهائل الذي أخذ يتقدم داخل أرض الساحة المترامية الأطراف حتى يتوقف أمام باب القاعة الملكية المطلة على الساحة ، وبهدوء شديد يترل هودج العروس على سير معدني عريض يلتف حول بطن الفيل, ما أن يقترب الهودج من الأرض لتتركز عليه عدسات المصورين وينفتح بهدوء ليترل منه درجتان سلم من القطيفة السوداء المطرزة بالذهب تخطو عليه العروس رائعة الجمال ، وهي تقطر أنوثة وتبتسم ابتسامة رائعة تُلهب مشاعر كل الموجودين الذين يطلقون صرخات الإعجاب والاستحسان لأميرتهم الجميلة ، ويقوم الراسي واقفاً بعد أن سلبه جمالها ، ويقوم من مكانه ويهم بأن يخطو إلى الأمام ليقابل عروسه ، ولكن أبيه يستوقفه قائلاً :

انت حتروح تقابلها بنفسك ؟! .

ويتدخل زُريق في الحوار ليزيده سخونة :

أنت حتخليها تركبك من أولها ؟!.

طيبور : هي تيجي لحد هنا وتركع زيها زي غيرها .

في تلك الأثناء تتهادى العروس ومن خلفها حاشية ضخمة تحمل أشياءها وملابسها الثمينة ، تتعلق أنظار الراسي بالبوابة التي تُفتح بينما يحدثه والده وعمه ، فينظر لهما باستهانة وازدراء, ويخطو بخطوات واسعة تجاه عروسه ، وسط تصفيق متواصل من الحاضرين استحساناً لموقفه غير المسبوق ، يفاجأ طيبور وزُريق برد فعل الحاضرين ويشعران بخطأ رأيهما ، ويفاجئ شمشون الجميع حيث يقوم وراء الراسي الذي وصل إلى عروسه ويقبل يدها ، وما أن يصل شمشون أمام العروس حتى يركع أمامها فيصفق الجميع ، ثم يقوم من مكانه وهو يشير إليها بالتقدم مع عريسها إلى الأمام ويسبقهما إلى المجلس الملكي ويهمس لعم مشالي في أذنه بضرورة القيام هو والآخرين لإفساح المجال للعروس ، فيقومون ويرشدهم شمشون إلى مائدة فارغة ملاصقة للمجلس الملكي يجلسون عليها ، وتصل العروس وينحني الراسي وتنحني العروس أمام طيبور وزُريق ، اللذين يرحبان بها ويدعوانها إلى الجلوس وسطهما ويتفاجأ الجميع إذ يتحرك المجلس الملكي على الأرض بهدوء متجهاً إلى ساحة الاحتفال ومن خلفهم شمشون وعم مشالي ومَن معهم ، ومن ورائهم باقي الحضور ، وما أن تقترب العروس داخل مجلسها الملكي المتحرك حتى تهتف لها حاشيتها ويطلق الفيل نفيراً قوياً

ويتراجع مُفسحاً لها الطريق ، ويهتف الجميع بحياة الراسي وعروسه التي أسرت قلوب الجميع من أول نظرة ، وعلى بساط أسود مطرز بالذهب يستقر المجلس الملكي ، وبعد لحظات يُشير طيبور إلى المذيع أن يقترب فيتناول طيبور الميكروفون منه ويقول فيه :

مساء الخير عليكم جميعاً ، ودايماً أفراح ، وفي اليوم العظيم ده معايا أخ وصديق عزيز ، كل أمنيته إنه يرقص في فرح الغالي الراسي ، وأنا بدعوه لتحقيق أمنيته .

يصفق الجميع ويقوم عم مشالي من مكانه ومن خلفه سارية ورميسة ، ليتوقفوا في منتصف المكان ، وتبدأ موسيقى تتسارع بالتدريج وتتماوج فيدور معها عم مشالي وهو يرفع عصاته في الهواء وتتمايل من خلفه سارية ورميسة ، ويرقص الجميع ببراعة تلاقي استحسان الجميع فيصفق الحاضرون عدة مرات وتقترب الرقصة من نهايتها ويتسارع إيقاع الموسيقى ويدور عم مشالي حول نفسه عدة مرات ويفاجأ الجميع في إحدى دوراته بأنه يدور مرتفعاً في الهواء ويقترب وهو يدور في الهواء من الراسي الذي تعلقت عيناه على عم مشالي متعجباً من كيفية استمراره هكذا ويفتح فمه فيتهدل كفم والده وتظهر عليه علامات البله ، وتتركز عين عم مشالي عليه ويقترب منه أكثر وأكثر ، فإذا به يضغط على عصاته ليُبرز من طرفها نصلاً لامعاً ينهي به عم مشالي دورته في الهواء وهو يغرزه في قلب الراسي ويُذهل

الجميع للحظات وتتوقف الموسيقى ويسود صمت لحظي يقطعه صرخات العروس التي صُدمت بمنظر الدماء التي غمرت صدر الراسي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وتخترق الجموع حاشية العروس التي أخذت في الصراخ ، و تنتاب طيبور حالة من الذهول وتغرق الدموع عينيه دون أن يبكي وتتعالى صرخات: (**العريس اتقتل**) ويقوم زُريق من مكانه ويصرخ قائلاً:

امسكوا الغريب ، الغريب قتل العريس .

ثم يخرج خنجراً معقوفاً وفي غفلة من الجميع باستثناء عابد الذي اختفى خلف كرسي ضخم ، يغرس زُريق خنجرة في قفا طيبور مرة وفي صدره مرة أخرى ، فتخرج نافورة من الدماء ويمسح زُريق الخنجر في رداء طيبور ويخفيه في وسطه بسرعة ثم يصرخ قائلاً :

الغريب قتل طيبور .

ويمد يده يتحسس أخيه وهو في الحقيقة يفتشه حتى يجد أنبوب الزئبق فيخفيه في جيبه بسرعة ويترل من المجلس وكأنه يبحث عن القاتل ، في الفوضى التي عمت المكان حيث حملت الحاشية العروس وفرت بها و لم يبق إلا سارية واقفة متسمرة مكانها تنظر إلى الراسي وهو يموت وكأنها تتشفى فيه ، بينما فر عم مشالي وشمشون ورميسة من المكان ، فيمد زُريق يده ويمسك بشعر سارية ويجرها منه بقسوة وهو يصرخ فيها قائلاً:

فين اللي معاكي؟ يا قتلة يا ولاد الكلب.

تشعر سارية بألم يعتصر رأسها ، فتمد يدها لتترع دبوساً ذهبياً طويلاً من وشاحها تغرزه في يد زُريق التي تمسك شعرها, فيجذب يده من الألم ، ويخرج عابد في تلك اللحظة من مكمنه خلف الكرسي لينقذ سارية فيندفع برأسه في بطن زُريق ليوقعه أرضاً فينادي زُريق وهو يصرخ من الألم على الحراس الذين وصلوا بالفعل ، بينما استقر عابد فوق زُريق يصارعه فيظن الحراس أنه يحاول قتله أيضاً فينكفئون فوق عابد ليرفعونه من فوق زُريق الذي يصرخ :

فين البت؟ .

ولا يهدأ حتى تقع عينه على مجموعة من الحراس يمسكون بسارية،فيقوم زُريق من مكانه وهو ينادي: **محروس،محروس !.**

فيتقدم تجاهه عبد أسود ذو شعر أجعد كثيف طويل ضخم الجسم ذو صوت أجش يتدلى من وسطه سيف وعلى كتفه مدفع رشاش صغير ، وقبل أن يصل إلى زُريق يمد يده إلى عابد ليحمله وهو يرفس برجليه في الهواء ويقف أمام زُريق ويخرج سيفه ويضعه على رقبة عابد ويقول لزُريق :

ندبحه دلوقتي عظمتك ؟

زُريق : خد الوله القاتل ده احبسه عندك لغاية ما أشوف هعمل فيه إيه .

يصرخ عابد قائلاً في تلك اللحظة:

انت كداب .. انت اللي ....

يقطع كلام عابد يد زُريق المغرقة بالدماء التي تنهال على وجهه بصفعة قوية تخرسه ، فيحمله محروس ويسير به تجاه القاعة الملكية وهو يلكمه عدة لكمات ، ويأمر زُريق الحراس الذين يحيطون بسارية أن ياتوا بها وراءه ، يصل زُريق إلى القاعة الملكية وقد أحاط الحراس بكل مكان ، ويدخل إلى غرفة واسعة فيها مكتب مُذهب مُعلق فوقه صورة طيور والراسي ، يدخل زُريق ويأمر محروس أن يدخل عابد بعد أن يربط يده خلف ظهره وبعد أن ينتهي محروس من مهمته يأمره بالخروج ويتركه هو وعابد بمفرديهما ، يتجه زُريق تجاه المكتب ليترل الصورتين من فوقه ويجلس على الكرسي ، يقف عابد أمامه مرتجفاً متألماً وينظر إليه زُريق وهو يبتسم ابتسامة خبيثة ماكرة قائلاً :

أكيد في ناموسة قرصتك ؟ حصل ولا ماحصلش ؟

يتعجب عابد من السؤال ، فلا يرد ، فيصرخ زُريق مكرراً سؤاله ، فيرد عابد قائلاً :

ايوة ، في ناموس كتير قرصني !.

زُريق : طيب عمرك موِّت ناموسة بعد ما قرصتك ؟

عابد : مش فاكر .

زُريق : جرب تموِّت ناموسة بعد ما تقرصــك ، وركــز إحساسك في مكان القرصة ، أول ما الناموســة حتمــوت إحساس الهرش والألم مكان القرصة حيروح فوراً ، لما تجرب هتعرف أنا قصدي ايه .

عابد: ممكن تقول لي قصدك إيه و بعدين أجــرب علــى مهلي .

زُريق : بعد ما بأموت الناموسة اللي قرصتني بحس براحة شديدة وسعادة ولذة وانتصار ، وكل اللي ساعدوني في قتل الناموسة بيبقوا أقرب الناس لقلبي ، وأنت ســاعدتني انــت واللي معاك في قتل أكبر ناموستين في حياتي ، طيبور وابنــه ، كل ألم حسيته منهم وكل مذلة حطوني فيها راحت للأبد من جوة مني ، لدرجة إني راضي عنك ومش قــادر أأذيــك أو أقتلك ، أنا حاسيبك تخرج من هنا ، بشرط اللي انت شفته هنا تنساه كأنك ما شفتش حاجة ، فاهم ؟

عابد : يا سيدنا ، أنا لا لِيَّ في الطور ولا في الطحين ، دي ناس أنا قابلتها في القطر وعزموني معاهم على الفرح ، أنــا ماعرفش إن همَّ قتالين قتلة ، أنا حتى ما عــرفش الــسكة عشان أرجع لوحدي ، شمشون هو اللي وصلنا هنا.

زُريق : بسيطة ، محروا!.

يدخل محروس على الفور قائلاً:

أوامر الغالي .

زُريق : خد الغريب ده طلعه برة البلد ، طلع حمار ما يعرفش حاجة ، القاتل الحقيقي الراجل العجوز ، وشمشون متستر عليه .

محروس : أمرك مُطاع يا غالي .

ينظر محروس إلى عابد مبتسماً ابتسامة تدل على الغل الدفين والوحشية المُتأصلة فيه ويقول لعابد وهو يدفعه أمامه خارجاً من الغرفة :

يلا يا ننوس عين ماما ، مش عارف ترجع ولا ايه يا حبيبي ؟

تقع عين عابد على سارية وهي مُحاطة بالحراس وقد تمزقت ملابسها ، فتتعلق عيناه بها ولا يقدر على الحراك فيصفعه محروس على قفاه وهو يحثه على الإسراع ، فينظر إليه عابد بغضب قائلاً :

ما تعملش كده تاني.

فيناوله محروس صفعة أخرى على وجهه ويقول له :

انت مش حتعلمني يا روح أمك أعمل ايه ومعملش ايه, أمشي قدامي بسرعة خلينا نخلص من وش أمك الفقر .

ثم يدفعه دفعة قوية يخرجه بها خارج القاعة الملكية ويكسر بها قدرته على المواجهه معه ، يمشي عابد أمامه مسرعاً مُطأطئاً رأسه يبحث عن طيف سارية وعن كرامته التي أُهدرت أمامها, يلحظ عابد تغير وجه المكان ، انطفأت الزينات ، توقفت الشاشات عن البث بعد المشاهد الدموية التي عرضتها ، احتوت رائحة الموت المكان ، يسود سكون ممزوج بلامبالاة ، ويتعمق الليل في ظلامه ويستوقف محروس عابد ويقول له :

قول لي بقى أنا حوديك فين ؟ عابد : محطة القطر .

محروس : محطة قطر ايه يا روح أمك .. مافيش هنا قطر ، انت جيب من أي سكة ؟

عابد : جيت مع شمشون هو اللي عارف السكة .

يدفع محروس عابد قائلاً :

(ده انت ليلة اللي جابوك سودة ، تعالى نشوف حتة نرميك فيها لغاية الصبح ، تعالى نروح عند المقاطيع اهم أهلي وناسي يلموا عندهم ، أنا بقالي سنين طويلة ماشفتهومش).

٣- كلب سوزي

قبل ذلك بقليل يخرج عبد الهادي من " theimpossible limlit " مع سرياقوسي ويسيران بالسيارة ببطء وعبد الهادي ممسكاً بيده الكارت يبحث عن العنوان المكتوب فيه ويتوقف ليسأل المارة غريبي الأطوار ، فالبعض لا يرد عليه والبعض الآخر يعلن عن عدم معرفته ، وبعد فترة من البحث في الشوارع يلمح عبد الهادي كلب سوزي ذا العين الواحدة ، يسير بمفرده في شارع جانبي مزدان بأشجار كثيفة على الجانبين ، يأمر عبد الهادي سرياقوسي بالرجوع إلى الخلف ودخول الشارع ، يسيران وراء الكلب الذي يدخل إلى فيلا صغيرة ذات حديقة واسعة ، يتوقف سرياقوسي على جانب الطريق ، ويترل عبد الهادي مسرعاً وراء الكلب وعلى كتفه حقيبة النقود ، ويمشي وراءه في الممر الذي يخترق حديقة الفيلا ، فيلمحه يدخل إلى الفيلا من فتحة صغيرة مغطاة بقطعة من الجلد أسفل باب خشبي ذي ذوق راقٍ, يتقدم عبد الهادي تجاه الباب ومن خلفه سرياقوسي الذي لحق به وقد فتح مطواة قرن غزال ليحمي ظهره واستعداداً لأي خطر قادم ، يدق عبد الهادي الجرس ويسمع صوت الكلب ينبح وصوت سوزي تقول له:

بس يا بوبسي .

وتفتح نافذة صغيرة في الأعلى وما أن تقع عيناها على عبـــد الهادي حتى تقول وهي تفتح الباب:

welcome Mr Nicollas.

وتفتح وهي يبدو عليها أنها خرجت من الحمام حيث ترتدي روباً دي شمبر وشعرها مبللاً تنشفه بفوطة تحملها على كتفها ، يشير عبد الهادي إلى سرياقوسي بالابتعـــاد ، فيغلـــق مطواتـــه وينسحب بهدوء تجاه السيارة ليبقى فيها ، يدخل عبد الهـــادي ويشاهد على شاشة التلفاز الأميرة وهي تدخل على ظهر الفيل, وبجانبه سوزي تتمتم قائلة وهي تحدث نفسها:

فلوس متلتلة مش عارفين يودوهـــا فـــين ولاد الكلـــب الحرامية ، بيجيبوا بيها فيلة .

يبتسم عبد الهادي رغماً عنه وتدعوه سوزي إلى الجلـــوس ، فيجلس وتجلس أمامه لتكمل تنشيف شـــعرها ، وقـــد انزلـــق الروب عنها فكشف معظم ساقيها ومعظم صدرها ، فيـــشيح عبد الهادي بوجهه إلى التلفاز ليتابع أحداث حفل الزفاف ، إلى أن يظهر في الكاميرا عم مشالي وعابد وسارية ورميسة وشمشون وهم يقومون من المجلس الملكي إلى مائدة جانبيـــة ، ثم تقـــوم سوزي لتقف جانب التلفاز وتخرج سشواراً لتنشف به شعرها ويغطي صوته على صوت المذيع ، وسرعان ما تنتهي ويعـــود

الصوت مسموعاً ، فيسمع صوت طيبور وهو يقدم عم مشالي للرقص فتقول سوزي ضاحكة :

صوته زي الحمار .

ثم تستدرك نفسها وتتحدث لعبد الهادي قائلة :

His voice like a donkey

ثم تضحك ضحكة ممطوطة ، ثم يبدأ عم مشالي في الرقص ، ويجلسان منبهران برقصته ، حتى يبدأ الدوران في الهواء وينتهي من دورانه بغرس نصل عصاته في صدر الراسي ، تخبط سوزي على صدرها وهي تقول :

يانهار أسود ده الراجل طار في الهوا وقتله !!!!!.

يسمعان الصراخ منطلقاً من كل مكان وتغلبهما المفاجـــأة ويقومان واقفان ويتمتم عبد الهادي في سره :

ضربة معلم .

تستفيق سوزي من ذهولها وهي تنظـــر إلى عبـــد الهـــادي وتجلس متهالكة وقد انقطع إرسال التلفاز ، وتشعل ســـيجارة وتحدثه وهي تنفخ الدخان في الهواء :

انت قلت ضربة معلم ؟!.

عبد الهادي : فين الفلوس اللي أنا أديتها لك ؟.

سوزي : انت بتتكلم عربي زيّنا ، يانهار أسود انت بـــاين عليك نصاب .

ثم تقوم من مكانها لتفتح دولاباً صغيراً بجانب التلفاز تخـــرج منه رُزمتي النقود وتناولهما له ، يأخذهما عبد الهادي ويضعهما أمامه في طفاية كبيرة من الألومنيوم ، ويأخذ ولاعة سوزي من فوق علبة سجائرها ، ويشعل النار في النقود ويصاحب ذلـــك شهقة قوية من سوزي ، فيبادرها عبد الهادي قائلاً :

لو كنت نصاب ماكنتش حرقت الفلوس المزورة قدامك ، أنا حاديلك بدلها فلوس سليمة .

يضع عبد الهادي الحقيبة التي على كتفه أمامه على المائـــدة ويخرج منها رزمتي نقود سليمتين يناولهما لسوزي فتأخـــذهما وهي تقول:

شكراً ، لكن أنا مش فاهمة حاجة .

يبدأ عبد الهادي في سرد القصة من بدايتها ، ويبـــدو علـــى سوزي ملامح التعاطف معه ، إلى أن يدق جرس هاتف عبـــد الهادي المحمول ، فيرد عبد الهادي ومن الطرف الآخـــر يـــأتي صوت شمشون متلاحق الأنفاس كأنه يجري ويقول :

عرفت المصيبة اللي حصلت ؟.

عبد الهادي : كنت عارف إنه حيقتل الراسي ، هو قـــال لي.

شمشون : المصيبة الأكبر إن زُريق قتل طيبور أخوه ، أنـــا شُفت كده وهربت ومعايا عم مشالي ورميسة ، سارية وعابد لسة جوة .

يقتمع وجه عبد الهادي ويكمل شمشون:

أنا راجع دلوقتي ماحدش عارف ممكن يحصل ايــه ، لــو عرفت سكة عابد وسارية رجعهم معاك . . سلام .

عبد الهادي : سلام

بعد مكالمة عبد الهادي يتصل شمشون بشخص آخر ويقول:

ايوة يافندم شمشون مع سعادتك ، في معلومة مهمة جداً ، زُريق الطناوي قتل أخوه طيبور وابنه الراسي قتله إرهــابيين وزُريق مسك الحكم .

يرد عليه الطرف الآخر:

في طيارة تابعة لنا فوق فرح الراسي ســجلت أحــداث دموية ، لكن التفاصيل لم يتم التأكد منها وجــاري التأكــد منها... شكراً.

في تلك اللحظة تحلق طائرة إنذار مُبكر تدور حول المكــان تحمل العلم الأمريكى ، تتلقى أوامر بإيصال الشريط الــذي تم تسجيله للتأكد من صحة كلام شمشون ، تدور الطائرة متجهة إلى البحر لترسي على حاملة طائرات تنتظرها .

يجلس عبد الهادي متهالكاً وهو يقول لسوزي :

زُريق قتل أخوه طيبور .

سوزي : هي ناقصة خراب ، ما أصخم من سي إلا سيدي ، الخوف من زُريق بادئ أيامه معانا بقتل أقرب الناس إليه ماحدش عارف حيعمل فينا إيه .

فجأة يعود الإرسال التلفازي على مذيعة ترتدي اللون الأسود وتنعي طيبور وابنه الراسي قائلة :

إثر وقوع اعتداء إرهابي ، أثناء مراسم عرس ابن حاكم البلاد ، قُتل حاكم البلاد وابنه الراسي ، وجاري ملاحقة الجناة من قِبَل قوات الحرس الخاص لحاكمنا الغالي زُريق الطناوي الذي يحدثكم الآن في أول ظهور رسمي له .

تنتقل الكاميرات إلى منصة خالية يصعد عليها زُريق الطناوي وهو يحاول أن يظهر بمظهر الباكي الحزين ويبدأ كلاماً أجوف ، قائلاً :

أخويا وابنه اتقتلوا قدام عيني ، وأنا حاجيب صحاب السيف الغدار ، وحأخليهم عبرة لكل الخونة والإرهابيين .

تنطلق عاصفة من التصفيق من جمهور يحتشد أمامه ، فتمد سوزي يدها لتتناول جهاز التحكم فتخفي الصوت فيقول لها عبد الهادي :

كده أحسن .

يرقب الاثنان ملامح وجهه بدون صوت فيضحكان على حركات وجهه التمثيلية المتسمة بالغباء ، ثم تقول سوزي:

شكللك كده تعرف أكتر من اللي انت قلته لي .

عبد الهادي: الحاجة الوحيدة اللي مـــاكنتش أعرفهـــا إن طيبور هيتقتل ، المشكلة إن في اتنين لسة جوة مـــاطلعوش ، شمشون طلب مني أرجعهم معايا ، مش عارف أعمل ايه .

في تلك اللحظة يقفز بوبسي وسط عبد الهادي وســـوزي يتمرغ مريداً اللعب .

عبد الهادي : لولا الكلب ده ماكنتش عرفت أوصل هنا.

سوزي : ده ذكي ومُخلص جداً ، لو سبته في أي مكـــان يرجع لي هنا تاني ، من خمس سنين واحد اشتراه مني في مزاد, وبعد يومين صحيت الصبح لاقيته نايم قدام باب أوضـــق ، من ساعتها كل ما اتزنق في قرشين أبيعه ويرجع لي تاني .

تبرق عينا عبد الهادي ويبدو عليه أن فكرة ما طرأت علـــى ذهنه فيباغت سوزي قائلاً :

تبعي لي الكلب ده ؟.

تضحك سوزي وهي تقول :

عايزني أنصب عليك انت كمان ولا ايه ؟

عبد الهادي:حاجة شبه كده، أنا عايز الكلـــب في مهمـــة بكرة الصبح ، يوم بالكتير ويرجعلك تاني ، انتِ عايزة فيـــه كام ؟

سوزي : كفاية قوي اللي انت ادته لى ، ميرسي قوي .

يضع عبد الهادي حقيبة النقود أمامه ويخرج عشرين ألـــف دولار آخرين يناولهم لسوزي التي تقفز من أمامه وقد انحـــسر الروب عن معظم جسدها وتتعلق برقبة عبد الهادي وتأخـــذ في تقبيله وهو مُحرج تماماً ولكنه يلف ذراعيه حـــول وســـطها ، ويستغرق معها في قبلة لم يحسب لها حساباً ، ولكنـــه يجمـــع شتات نفسه سريعاً ويفلت شفتيه من شـــفتيها ، فتقـــول لـــه سوزي:

لو ماكنتش متجوز ما كنتش سبتك ، على فكرة انـــت إنسان كريم جداً وحساس ، انت مش عارف انت أنقـــذتني من ايه بالفلوس دي ، ببساطة كنت ممكن ابقى في الشارع .

تطفيء جهاز التلفاز على وجه زُريق ذي الملامح المفتعلـــة المثيرة للضحك .

تمد سوزي يدها لتتناول ريموتاً آخر تضغط عليه لتنـــساب موسيقى حالمة تتناغم مع سكون الليل الذي يلُـــف المكـــان ، وتستأذن سوزي من عبد الهادي وتحمل نقودها معها وتغيـــب للحظات، ثم تعود وهي ترتدي قميص نوم زهري اللون شـــبه شفاف، ثم تقفز جالسة وهي معقودة الساقين أمام عبد الهادي ثم يقفز الكلب ليجلس في حجرها ثم تقول :

قول لي حتعمل ايه بالكلب ؟

عبد الهادي : قبل ما أقل لك ، أنا طالب منك خدمة صغيرة، في محلات أكل هنا ممكن تجهز أكل بكرة الظهر لخمسين ستين نفر ؟

سوزي: طبعاً فيه ، قول لي بس انت عايز تعمل ايه وأنا تحت أمرك .

عبد الهادي: بكرة بعد الظهر هآخد الكلب معايا لغاية ميدان سلفادور ، أكيد عبد العال حيرجع يدور عليَّ هناك بعد ما لعبة الحمار حتتكشف ، أنا حأستناه هناك ومعايا الكلب ، حيوصل وحيبدأ يتكلم في الموضوع ، حعزمه على الغدا هو وكل الموجودين في الكافيتريا والرسامين كمان اللي في الميدان ، وخلي الباقي مفاجأة .

سوزي :وانت تفتكر إن عبد العال حيسيب حقه بغدواية؟

يضحك عبد الهادي قائلاً :

كل حاجة حتعرفيها في وقتها .

سوزي : طيب ما تهرب بالفلوس اللي معاك ، انت رجع لك تمن البقرة وأكتر ، ممكن عبد العال بقلبه الأسود يقتلك ولا يعمل فيك حاجة ، أنا خايفة عليك .

عبد الهادي : أنا مش هدفي الفلوس ، أنا هدفي إن عبد العال يدمر نفسه بنفسه ، علشان يبقى عبرة للنصابين اللي زيه ، على فكرة عبد العال أخويا من أم تانية .

سوزي : برضة أنا شريكة معاك ، لازم تقول لي حتعمـــل ايه بالكلب ؟

عبد الهادي : طالما انتِ مصرة ، حقول لك .

يخبرها عبد الهادي بخطته ، فتبدو عليها ملامح الانبـــهار ثم تقوم من مكانها قائلة :

أنا حاقوم أحضر حاجة ناكلها ، الخطة بتاعـــك فتحـــت نفسي.

بعد فترة تأتي سوزي حاملة صنية طعام تضعها على مائـــدة طعام موضوعة في أحد جوانب الغرفة ، تدعو عبد الهادي الذي يقوم متجهاً إلى المائدة ويأخذ طبقاً يضع فيه عدة أطعمة ويخرج من الفيلا ليعطيه لسرياقوسي الذي يأخذه منه شاكراً ثم يعـــود إلى سوزي مرة أخرى .

الفصل الثالث

١- أرض المقاطيع

في تلك الأثناء يقطع محروس طريقاً صحراوياً خارج بلدة الطناوي وهو ما زال يدفع أمامه عابد بقسوة ، وقد حل وثاق يديه بعد أن تاكد من انكسار قدرته على المقاومة والهروب ، وإدراكه لقوة محروس الهائلة ، فجنح إلى أسلوب المنطق والحوار بهدوء حتى لا يستفز محروس فيتطاول عليه ، فيقول له عابد مستعطفاً :

أرجوك ، أبوس ايدك ، سيبني أمشي ، أنا هحاول أرجع لوحدي .

محروس : أنا الأوامر اللي عندي إني لازم أخرجك من عند الطناوية ، ولو شافوا وش أمك النحس ده تاني حيخربوا عليَّ أنا ، أنا مش عارف ايه الوقعة السودة اللي وقعتني معاك, امشي بسرعة ، خلينا نوصل عند المقاطيع يلمونا عندهم الليلة دي ، ماهو لو زُريق قال لي أقتلك كنت دبحتك وخلصت منك ، أمشي بسرعة .

أثناء حوارهما اليائس ، تتلألأ أضواء باهتة متناثرة تبزُغ من قلب الصحراء وكلما اقتربا منها ، اقترب معها صوت إيقاع طبلة يُشبه دقة الزار، فيقول محروس :

باين إن المقاطيع عاملين ليلة مع نفسهم ، ولا همَّ داريين بحاجة .

بعد عدة دقائق يصل محروس وعابد لتتضح الأضواء الباهتة من خلف أكوام القمامة التي تحف مدخل بلدة المقاطيع من على الجانبين، وتأكل منها الكلاب الضالة التي تُزمجر على محروس وعابد ، فيلتفت إليها محروس ليبرق بعينيه ويصرخ صرخة عنيفة في وجوهها ، فترتعب وتفر منه ، في تلك اللحظة يغفل محروس عن عابد الذي يسير أمامه ولكن محروس ينتبه على صوت عابد يقول له :

الحقني يا محروس ده بقه كله دم .

يتجه محروس ناحية عابد بسرعة لتقع عينه على كلب أسود ضخم عيناه حمراوتان وفمه مغرق بالدم ويُكشِّر عن أنيابه استعداداً للهجوم على عابد الذي تسمر مكانه ، فيصرخ محروس في الكلب محاولاً إرعابه ليبتعد ، ولكن الكلب يزداد إصراراً ويتحفز أكثر للهجوم ، فيُطوح محروس قدمه بعنف في وجه الكلب الذي يتفادى الضربة بمهارة ، ويقفز على حذاء محروس الضخم محاولاً غرس أنيابه فيه ، ثم يُسمع صوت قادم من الظلام يقول :

شحروز ، تعالى يا شحروز ، مين اللي ماشي هناك ؟ .

يعود الكلب ناحية صوت صاحبه خافضاً أُذنيه وذيله ، فيقول محروس :

انت اللي مين؟ قدامك محروس الضبع .

يقول الصوت وهو يقترب خارجاً من البقعة المُظلمة :

محروس صاحبي وحبيبي ؟ .

يخرج صاحب الصوت وما أن تقع عين محروس عليه حتى يفرد ذراعيه ويتجه إليه قائلاً :

طه الطرانيسي حبيبي .

طه : ايه اللي رجعك ؟ انت افتقرت ولا ايه ؟ ولا زُريق طردك ؟

يحتضنان بعضهما ويقول له محروس :

ما انتم في غيبوبة ورايحين في داهية ، ما تعرفوش إن طيبور اتقتل هو وابنه ، وزُريق بقى هو الحاكم .

طه : أحسن يروح في ستين داهية هو وأهله وزُريق كمان ابن واطية كلهم من دم معفن واحد ، واكلنها والعة ولاد الكلب ، المهم ، الدفش اللي في شلك ده تبيعه ؟

محروس : يا عم ده طيارة ، زُريق عايزني أطيرها ، وقرشه كتكوت ومخه في الخلنكة ماينفعكش .

طه : ماشي يا عم ، أوامر الملك الجديد تمشي على رقابينا كلنا ، يلا بينا نقعد مع بعض شوية .

يلتفت محروس منادياً عابد ، فينظر خلفه ولكنـــه لا يجـــد أحداً, فيصرخ محروس :

الوله ابن الكلب هرب .

يمد طه يده ويفك طوق الكلب ويطلقه في الظـــلام وهـــو يقول لمحروس :

ماتقلقش شحروز يجيب أمه ، تعالى نتمشى وراه لغاية ما يمسكه .

ينطلق الكلب مخترقاً ظلام الليل متتبعاً أثر رائحة عابد الذي انطلق مبتعداً ويسرع في جريه كلما اقتربت زمجرة شحروز من مسامعه ولكن في النهاية بقفزة واحدة يستقر شـــحروز علـــى ظهر عابد ليوقعه أرضاً ، يصرخ عابد ويدور في الأرض محاولاً القيام مرة أخرى ، ولكن شحروز يزمجر ويضع فكه المفتـــوح الملطخ بدماء جافة بجانب رقبته استعداداً لقـــضمه إذا حـــاول الحركة مرة أخرى ، يُدرك عابد الخطوة التالية للكلب فيتسمر مكانه حتى يصل إليه محروس وطه الطرانيسي ، فيمد محـــروس يده ليحمله من بذلته التي تلطخت بمختلف أنـــواع الأوســـاخ وينادي طه الكلب ليترك عابد لمحروس ، يحمله محروس قائلاً :

بتهرب مني يا ابن الكئيبة ، أنا حعلق أمك .

يرفعه محروس في الهواء فيرفسه عابد برجليـــه في وجهـــه ، فينهال عليه طه ضرباً بعصا رفيعة قاسية يحملها معه ، يـــضربه

ضربات متوالية سريعة تجعل صراخ عابد يتردد في أنحاء الصحراء ، ثم يلقي محروس به على الأرض وهو يتألم ، ويبكي بكاءً حاراً صامتاً ، فيصرخ فيه محروس :

قوم يا ابن الكلب، انت حتنا املي يا روح أميك ، قوم. يقوم عابد وكل جسده يؤلمه ، يسير الجميع حتى يصلون إلى بلدة المقاطيع ، يلحظ عابد أن كل شيء فيها فقير ، حتى الزار المُقام في الساحة الرملية المتربة وتصدر عنه أصوات الطبول العالية التي تختلط بأصوات الموسيقي مظهره فقير جداً ، ولكن يبعث فيه الحياة ضحكات النساء المجلجلة اللعوب ، تتخللها آهات مثيرة تُبدد بؤس الفقر الذي يسيطر على البيوت والناس ويتخلل كل الأرجاء ، يثير صوت الزار والنساء محروس فيسأل طه الطرانيسي :

مين المرة اللي عاملة الزار ؟

طه : دي المرة نعمة بلبظية، كل كام يوم تعملها زار تجيب بيه زباين للنسوان اللي عندها ، وأهو كله أكل عيش، كل البنات اللي عندها حيفرحوا بيك قوي لما يشوفوك.

يتازع محروس نفسه ، فيظهر حيرته لطه قائلاً وهو ينظر مشيراً إلى عابد :

الدفش ده ممكن يركب النحلة وسط الربكة ومانعرفلوش ملكة .

طه : سيبهولي أنا حانتفه وأركبه على اللبلوب .

يتناول طه يد عابد ويأخذ طرف السلسلة الحديدية المربوط فيها شحروز ويلفه بإحكام على معصم عابد ، ثم يُقرب حلقتي حديد من بعضهما فتنساب الواحدة في الأخرى بسلاسة تذهل عابد ومحروس الذي يقول :

انت لسة في شغل السحركة ده ؟

طه : سحركة ايه ، دي كلها فروش قعر لحد مـــا نلـــم الزهر .

يضحك الاثنان بطريقة هيستيرية ويضربان كف على كف وهما يتجهان إلى الزار ومن خلفهما الكلب يجر عابد خلفـــه ، ويتوقفان على أطراف الحلقة الكبيرة التي تحيط بالزار ويتجمـــع حولها المارة لمشاهدة ما يحدث ، يحشر عابد رأســـه والكلـــب يتقدمه ليقف بجانب طه فيرى نساء سوداوات اللون يجلـــسن على الأطراف وهن يغنين بلغة غير مفهومة بإيقاع واحد ويتناثر كذلك رجال سود يدقون على طبول كبيرة هي مصدر الدقات المدوية ، وفي المنتصف تماماً صوان مرتفع فيه منقد بخور تقـــف عنده سيدة بضة القوام ممتلئة شاهقة البياض ترتدي رداءً متلألئاً يكشف ذراعيها وجزء كبير من صدرها ، تُلقي بـــالبخور في

المنقد الذي يدور حوله فتيات بيضاوات وسمراوات فساتينهن شفافة مبللة بالعرق والدماء من الطيور التي يذبحونها على الدائرين في الحلقة ، وخلف كل فتاة رجال يلتصقون بها ، وتصدر عن الفتيات ضحكات خليعة ماجنة ، ويمد أحد الرجال يده ليمسك صدر فتاة رجراج يأخذ في ترقيصه مع ايقاعات الطبول ، فتتمايل الفتاة مع حركات يده على صدرها ، فسرعان ما يأخذها متجهين إلى خيمة كبيرة حمراء تتوسط أحد أطراف حلقة الزار ، وفور دخولهما يضاء طرف الخيمة العلوي بلمبة حمراء تتسارع بعدها دقات الطبول ، ويدور الدائرون بجنون وهم يطلقون صرخات هيستيرية ، تقع عين إحدى الفتيات اللاتي يدرن في الحلقة على محروس العملاق ، فتصرخ الفتاه صرخة ممطوطة قائلة :

محروس. تنظر الفتيات تجاه صرخة زميلتهم وتقع أعينهن على محروس فيصرخن مثلها ، ويتركن الرجال ويتجهن جميعهن تجاهه ، فيدخل إليهن وهو يقول بخلاعة ويُرَقّص وسطه :

أستكوني ولزقوني يا موزز.

فتتعلق إحداهن برجله وتتعلق أخرى بالرجل الأخرى وتقفز واحدة منهن على ظهره وتتعلق أخرى برقبته ، ويحمل واحدة بيده اليُمنى وواحدة بيده اليُسرى ، يحملهن جميعاً ويتجه نحو الحلقة التي كن يدرن فيها ويرعش جسده ويرجع رأسه إلى الوراء وتغني الفتيات :

محروس .. محروس .. شمروخ .. شمروخ .

ينسحب الرجال ويقفون على جانب ويدور محروس وهو يحمل الفتيات بمُفرده في الحلقة وتدُق الطبول بجنون وتقوم النساء اللاتي يغنين ويدرن حول محروس الذي يدور فاتحاً ذراعيه مائلاً إلى الخلف لدرجة أن الفتاة التي يحملها على ظهره تخشى الوقوع فتتشبث به أكثر وتأتي امرأة طويلة سوداء تحمل ديكاً أحمر ، تذبحه على صدر محروس الذي انقلبت عيناه إلى الخلف وتغني الفتيات قائلات :

شمروخ .... شمروخ

طول عمره يدخل علينا منفوش

يدخل يرفع .... يشيل .... ينتع

لا يوم قصر ..... ولا يوم اتكسر.

ثم تنظر الفتيات إلى الرجال الواقفين على الجانب ، ويشرن إليهم ويغنين قائلات :

مش أنت يا فس يا قرصة البرغوت

محتاج عليك محروس يفوت

ده انت يا دوب تعرف تموت .

تكرر الفتيات مقاطع الأغنية إلى أن يكف محـــروس عـــن الدوران ويحملهن متجهاً ناحية الخيمة ، وما أن يدخل حـــتى يخرج الرجل والفتاة اللذان بالداخل جرياً ، وتستمر الطبول في الدق والنساء في الغناء ، وبعد لحظات تخرج إحدى الفتيـــات من داخل الخيمة وهي تبكي متجهة إلى السيدة الـــتي تُلقـــي بالبخور قائلة :

شعره عامل زي المسامير يا أبلة ، مش قادرة أقرب لـــه ، بصي؟.

وترفع فستانها القصير لتريها نقاط دامية أعلـــى فخـــذيها ، ويتوالى خروج الفتيات باكيات تنتـــشر نقـــاط الـــدم علـــى أجسادهن ووجوههن ، ثم يخرج محروس وهو يغلى من الغضب ويشتم الفتيات بأقذع الألفاظ ثم يقول للسيدة الواقفـــة أمـــام المنقد والفتيات الباكيات من حولها :

ماتشوفي نسوانك يا أبلتي ، ولا هي تيجي عند اللي لهـــا وتقفل رجلها .

تربت السيدة على صدره ليهدأ وهي تقول :

إهدا يا خويا ، إهدا يا حبيبي ، وهمَّ حيعملوا ايه بس مـــا شعرك عامل زى المسامير بيعـــورهم ، روح احلـــق شـــعر جسمك كله وبعدين تعالى أعملك أحلى ليلة .

محروس : طب هاتي تمن الحلاق يا ولية .

تخرج السيدة من صدرها كومة نقود من فئـــات مختلفـــة مكرمشة ومتداخلة ، تنظر فيها وتسحب منها عدة ورقـــات ، لكن محروس لا يمهلها ، ويطبق على كل النقود بيده قائلاً :

هاتي يا ولية ، انتِ حتعدي قدامي ولا ايه ؟ .

تصرخ السيدة وهي تقول :

محـــروس ده شقا الليلة كلها أبوس ايدك .

وتخطف يده التي تحمل النقود لتبوسها ، ولكن شعر يـــده المنتصب كالمسامير ينغرز في خديها وشفتيها ، فتترك يده وهي تصرخ من الألم ، فيستدير ليرحل لكنه يقول لها قبل أن يغادر:

حأروح أحلق وحأجيلك انت بس يا مرمر .

تنفرج أسارير المرأة ولا تبالي بالدم الذي يقطر من وجهها ، وتقول :

يعني الليلة دي ليلتي أنا بس يا وله ؟ طـــب روح وأنـــا مسامحة .

يتركها محروس متجهاً ناحية طه وعابد بينمـــا تـــصرخ في الفتيات قائلة :

يلا يا بت اشتغلي انتِ وهي .

فيعود كل شيء كما كان ، يبتسم طه فور أن يقترب منه محروس ويقول له :

قلبتهم يا ابن الصايعة ، إلا قول لي شعرك اللي زي المسامير ده ايه ؟ انت زُريق شغلك حاوي عنده؟!.

محروس : تعالى نقعد في حته بس بعيدة عن هنا وأنا حأحكيلك الحكاية .

يسيرون جميعاً بعيداً عن الزار وضوضائه الصاخبة متجهين تجاه مقهى متهالك خشبي قليل الرواد ، يصفق طه ليأتي الخادم طالباً منه كوبين من الشاي متجاهلاً عابد تماماً الذي لم يسمح له الكلب بالجلوس على الكرسي فكلما جلس شده الكلب وأوقعه على الأرض ، فاستسلم أخيراً وكف عن محاولة الجلوس على أحد الكراسي ، يبدأ محروس في سرد حكايته .

محروس : زُريق الكلب بعد ما أخدني شغلني عنده كنت فاكره راجل محترم وخلاص ، وفي يوم جه يزوره راجل شكله غريب عامل زي القرد ، فنداني زُريق وقال لي إن الراجل ده معاه حاجة بتدي قوة جنسية خارقة للي ياخد منها ، أنا كنت صغير وعبيط ففرحت، فسقاني منها...

يقاطعه الخادم وهو يضع كوبي الشاي أمامهما ثم يستطرد محروس :

وبعد شوية حسيت إن جسمي كله بيهرشـني ، نـادى زُريق اتنين من الحراس وقالهم يجيبوا البت اللي في الحجـز ، جابوها وقلعوها قدامي وهي بتصرخ ، أنا أول ما شـفتها قالعة قدامي الدم ضرب في نافوخي ، نيمتها على الترابيزة ، وأول ما بدأت شعر جسمي كله وقف وبدأ يغرز فيها وأنـا مش قادر أبطل ، وعلى بال ما خلصت كانـت اتـشرحت خالص ونزفت كتير وماتت وشعر جسمي كله رجع طبيعي زي ما كان ، وزريق والمجنون اللي جنبه عمالين يـضحكوا ، وبعد الراجل اللي عامل زي القرد ما بطل تنطـيط قـال لي وهو لسة بيضحك " هو ده عيب الدوا إنه بيخلي شـعرك كمان واقف على الآخر ، ومايهداش وينام إلا لما انت تهدى الأول " فسألته وايه الحل ؟ قال لي : " احلق على طول لـو حتعز عليك اللي حتنام معاها " ....

طه : مين الراجل ده يا محروس ؟

محروس : واحد من أقوى رجالة زُريق ، سـاحر لـئيم وبيعرف في الغيب وبيجيب التايهة من الآخر كده ،" يـشير إلى عابد قائلاً:

" لولاه كنت قتلت المخفي ده ، لكن عارف لو عملـت كده ، ابن الكلب الساحر ده حيعرف إني قتلته ، وزُريق يهد البلد على دماغنا .

ترتسم على طه ملامح القلق والخوف قائلاً :

طب خلي بالك على الدفش ده أحسن يهرب واحنا مش حاسين ، مش ناقصين مصايب .

ينتهيان من تناول الشاي فيقول محروس مستحثاً طه ليـــدفع الحساب :

انت مش عازمني يا جدع ولا ايه ؟ .

طه : ما انت لسة مقشقش الولية المهبوشة .

يُلقي محروس بالحساب على الصنية وينهض قائلاً :

يلا نروح لعم سعيد عشان أحلق ، هو لسة موجود ؟ .

طه : أهو متلقح ، حيروح فين يعني .

يسيرون في طريق مُظلم مُقفر على جانبيه مجريان لماء آســـن وبعض الزروع المتناثرة حتى تبدو بعض أضواء خافتة لمحـــلات متفرقة ومنازل من دور واحد أو دورين على الأكثر ، وسرعان ما يصلون إلى محل الحلاق الذي يرحب بطه ويحتضن محـــروس فور أن يراه ، يجلس محروس على الكرسي المُخصص للحلاقة ، بينما يقول طه وهو يفك السلسلة من يد عابد :

أنا حاضرب بنطة في الرسنكة وحاجيلك تاني .

ينتفض محروس واقفاً وهو يراه يفك عابد قائلاً :

انت حتخلع وتسيب الخلنكة ده ســـايب ؟، ســـيب لي السلسلة لغاية ما تيجي .

طه : ما ينفعش أسيب الكلب من غير السلسلة .

محروس : طب سيبلى السلسلة والكلب .

طه : انت اتجننت يا محروس ، شحروز يقطعكـــم مـــن غيري.

يبادر الحلاق ليحل المشكلة فيحضر خرطوماً طويلاً قائلاً :

قعده قريب مننا هنا ونربطه بالخرطوم ده .

تروق الفكرة لمحروس فيوافق ويتناول الخرطوم ليربط عابـــد من رقبته ، فيشد الخرطوم بقوة ، يتألم عابد قائلاً :

بالراحة يا عم .

فيضربه محروس بكف يده فيسيل الدم من شفتيه ، فيبتلـــع عابد اختناقه ودموعه ودمه وينظر إلى الأرض ليجلس عليها ، وهو يحاول بلع ريقه بصعوبة ، ثم يربط محروس طرف الخرطوم الآخر في ماسورة حديدية متصلة بحوض متسخ ، يجلس محروس على كرسي الحلاق القديم جداً فيصدر أصـــواتاً تـــدل علـــى اقتراب عمره الافتراضي ، ثم يسأله الحلاق وهو يلف فوطـــة حول رقبته:

شعر ولا دقن ؟.

محروس : احلق لي .

الحلاق : أيوة ، أحلق

محروس : كله .

الحلاق : يعني شعر

محروس : لأ ، كله .

الحلاق : كله ايه ؟

ينتفض محروس واقفاً

ويلقيها في وجه الحلاق

عابد ويهم بخلع بنطاله

احلق لي جسمي كله

ينزل الحلاق على ر

حاضر يا حبيبي ،
كده ، وأنا حاحلق لك
والدقن .

يجلس محروس ويبدأ
أخرى ، فيخلعها محروس

انت حمار يا جدع
هدومهم ما تتوسخش

ثم يمسك برقبته ويقرقر

انت غبي كده ليه [illegible] ، يا حمار .

يبدأ الحلاق في وضع الصابون على ذقن محروس وينتهي من حلاقة الجانب الأيسر الذي صار ناعماً جداً يتحسسه محروس برضا ، ثم يبدأ الحلاق في حلاقة الجانب الأيمن وبعد لحظات يتحسس جانب ذقنه الأيسر مرة أخرى قائلاً:

انت ماحلقتش الجنب ده ليه ؟

ولما يرد الحلاق [illegible]

حلقته يا حبيبي .

فيتناول محروس يد الحلاق ليضعها على ذقنه فيجدها صارت خشنة فيقول له [illegible]

[illegible] يا حبيبي [illegible]

ويضع صابوناً مرة أخرى ويغير الموس ويلقيه أمام عابد ويحلق الجانب الأيسر مرة أخرى ، فيتحسس محروس جانب ذقنه الأيمن فيجده قد صار خشناً فيخبر الحلاق بذلك ، فيعتذر ويقول أنه سوف يحلقه مرة أخرى ويغير الموس ويعاود الكره [illegible] فكلما يحلق جانباً ينبت الأخر [illegible] حزنه الأسود العميق الذي يتكوم فيه ، فيرفع رأسه فيجد أمامه حوالي عشرين موساً على الأرض وينظر إلى الحلاق الذي أخذ

يبكي بصمت وهو يحلق ذقن محروس ، فيدقق عابد النظر فيرى الشعر وهو ينبت مرة أخرى ، يُحطم هذا كل دفعات عابـــد النفسية وهو يرى الحلاق يتوسل إلى محروس بأن يدعه يستريح للحظات ، فيطلب منه محروس حلاقة شعر رأسه ، ويبدأ بحلاقة الجانبين، يعمل ذهن عابد للحظات ، فيتناول موساً من الأرض فيلمحه الحلاق ولكنه يتجاهل الأمر ويتركه يستمر فيما يفعل ، وبهدوء شديد يبدأ عابد في قطع الخرطوم ، وما أن ينتهي حتى ينطلق جرياً من المحل والخرطوم يتدلى من عنقه ، فيقوم محروس على الفور جرياً وراءه ، يسمع عابد دبيب أقدام محروس خلفه فيبحث عن مكان يختبيء فيه ، حتى يجد في آخر الشارع شباكاً منخفضاً يخرج منه ضوء أحمر ، فيتجه ناحيته ويقفز داخلــه ، يلمح محروس رجليه فيتجه ناحيته ، يدخل عابـــد إلى الغرفـــة ليجد حوائطها مطلية باللون الوردي ، فيها ســـرير مفـــروش بعناية ، وفي الجانب تسريحة تجلس أمامها ســـيدة ذات شـــعر أصفر مثير ، تلتفت إليه وهي تقول بوجه عجوز متغضن قـــد مزقته التجاعيد :

أحب اللي يخشلي من الشباك كده على سهوة .

ثم تقوم واقفة لتضع رجلها على الكرسي الذي كانت تجلس عليه ليتزاح قميص النوم الأحمر الشفاف عن فخذها المترهـــل بفعل السمنة والشيخوخة ، وتقول :

تعالي يا حلوة ، انتِ خايفة ؟.

وتضحك لتبرز أسناناً كالمسامير الـصفراء مـن فمهـا ، وترتسم هالات سوداء مُرعبة تحت عينيها ، فيصرخ عابد وهو يقول : **عفريتة ، عفريتة ، عفريتة .**

ويقفزخارجاً من الشباك الذي دخل منه ، فيقع في حـضن محروس الذي كان يهم بالقفز داخل الشباك ، وتقع عيناه على رأس محروس وهي محلوقة من الجانبين والقفا تمامـاً ، ولكـن وسط الرأس من أعلى ملىء بالشعر الغزير ، فيـصرخ عابـد بانهيار في محروس :

انت شكلك بقى عامل كده ليه ؟.

ويأخذ في صراخ هيستيرى متواصل ، وقد فقد الـسيطرة على نفسه تماماً :

انتم مين ؟؟ عايزين مني ايه ؟؟؟ أنا ماعرفكمش ، سيبوني في حالي حرام عليكم .

يقف محروس محدقاً فيه مذهولاً من كـم القـوة المفـاجئ والعصبية التي خرجت منه ، ثم يخرج رجل عجوز من بيت شبه متهدم مواجهاً للشباك الأحمر الذي يقفان تحته قائلاً :

مين هناك ؟ في ايه ؟ .

ينظر إليه محروس بتمعن ويبدو عليه أنه يعرفه ، ويقول له :

مافيش حاجة يا عم رمضان ، خش نام .

عم رمضان:مين ؟ محروس؟ أهلاً يا ابني فينك من زمـــان؟ ماله اللي معاك ده ؟

محروس : لا ، ده واحد دماغه محزمة وأنا حأفكها له .

عم رمضان : بسيطة يا ابني ، هاته وتعالى .

يقاوم عابد بشدة ، ولكن محروس لا يضربه ، إنمـــا يحملــه كالطفل ويسير وراء عم رمضان داخلاً بيته ، فيقودهما خـــلال سلم حجري مُظلم على جانبه باب خشبي أحمر لغرفة مُهملـــة يبدو أنها تعج بالفئران من الأصوات الصادرة منـــها ، يـــصعد الجميع إلى غرفة مفروشة بالحصير الأصفر تتوســـطها طبليـــة وتتناثر حولها كراكيب عديدة ، على الطبلية لمبة جاز تُـــضيء المكان بقوة ، وعلى الحائط مُعلق طوق حديدي تتـــدلى منـــه سلسلة معدنية ، يلقي محروس بعابد على الأرض ، بينما يجلس هو ورمضان حول الطبلية ، يلحظ عابد باباً خشبياً يخرج مـــن أسفله ضوء شاحب ، وسرعان ما ينفتح الباب ليخـــرج منـــه شاب يرتدي على رأسه حذاءً مقلوباً ويضع على عينيه نظـــارة نظر مربوطة من منتصفها ومن ذراعيها بدوبار متسخ، وحـــافي القدمين مبتسماً باستمرار ، ويقول لعـــم رمـــضان بطريقـــة مُضحكة :

انت جيت يابا ؟.

عم رمضان : أيوة جيت يا فوزي يا ابني ، مش شـــايفني قدامك ؟.

يقترب الشاب وعلى وجهه ملامح الاستغراب مـــن رأس محروس ويقرب عينيه بشدة من كرة الشعر المتكومة في منتصف شعر محروس عدة مرات ، ويمد أصابعه وكأنه يُفتش عن شيء داخل كومة الشعر ، ثم يقول :

شعره بايظ خالص .. مين ده ؟ .

ترتسم ملامح الغيظ على وجه محروس ، يلحظ عم رمضان ذلك فيقول لمحروس :

ماتخدش في بالك ، الواد دماغه تعبانة .

ثم يقول لفوزي :

اتحشم يا وله ، روح اقعد بعيد .

يتجه فوزي ليجلس بجانب عابد ويُخرج من صدر جلبابـــه عود قصب مكسور إلى اثنين ، يبدأ في تقشير واحد بأســنانه ويناول الثاني لعابد الذي يأخذه منه بلا رغبة ، يقضم فـــوزي قضمة يمتصها بتلذذ وصوت عالٍ ويخرجها من فمه بعـــد أن يفرغ منها ويكورها في يده وينشنها بدقة في كومة شـــعر رأس محروس الذي يفزع ويزيحها عن رأسه بيده بسرعة ظناً منه أنها حشرة ما ، يكرر فوزي ذلك حتى يلحظ محروس فينظـــر لـــه شذراً قائلاً:

بطل يا ابن العبيطة...

فينهر عم رمضان فوزي قائلاً:

بطل يا أهبل ، ده ضيف عندنا .

ثم يستطرد عم رمضان قائلاً لمحروس :

معلش يا محروس،الواد فوزي تعب في عقله من يوم مـــا أخدته معايا في سفرية طويلة شاف فيها أهل البر كله ، مخـــه ضرب فجأة ورجع زي ما انت شايفه كده ، لابس جزمة في دماغه وأهبل .

يلفت نظر محروس الطوق المُعلق على الحائط فيقول- كمن تذكر شيئاً – لعم رمضان :

الطوق ده بيفكرني بأيام ما تتنسيش ، أمال فين القرد يـــا عم رمضان ؟

عم رمضان : القرد راح وراحت أيامه ، ما انت بعـــدت من زمان وماتعرفش حاجة ، القرد بعد ما فضل معايا ســـنين طويلة أسرح به وأسترزق منه ، اديت له الأمان شيلت منـــه الطوق ، وفي يوم من الأيام قلت أروح ألّف عند الطناويـــة شوية ، مش جوة طبعاً لكن على طرف البلد ، واتلم علـــيّ عيال ولاد ناس كده يفتحوا النفس ، فيهم عيل كان معـــاه خدام أسود ، وباين عليه ابن عز ، والقرد عمال يتنطط وأنا أطبل له ، الواد طلع صباع موز من جيبه ، ووقـــف ياكلـــه وهو بيتفرج ، يا دوب أخد قضمة صغيرة ، وفضل بعد كده

يغيظ القرد بباقي صباع الموز اللي معاه ، القرد بدأ يركـــز معاه وفجأة القرد هجم على الوله ومد ايده وخطف صـــباع الموز منه ومعاه كف الوله ، قطع كف الوله ، الدنيا اتقلبت والعيال جرت والدم غرق الدنيا ، والخـــدام مـــسكني راح القرد ناطط عليه وعضه في رقبته ، أنا سيبت القرد وهربت ، وطلع الواد أهله ناس واصلين وطلبوا دمي ، هربـــت أنـــا وفوزي ، واديني رجعت لما الأمور هديت .

محروس : ياما مشينا وراك انت والقرد زمان واحنا عيال صغيرين .

يخرج عم رمضان من صدره كيساً بلاستيكياً صغيراً يفتحه أمامه لتظهر قطعة عجين سوداء كبيرة ، ويخرج ورق ألومنيوم سميكاً وولاعة ، ثم يقول لمحروس :

ده سيخ سنج، نفسين منه تخليك في العلالي، وتفتح لـــك صدرك وتروقك .

يفرد عم رمضان قطعة الألومنيوم بإصبعه ويضع عليها قطعة صغيرة من العجينة السوداء ، ثم يُخرج من جيبه عشر جنيهات جديدة يبرمها على شكل إسطواني ويقول لمحروس :

اعمل لك واحدة .

يخرج محروس كومة النقود من جيبه ويضعها أمامه وينظمها وينتقي منها ورقة بمائة جنيه جديدة يبرمها ثم يعيد النقـــود في

جيبه ، يضع عم رمضان العشر جنيهات المبرومة في فمه ، ويقرب منها ورقة الألومنيوم ويُشعل تحتها الولاعة ويسحب الدخان الذي يخرج منها بالورقة النقدية المبرومة ويقربها من محروس الذي يفعل مثله ، يكرران ذلك عدة مرات حتى يتسطح محروس على قفاه قائلاً :

ايه الدماغ دي .. الدنيا باظت حوالّي، لا ، أنا عايز أفوق.

ثم يعتدل في جلسته بصعوبة ، فيكور عم رمضان قطعة عجين يناولها لمحروس قائلاً :

ادي الوِله اللي معاك ده أبو دماغ محزمة حتة حطها له في بقه خليه يفُك .

يتناولها محروس منه كالإنسان الآلي ويتجه ناحية عابد سائراً على أربع قائلاً له :

افتح بقك .

يرفض عابد فيمد محروس يده ليفتح فمه بقوة وباليد الأخرى يضع قطعة السيخ سنج في فمه ، ثم يغلق فمه ويسد أنفه قائلاً له :

ابلع يا ابن الكئيبة ، ابلع .

يبلع عابد بصعوبة مختنقاً ، فيتركه محروس ويعود إلى مكانه أمام عم رمضان ويستغرقان في تناول السيخ سنج ، وفي تلك

الأثناء يذهب عابد في شبه غيبوبة ليسقط داخل بئره الــداخلي الأسود ، ويفقد قدرته على التمرد ، ويُلقي بنفسه داخل هــذا البئر غير مبالٍ ليرتطم بقاعدته السوداء فيقوم لينظر حوله ليجد باباً يظنه مهرباً ، فيقوم ليفتحه لتخرج منه أشكال هيــستيرية ملونة مهولة تحيط به وتصعد به إلى الأعلى مرة أخرى ، فتقفز عيناه إلى الخارج ويفيق فجأة ، فيرى أشياء غير موجودة فيقوم واقفاً ويحمل نصف عود القصب في يــده وهــو يــضرب في الكراكيب التي تملأ الغرفة ليوقع الأشياء كلها على الأرض وهو يقول :

قرد أحمر وبط وكلاب ماشية عالحيط .

يستغرق الجميع في الضحك أثنــاء دورانــه في الغرفــة ، ويستلقي محروس على قفاه وهو يُمسك ببطنه التي آلمتــه مــن شدة الضحك ، حتى يمر عابد خلفــه في إحــدى دوراتــه في الغرفة, فيمد محروس يده ليمسك بقدمه فيقع علــى وجهــه ، ويجذبه محروس من قدمه ناحيته قائلاً له :

ده انت دماغك فكت على الآخر .

يصرخ عابد بجنون هيستيري :

ماتضربنيش ، ماتضربنيش .

محروس : مش حاضربك ، بس اهدا كده واعقل واقعــد معانا زي الرجالة .

يسكن عابد قليلاً ولكن ما زال صدره يعلو ويهبط ويبدو علي ارتعاش يده أنه فاقد السيطرة تماماً ، يربت محروس على كتفه محاولاً إظهار صداقته له قائلاً :

ماعكش سيجارتين تمسي علينا بيهم ؟ .

تُلاقي محاولة إظهار الود ومد جسور الصداقة مع عابد نجاحاً طفيفاً الذي يمد يده في جيبه الداخلي ليُخرج علبة سجائره ومعها قطعة الحشيش التي أعطاها له شمشون بشتك ، فيحدق فيها محروس وعم رمضان قائلان في وقت واحد :

واجب في العلنكة من كتكوت منتِّف .

فيربت محروس على كتفه مستحسناً ، ثم ينظر إلى عم رمضان ويكرر قائلاً وقد تمكن توهان العقل منه :

إحنا عايزين ايه ، عايزين ايه ؟؟.

ينظر إليه عم رمضان ببلاهة قائلاً :

عايزين ايه ، عايزين ايه ؟؟.

ينظر إليهما فوزي كلما كررا هذا السؤال الغريب متعجباً من حالة الغباء التي احتوهما ، فيقول لهما فجأة :

ايه عايزين ايه عايزين ايه عايزين ايه، معاكم حشيش ، عايزين معسل طبعاً .

يضحك محروس بعبط هو وعم رمضان ويقولان :

اه صحيح ، عايزين معسل .

عم رمضان : يلا يا ابني يا محروس نروح نجيب معسل .

يقوم عم رمضان مترنحاً ليتناول من وسط كراكيبه (غلاً) كبيراً جداً فيتعجب محروس قائلاً :

كل ده غلأ حناخده معانا علشان نجيب باكو معسل؟.

عم رمضان : أنا مش حأجيب باكو واحد ، أنا حأجيب خمسين باكو أفرقهم بكرة على القهاوي ، ما أنا شغال كده دلوقتي يا محروس ، الزمن غير الزمن .

يقوم محروس من مكانه مترنحاً هو الآخر ليتناول طوق القرد من على الحائط ، ثم يحمل عابد من تحت إبطه الذي يقوم معه مستسلماً بعد أن تمكن السيخ سنج منه ، يضع محروس الطوق في رقبة عابد ويغلقه بمفتاح صغير مُثبت فيه ثم يُخرج المفتاح ويأخذه ، ويثبت الطرف الآخر في حلقة حديدية موجودة في الحائط ، ثم يناوله عم رمضان قفلاً قديماً ليضعه بين حلقتي طرف السلسلة ويغلقه ويضع المفتاح في جيبه مع مفتاح الطوق الصغير ، ويقول :

ده علشان حركات الحلنكة اللي انت راكب عليها وآزح.

ثم يتأبط ذراع عم رمضان وينزلان سوياً ، يجلس عابد متهالكاً على الأرض وبجانبه فوزي الذي يقول له :

انت عاملين فيك كده ليه ؟ .

ينظر إليه عابد ويشعر فيه بصدق المشاعر ، فيجيبه :

علشان أنا غريب جيت هنا غلط .

فوزي : انت منين ؟

عابد : من الأقصر .

ينتبه إليه فوزي وقد بدا عليه الإثارة والتحفز.

فوزي : تعرف مصر وإسكندرية والحتت دي ؟

عابد : طبعاً أعرفها وأعرف سينا والغردقة وشرم الشيخ.

فوزي : سمعت الآذان هناك ؟ الآذان بتاع ربنا .

عابد : بنسمعه كل يوم خمس مرات ، وبصلي وبصوم .

يندهش فوزي قائلاً :

انت تعرف ربنا على كده .

عابد : الحمد لله ، طبعاً أعرف ربنا .

فوزي : طب ايه اللي جابك هنا يا عم ؟ دول شياطين ولاد شياطين ، أبويا ده قتال قتلة ، يقتل الناس ويرميهم تحت

في الأوضة اللي فيها الفيران ، علشان الفيران تاكل الجثث ولا من شاف ولا من دري ، انت عارف أنا عامل مجنون وأهبل ليه ولابس جزمة في دماغي ؟.

ثم يقول هامساً : علشان أنا معايا ربنا زيّك ، عارف دلوقت حيحصل ايه ؟ رمضان أبويا حيقتل محروس بالبلطة اللي جوة الغلأ ، علشان ياخد الفلوس اللي معاه ، وحتبقى حر .

عابد : يا ريت يحصل ده ، أنا عايز أمشي من هنا .

فوزي : وخدني معاك ، والنبي والنبي خدني معاك .

يقول عابد وقد ركبه الهم :

هو أنا أصلاً عارف السكة علشان أخرج من هنا ؟.

فوزي : طب انت جيت ازاي ؟

عابد : جيت معزوم على فرح الفقر وجابني واحد اسمه شمشون .

يضحك فوزي وقد عاودته حالة البله من جديد وهو يكرر قائلاً :

شمشون شمشون .

يدخل في تلك اللحظة محروس وهو يحمل غلأ عم رمضان وقد بدا عليه أنه أصبح ثقيلاً ، ويتجه ناحية الحلقة الحديدية ،

ويضع الغلأ بجانب الحائط ويسنده بقدمه ويُخرج المفتاح من جيبه ليفتح القفل ، ثم يحمل الغلأ ويشد عابد من السلسلة مُتجهاً إلى الباب ولكنه يلتفت لفوزي قائلاً :

أبوك بيقول لك هات مفتاح الأوضة اللي تحت، واستناه لما ييجي .

يقوم فوزي ويدخل الغرفة التي خرج منها ، ويعود حاملاً المفتاح ، فيناوله لمحروس ، ينزل محروس السلم مسرعاً وهو يجر خلفه عابد ، فيتعثر ويقع منه الغلأ لتتناثر جثة عم رمضان المقطعة إلى أشلاء على السلم ، يُخرِج هذا المشهد الدموي عابد من توهان عقله ، فيضع محروس يده على فم عابد الذي يصرخ صرخات مكتومة وهو يقول :

قطعته ، قطعته ؟

يقول له محروس في أذنه :

كان عايز يقتلني ويقتلك يا حمار ، اخرس لأرميك معاه .

يُغلق عابد فمه ، ويتناول محروس الغلأ ليجمع فيه الأشلاء ويفتح الباب السفلي لتقع عين عابد على عيون حمراء لفئران سوداء ضخمة متلاطمة كالأمواج ، يُفرغ محروس الغلأ عندها, فتلقف أشلاء الجثة لتتنازع فيما بينها عليها وتتناثر عليها الدماء لتصتبغ باللون الأحمر ، ثم يغلق محروس الباب بالمفتاح.

يُسمَع صوت فوزي مُتسائلاً :

في حد وقع ؟ .

ثم يُسمع صوت خطواته نازلاً ، فيجذب محـــروس عابـــد بشدة وينطلق به جرياً ويستمرا في الجري حتى يصلا إلى شارع عريض ليدخلا فيه ، ثم يجريان حتى يصلا إلى بيت متماســـك يبدو عليه أثر عز قديم قارب على الاندثار ، يـــصعد محـــروس السلالم جرياً وهو يجر عابد خلفه الذي يسقط عـــدة مـــرات ولكنه يتمسك بالدرابزين الحديدي ، إلى أن يصل محـــروس إلى الدور الثالث ، فيطرق على الباب طرقات معينه ، فتنفتح نافذة حديدية يطل منها رجل مفتول العضلات ، يتسائل قائلاً:

انت مين ؟

محروس : أنا محروس الضبع ، عايز " عرعر البراني " .

ينفتح الباب ويدخل محروس ومن خلفه عابـــد إلى صـــالة كبيرة ، في ركن منها أريكة تنام عليها فتاه صغيرة السن ترتدي شورتاً قصيراً وتي شيرت يكشف بطنها وحلقة صغيرة مُثبتـــة على سرتها ، وفي غرفة أخرى ملاصقة للـــصالة يتـــدلى مـــن مُنتصف سقفها مصباح مُثبت بسلك طويل أسفله مائدة دائرية كبيرة يجلس عليها سبعة رجال يلعبون الورق ، يقوم أحـــدهم ليحتضن محروس مُرحباً به قائلاً :

فين أيامك الحلوة يا محروس ؟ معاك فلوس ؟

محروس : والله وحشتني يا عرعر ووحشني برودك ، ايوة معايا فلوس .

عرعر: تعالى العب معانا .

يستوقف عرعر منظر عابد ليسأل محروس :

ايه اللي انت ساحبه وراك ده؟

محروس : شوف لنا حتة نربطه فيها لحسن ده أمانة بتاعت زُريق ، وكل شوية يهرب ومطلّع عيني .

عرعر : بسيطة بسيطة ، اربطه هنا .

ويشير لمحروس إلى عامود نحاسي يخرج من الحائط مستقراً فوقه قطعة رخامية فوقها مرآة ما تزال تحتفظ برونقها القديم ، يربطه محروس بالقفل في العامود النحاسي ، فيجلس عابد أسفل قطعة الرخام على الأرض ، ويدخل محروس مع عرعر إلى غرفة اللعب ، فيعرّفه عرعر على الرجال الجالسين ، واصفاً إياهم بأنهم كسيبة وبيلعبوا بالبيضة والحجر ، ويُعرّفهم بمحروس بأنه كان معي(بفة ، أيام الشقاوة) يُخرج محروس كومتين نقديتين, إحداهما التي أخذها من الزار والأخرى كبيرة جداً كلها ورق من فئات كبيرة ، يبدو عليه أنه أخذها من رمضان بعد أن قتله ، يرتب محروس النقود أمامه ، بينما يسيل لعاب الجالسين حوله عليها ، يبدأ محروس باللعب وبعد حوالي ساعة

تزداد نقود محروس كثرة ، ويتعرق الآخرين وتنفذ نقـــودهم ، بينما يأخذ محروس بالضحك عليهم قائلاً :

عاملين لي لاعيبة يا كروديات يا خشانة .

تضرب الدماء في رؤوسهم وينظرون إليه وإلى كومة النقود بغيظ ، وفي غفلة من الجميع يُخرج الشخص الـــذي بجانبـــه خنجراً صغيراً مسلولاً ، يوجهه بطعنة غادرة إلى عنق محروس ، الذي ينتبه في آخر لحظة ، فيرفع يده لينغرس الخنجر في ذراعه فيصرخ محروس ، وينهال بكفه على وجه صـــاحب الخنجـــر فينقلب بكرسيه على دولاب زجاجي خلفه فتـــسقط رأســـه داخله لتكسر الزجاج فيترل اللوح الزجاجي على عنقه ليقطعه في الحال ، فتنطلق منه نافورة من الدماء ، يقبض محروس علـــى النقود ويضعها في جيبه ويقلب المائدة على الذين تحفزوا لقتلـــه ويُخرج سيفه من غمده لينهال به عليهم ، فيتقافزون بعيداً عن السيف ، ويُخرِج عرعر خنجراً من قدمه يصوبه من بعيد تجاه عنق محروس ، ثم يُلقي به ليستقر في عنق محروس الذي ينبثق منه الدم ويأخذ محروس في الترنح وتبدأ قوته في الانحـــلال ولكنـــه يتماسك ويشد عضلات رقبته ليتوقف شلال الدم ، ويمـــسك السيف بكلتا يديه ليصيب الجميع بإصابات قاتلة ، وبعـــد أن يتأكد من مقتلهم جميعاً ، ينهار ويقع أمام رجلي عابد الـــذي أخذ يرتجف هستيريا من الدماء التي أغرقت المكان ، وقبـــل أن يسلم محروس الروح يمد يده في جيبه ليخرج مفتـــاح الطـــوق

الصغير ويناوله لعابد بيده المغروقة بالدماء ، ثم يغمض عينيــه ويموت ، يتناول عابد المفتاح بيد مُرتعشة ليفتح الطوق ويُلقــي به ويقوم جرياً تجاه الباب وينزل السلالم متخبطاً ، ويــصل إلى الشارع وهو يجري على غير هدى ، حتى تقع عيناه على فوزي واقفاً في الشارع مبتسماً ، فيتجه ناحيته فيبادره فوزي قائلاً :

انتم فين يا بودي ؟ بدوَّر عليكم ، يا أخي ده انتم عليكم حركات .

يرد عابد وهو متقطع الأنفاس وهو يجذب فوزي من يــده مسرعاً في خطواته .

يلا بينا نمشي بسرعة من هنا ، محروس اتقتل ، بعد ما قتل أبوك ، يلا نهرب .

فوزي : مين قتل مين يا بودي ؟ انت باين عليك مخــك ضرب شوية .

يضحك فوزي وهو يقول :

أنا مش عارف انت خايف كده ليه ، امشي بالراحة بس وقول لي انت عايز تروح فين ؟ .

عابد : أنا عايز أروح أي محطة قطر أبوس ايدك.

فوزي : أنا ممكن أوديك عند شريط القطر بــس مــش محطة القطر، بشرط إنك تاخدني معاك المكان اللي انت رايحه اللي فيه آذان ربنا .

عابد : متفقين ، يلا بينا .

يسيران معاً وفوزي يضحك هادئاً باله ، بينما يعتـــصر القلـــق عابد من مصيره المجهول مع هذا الشخص غير المُبالي بأي شيء.

٢- سكينة الحيـــــاة

تبدأ التباشير الأولى للفجر في الانبعاث ، يقوم عبد الهـادي من نومته على أريكة الصالون في بيت سوزي ، يتوضأ دون أن يسمع أي آذان ، ويُخرج من جيب بذلته المُعلقة على الشماعة بوصلة تمكنه من معرفة الاتجاه الصحيح للقبلة ، يصلي صـلاة الفجر ثم يدعو بالنجاة لعابد وسارية قائلاً :

اللهم أخرجهم بقدرتك مـن أرض الجـان والـشياطين العالقين فيها ، اللهم وفقهم لُملاقاة عبادك الصالحين ، اللـهم نجهم برحمتك التي وسعت كل شيء.

ثم يقوم عبد الهادي من صلاته لينام على الأريكة ويـدعو قائلاً :

اللهم أرني منهم خبراً يقيناً صادقاً يا بصير يا خبير ......

ويكرر " يا بصير ، يا خبير " عدة مرات حتى يـستغرق في النوم ، فيريه الله رؤية صادقة ، فيرى لقطات سريعة مما أصاب عابد أثناء رحلته مع محروس ، ثم يراه مع فوزي تجـاه شـريط قطار بعيد جداً عنهما يقطع الصحراء من منتصفها ، ثم يـرى قصر زُريق وأسفله داخل زنزانة مجهولة معزولة سوداء تقعـد سارية على الأرض باكية مكبلة بالسلاسل ، وزُريـق أمامهـا

يحمل سوطاً جلدياً يقرع به في الهواء لتهديدها وعلى يده ضمادة من أثر الدبوس الذي غرسته فيها سارية ، تدمع عينا عبد الهادي وهو نائم ويستيقظ على يد سوزي تمسح دمعته قائلة له :

مالك يا حبيبي ؟.

يستيقظ عبد الهادي قائلاً :

قدر الله و ماشاء فعل .

ثم يسأل سوزي : **الساعة كام ؟.**

سوزي : صباح الخير يا وش الخير ، الساعة ١١ .

ينتفض عبد الهادي واقفاً وهو يقول (**صباح الخير ، ده أنا راحت عليَّ نومة .**

تناوله سوزي باشكيراً وتضع تحت قدميه شبشباً قائلة :

الحمام جاهز ، اتفضل .

يدخل عبد الهادي الحمام ، بينما تنتهي سوزي من إعداد طعام الإفطار ، وتحمل طبقاً فيه عدة سندوتشات وكوب شاي تذهب بهم إلى سرياقوسي ، وعند عودتها تجد عبد الهادي قد خرج من الحمام وعلى وجهه وجوم خفيف ، تدعوه إلى تناول الإفطار وبعد لحظات تسأله : **في حاجة حصلت ؟ .**

عبد الهادي : قلقان شوية على مصير اتنين لسة موجودين عند زُريق ، ربنا يستر .

سوزي : بلادنا دي عُمر ما الحقيقة اتعرفت فيها أبـــداً ، اوعى تفتكر إن الناس هنا بتعرف ربنا ولا بتعمل له حساب.

عبد الهادي : عارف ، لكن ربنا حاسب حسابهم كويس.

يفرغ عبد الهادي من تناول طعامه ، ويقوم متناولاً بذلتـــه ليرتديها في الداخل ، بينما تستغرق سوزي في تفكـــير عميـــق وهي جالسة أمام مائدة الطعام ؛ ينتهي عبد الهادي ويخرج إلى سوزي مرتدياً كامل ملابسه ، تنظر إليه سوزي ثم تقول :

اللبس ده حيبقى مُلفت قوي الصبح ، ماينفعش .

يرفع عبد الهادي كتفيه حائراً لا يدري كيف يتصرف .

سوزي : على الأقل اقلع الجاكيت والكرافــت وطلّــع القميص برة ، حيبقى سبور شوية ينفع للصبح .

يفعل عبد الهادي مثلما قالت وهو يقول لها : **مش عـــارف من غيرك كنت حاعمل ايه .**

سوزي : قول لي ، يعني ايه ربنا حاسب حسابهم ؟

يُشرق وجه عبد الهادي بابتسامة رائعة تُبدد الوجوم والقلق من على وجهه ويقول لها :

آية واحدة في القرآن حسمت كل شيء إذ قال الله تعالى:

" و كل نفس بما كسبت رهينة " فالحساب هنا على ما كسبته النفس ، فإذا قدمت خيراً يعود إليها هذا الخير ، وإذا قدمت الشر يعود إليها شراً ، فهمتي ؟

سوزي : شوية بس مش قوي.

عبد الهادي : مثلاً ، ترحيبك بيّ إمبارح وفهمك لظروفي, ومساعدتك ليّ ده ثواب عظيم ، لكن ضيع الثواب ده جسمك المكشوف على طول .

تغضب سوزي قائلة :

ده عادي ، كل الناس هنا كده ، العلاقات هنا زي الأكل والشرب ، انت عارف ؟ أول علاقة ليّ كان عندي عشرة اتناشر سنة ، كنت حاسة بنار لازم حد يطفيها ، انت فهمت ولا لسة ؟

عبد الهادي : الله وضع نظام لخمد نار الشهوة بالزواج فقط ، وخارج ذلك يصير فسقاً وعصياناً ، هذا ما عرفته وسرت عليه ، امبارح كنت في منتهى السعادة وأنا بأبوسك...

ترتسم على وجه سوزي ابتسامة عريضة ، ثم يُكمل عبد الهادي:

وكان نفسي استمر معاكي للنهاية ، لكن الذنب أكبر من المتعة ، على فكرة انتِ بهدلتيني بجسمك المكشوف ده .

سوزي (باسمة) : عجبك يا شقي ؟

يضحك عبد الهادي قائلاً : **لو الظروف غير الظروف ماكنتش سبتك ، ممكن الكلب علشان الوقت ؟ يادوب تطلبي الأكل لخمسين ستين نفر ، محتاجة فلوس ؟ .**

تقبله سوزي في خده قائلة : **خيرك مغرقني .**

وتنادي على بوبسي الذي يأتي مُسرعاً ، وتأخذه وتناوله لعبد الهادي الذي يودعها ويخرج حاملاً الكلب ناحية السيارة المتوقفة أمام باب الفيلا ، وتلحق به سوزي وتناوله مسدساً صغيراً ، لا يأخذه ويقول لها : **ربنا معايا .**

بينما يترل سرياقوسي من السيارة حاملاً الطبق والكوب الفارغ يناولهما لسوزي ، ثم يركبان السيارة ومعهما الكلب منطلقين تجاه ميدان سلفادور .

في تلك الأثناء يسير عابد وفوزي تحت شمس الظهيرة الصحراوية التي تخفف تيارات الشتاء من حدتها قليلاً ، ولكن هذا لا يمنع قطرات العرق التي تتفصد من عابد وفوزي ، حيث نال الإرهاق منهما مداه ، فيقول عابد:

هو لسة فاضل كتير ؟

فوزي : استحمل يا بودي ، ماهو كله علشانك .

عابد : بس بقالنا ماشيين أكتر من ست ساعات .

فوزي : يعني انت معاك ساعة ؟.

عابد : كل شوية تقول لي فاضـــل خطـــوتين ، فاضـــل خطوتين .

فوزي : بس قول يا رب نوصل عند حتة القطر بيهـــدي فيها ، لأحسن نمشي جنب القطر كمان ، وممكـــن نوصـــل ونضطر نستنى أربع خمس ساعات تانيين كمان لغاية ما قطر يعدي .

يتذكر عابد في تلك اللحظة تحذير الرجل المُلتحي في القطار وهو يقول له : " خلي بالك من الناس اللي معاك دول " فيزفُر زفرة حارة وهو يتذكر ذلك قائلاً : **يا رب .**

فيتعثر فور أن يقول ذلك في قضيب معدني مطمور بالرمال يصله بقضيب آخر ألواح خشبية فيقول : **الحمد لله ، الحمـــد لله.**

يتقافز هو وفوزي من الفرحة ويُغني فوزي : **ياحلاوتك يا جمالك ، خليت للحلوين ايه.**

ويخلع الجزمة التي يرتديها فوق رأسه ويلقي بها بعيداً ، بينما يضع عابد أذنه على قضيب القطار ، ويأمر فوزي بالتوقف عن

الغناء والحركة ، يتوقف فوزي وينصت عابد ولكنــه لا يجــد شيئاً ، فيرفع أذنه من على القضيب ليجد فوزي جالساً خلفه ، فيجلس بجانبه ، **فيُخرج** فوزي نصف عود قصب يناوله لعابــد ويخرج واحداً يتناوله هو ، فيقول له عابد : **انــت بتجيـب القصب ده منين ؟ .**

يتحدث فوزي بجدية لأول مرة :

ده حلال يا بودي ، كنت أروح اشتغل من ورا أبويـا ، وأجرتي هي القصب ده ، ومن يوم ما ربنا هداني عمري مـا أكلت أكل أبويا ولا أكل من أي حد من البلد الملعونة دي .

يفتح فوزي رقبة جلبابه ليرى عابد " خرجاً" أبيض يحمـل فيه فوزي أكثر من عشر أعواد قصب مقسومة إلى نـصفين ، فيسأله عابد :

انت ازاى عرفت سكة شريط القطـر ده ؟ وازاى ربنـا هداك ؟

فوزي : السؤالين إجابتهم واحدة ، عرفت الـسكة دي من أبويا ، لما خرج بيَّ هربان من البلد كان عندى ١٤ سنة وماكنش ينفع نخرج من أي سكة معروفة ، كـل الـسكك كانت مقفولة كانوا عايزين رقبة أبويا ، فخرج بيَّ من السكة دي ووقفنا زي ما احنا واقفين كده عند شـريط القطـر ،

وأول ما جه نطينا فيه ، وأول بلد نزلنا فيها كانت طنطا ، كانت أول مرة أسمع صوت الآذان ، حسيت إن أبويا كان عايز يسد وداني علشان ما أسمعهوش ، شفت دنيا غير الدنيا وناس غير الناس ، دنيا فيها دين وناس تعرف ربنا ، مافيش حد بيفتري على حد بقوته أو بماله ، وفي يوم صحيت على صوت الآذان ، اتسحبت من ورا أبويا ونزلت ومشيت ورا الصوت لغاية ما وصلت الجامع ، ودخلت و مش عارف أعمل ايه ، وفي مكان فيه حنفيات كتير ، لاقيت واحد واقف بيغسل ايده ، سألني " عايز ايه ؟" قلت له :" مش عارف " فضحك وعلمني الوضوء والصلاة وخلاني أشهد الشهادة ، وصليت معاهم ، وبعد كده رجعت قبل ما أبويا يصحى ، كل يوم في السنة اللي طوفنا فيها البلاد دي ، كنت أصلي الفجر من ورا أبويا ، وهو اتعلم القتل هناك ، وبعد ما رجعنا كنت المفروض أبقى مساعد قتال قتلة ، فعملت فيها عبيط ولبست له جزمة في دماغي لغاية ما قطع الأمل مني ....

يقطع حديث فوزي صوت صافرة القطار فيتأهبان للقفز ، وما أن يمر من أمامهما قطار البضائع حتى يقفزان داخله .

في تلك الأثناء ، يجلس عبد الهادي على الكوفي شوب المواجه للميدان وبجانبه الكلب ذا العين الواحدة يلعب بورقة في الأرض ، وعندما يفرُغ عبد الهادي من تناول قهوته يظهر

عبد العال ومن خلفه العربة نصف النقل التي تحمل الحمـــار ؛ يركن عبد العال سيارته الرياضية بعصبية ثم يترل متجهاً ناحية عبد الهادي ولا يسلم عليه وإنما يتحدث بغضب قائلاً :

الحمار بقالة مرتين ما بيعملش دهب .

يدعوه عبد الهادي إلى الجلوس مطمئناً إياه قائلاً :

(اجلـــس مـــن فـــضلك Sit down)، don't worry

يزفر عبد العال زفرة غضب ، منادياً سائقه : **روح يا ولـــه شوف لنا حد بيتكلم زفت إنجليزي .**

يذهب السواق على الفور لينادي أحد الرســامين ليـــأتي بواحد منهم ، ليُخبر عبد الهادي بأن الحمار لم يَبُل ذهباً ، فيرد عليه عبد الهادي بأن الحمار لا يبول ذهباً إلا كل أســبوعين ، فيقول عبد العال :

بس الفلوس كده تبقى كتير قوي ، احنا نعمــل قعــدة رجالة ونشوف الموضوع ده حيمشي ازاى .

يُترجم الرسام هذا لعبد الهادي ، فيقول عبد الهادي له إنــه داعيهم عنده ليتكلموا حول هذا الموضوع ، قائلاً :

Every one here are invited in my home to the dinner، and to be awetness between me and Mr Abd El All

يُترجم الرسام قائلاً : **الجميع هنا مدعوين للغدا في بيت المستر ، ليشهدوا على الاتفاق بينه وبين السيد عبد العال .**

يعلن عبد العال موافقته ويجلس بجانب عبد الهادي الذي يتحدث إلى الكلب بصوت عالٍ :

عبد الهادي :

Go to the home، and told her to make a dinner for ٥٠ persones.

ينطلق الكلب جرياً وسط ذهول الحاضرين ، بينما يتدلى فك عبد العال وهو يسأل الرسام قائلاً : **هو قال للكلب ايه؟.**

الرسام : قال للكلب يروح البيت ويقول لها تحضر غدا لخمسين شخص .

يُخاطب عبد العال نفسه قائلاً : **هو الكلب كمان بيتكلم؟ معقول ده ؟.**

يقول عبد الهادي مُخاطباً الجميع وهو يشير إلى الهاتف : **ده مش شغال .**

الرسام : الموبايلات فعلاً النهاردة كلها مش شغالة .

عبد العال : إجراءات أمنية علشان الإرهابيين اللي قتلوا طيبور وابنه ما يقدروش يتصلوا ببعض ، وقفلوا الحدود وعزلونا عن العالم ، أهي عكت على دماغنا إحنا .

يضرب عبد العال كفاً بكف وهو يقول : **اللي يعيش ياما يشوف يا ناس ، كلب بيتكلم ، اهو ينفع في الأيام الـــسودا اللي احنا فيها دي اللي مافيهاش موبايلات .**

ثم يقول للرسام : **معقول الكلب ده بيتكلم ؟! .**

الرسام : كمان شوية حنروح البيت عند المستر ونشوف, لو لاقينا أكل فعلاً يبقى أكيد الكلب بيتكلم .

عبد العال : عندك حق ، المية تكدب الغطاس .

ينصرف الجميع لأداء أشغالهم ، بينما ينشغل عبد العـــال في لف سيجارة بعد أن أحس بسيطرته على الأمور وهو يحـــدث نفسه قائلاً :

أهي حاجة تفتح النفس عالغدا ، بس يـــا ريـــت يطلـــع بصحيح .

يُدخن عبد العال سيجارته ويلعب المخدر بعقله ، فيقـــوم متجهاً ناحية الرسامين ، ليسألهم عن معـــاني أعمـــالهم الـــتي يرسموها ، يمر من الوقت حوالي ساعة ونصف الساعة على هذا الحال ، حتى يقوم عبد الهادي من مكانه مـــشيراً إلى الجميـــع للسير وراءه حتى منزله ، يصل الجميع إلى فيلا سوزي ليجدوا الكلب واقفاً عند مدخل الحديقة يهز ذيله ومن خلفه الحديقـــة مفروشة بموائد الطعام ، وسوزي وسطها ترتدي هوت شورت

وهاف بادي ، وتدعو الجميع إلى الجلوس ، فيتخذون أماكنهم أمام الطعام الشهي ، ثم تتجه ناحية عبد الهادي وهـي تتعلـق برقبته قائلة :

Popsy told me about the dinner

عبد الهادي : **Thank you darling**

يسأل عبد العال الرسام : **هى بتقول له ايه ؟.**

الرسام : بتقوله إن الكلب بلغها إنها تحضر الغدا لينا .

عبد العال : يعني الكلام طلع بصحيح ، الكلب بيتكلم !

يجلس الجميع وينهمكون في تناول الطعام ، وتعلق عين عبد العال بسوزي وسخونتها والكلب الذي تحمله بـين يـديها ، وتطعمه بيدها بينما تأكل هي ، بعد أن يفرغ الجميع يغسلون أياديهم بالمناديل المعطرة التي توجد أمامهم ، ثم يـأتي عمـال المطعم الذين ينتظرون تناول الضيوف طعامهم في عربة كـبيرة تقف خارج الفيلا ، يأخذون الأطباق الفارغة والموائد المستطيلة ويضعون موائد بلاستيكية دائرية ، وبعد دقائق يحضرون صواني الشاي للجميع ، ثم يبدأ عبد العال الحديث قائلاً :

دلوقتي أنا اشتريت الحمار على إنه كل يوم حيعمـل لي دهب ، وطلع بيعمل دهب كـل أسـبوعين بـس ، حـلاً للمشكلة دي أنا هآخد الكلب اللـي بيـتكلم ده بفـرق الفلوس, قُلت ايه في الكلام ده ؟

يُترجم الرسام لعبد الهادي كلام عبد العال ، فيقول عبد الهادي:

The price of the dog is ٥٠,٠٠٠ $

يُترجم الرسام الكلام لعبد العال ، فيبدو عليه الضيق ، فيقول للرسام : **قول له يتهاود شوية .**

يُخبر الرسام عبد الهادي برغبة عبد العال بتقليل المبلغ ، فيقول عبد الهادي : **٤٠,٠٠٠ $ It's the final word**يُترجم الرسام ذلك ، فيقول عبد العال لسائقه : **وله يا زغلل ، شوف فيه كام في درج العربية ، وهاتهم وتعالى .**

ويناوله مفاتيح السيارة ، يذهب زغلل مُسرعاً ويعود بعد لحظات حاملاً ظرف في يده يناوله لعبد العال الذي ينظر فيه سريعاً ويناوله لعبد الهادي ، ويقول للرسام : **قوله ما يكسفش ايدي ، ال ٣٠ ألف دول آخر ما معايا .**

يُترجم الرسام لعبد الهادي الذي يتناول النقود ويشير إلى سوزي أن تُعطي الكلب لعبد العال ، قائلة : **مبروك .**

فيهمس لها عبد العال : **أنتِ لكِ حصة كبيرة معايا يا جميل**

ثم يتحدث بصوت عالٍ وهو يمد يده في صدره ليخرج رزمة أخرى يناولها لسوزي ، قائلاً : **دي حلاوة صغيرة للمدام اللي أكرمتنا وضايفتنا في بيتها .**

سوزي : ميرسي يا مستر عبد العال .

ويصدرعن الحاضرين كلمات الإعجاب بموقف عبد العـال الراقي ، وتتصاعد منهم عبارات الشكر على هذا الغداء الشهي وهم يستعدون للرحيل ، وينصرف الجميع ، وتدخل سـوزي وعبد الهادي المترل ، وما أن ينغلق الباب حتى تتعلق سـوزي برقبته وتقبله قبلة طويلة ، يترك عبد الهادي نفسه لهـا علـى مضض ، فتشعر هي بذلك فتبتعد عنه قائلة : **أنا مش عاجباك ولا ايه ؟ .**

عبد الهادي : أنا حبيتك قوي .

تقفز سوزي فوق الأريكة ، جالسة على ركبتيهـا وهـي تقول :

بجد بتحبني ؟ .

عبد الهادي : بس ما ينفعش نقرب من بعـض علـشان حرام .

سوزي : طب قول لي ازاي نقرب من بعض من غير مـا نعمل حرام .

عبد الهادي : نتجوز .

سوزي : أنا موافقة .

يجلس عبد الهادي أمامها ويناولها الثلاثين ألف دولار ثمـن الكلب.

سوزي : معقول ؟! كمان الفلوس دي بتاعتي ؟، ما انت دفعت لي تمن الكلب.

عبد الهادي : ودول كمان علشانك .

تبكي سوزي لأول مرة منذ زمن طويل وهي تقول :

أنا عمر حد ما عاملني كويس كده زيك ، أنا بحبك قوي, اتجوزني أرجوك .

يربت عبد الهادي على كتفها ، فتلقي برأسها على صدره ، فيمر بيده على شعرها برقة قائلاً : **خلاص نتجوز .**

تعتدل سوزي وهي تمسح دموعها قائلة : **بجد ؟ إزاي ؟.**

عبد الهادي : أول حاجة نتفق على شروط الجواز بينا ، انت تبقى ليّ أنا وبس ، ولبسك يتغير ، وتلبسي حجاب يغطي شعرك وصدرك ورجليكي ، وتشهدي شهادة " لا إله إلا الله محمد رسول الله "

سوزي : موافقة .

تقول الشهادة ، ثم يقرأ عبد الهادي الفاتحة وتكررها وراءه ، ثم يقول :

وتقولي لي وهبتك نفسي .

سوزي : وهبتك نفسي .

عبد العال : وأنا قبلت ، كده احنا متجوزين .

تلقي سوزي بنفسها في حضنه ويقعان من فوق الأريكة مستغرقان في قبله طويلة ويتدحرجان على الأرض ، ويغرقان في بحر الحب الذي أحاط بهما.

في تلك الأثناء يمضي القطار في طريقه ، وقد بدأ في ترك الصحراء وبدأت المزارع تظهر على الجانبين ، بينما فوزي جالساً مستمتعاً بلفح الهواء على وجهه ، وعابد نائم واضعاً رأسه على رجليه ، يطلق القطار عدة صافرات دلالة على اقترابه من محطة توقفه ، يحاول فوزي إيقاظ عابد الذي يبدو عليه أنه في غيبوبة فلا يستيقظ ، فيسنده فوزي على كتفه ويتحرك به قليلاً إلى ناحية مناسبة للقفز ، ثم تظهر لافتة عليها " **رصيف قطار البضائع رقم واحد** " يُهدئ القطار من سرعته وهو يقترب من الرصيف ، وبعد عدة أمتار يقفز فوزي وهو يحمل عابد ، فيقع الاثنان ويستفيق عابد ويأخذ في الصراخ ، قائلاً : **سارية ، سارية .**

وينخرط في البكاء ، يساعده فوزي على القيام مُهدئاً إياه ، فيتجمع الناس حولهما ، فيقول لهم فوزي : **تعبان شوية وحيبقى كويس .**

يحاول فوزي تهدئته وينجح في وقف صراخه للحظات ، ولكن عابد يذهب في غيبوبة مرة أخرى ، فيحمله الناس مع

فوزي ليعبروا به بوابة فاصلة بين رصيف البضائع ورصيف الركاب ، ويجلسونه على دكة فارغة ، ويشكرهم فوزي ويبقى بجانبه حتى يفيق .

في تلك الأثناء يخرج عبد الهادي وسوزي من الحمام وقد ارتديا روبين أبيضين ، تدوس سوزي على جهاز التحكم لتشغل التلفاز الذي يعرض مشاهد لمراسم حرق الجثتين الملكيتين ، وقد وقف زُريق يُمثل البكاء الحار على أخيه وابن أخيه ، يحول عبد الهادي نظره عن التلفاز ويسرح ناظراً إلى الأرض ، ويحدث نفسه قائلاً : **حنجيب دم منين ؟** .

تسمعه سوزي فتقول له باسمة وهي تكشف رقبتها :**دمي كله تحت أمرك .**

يضحك عبد الهادي قائلاً :**انتِ حبيبة قلبي ، أنا محتاج دم طير.**

سوزي : خلاص نشتري فرخة ، خمس دقايق وتكون عندك ، آخد سرياقوسي معايا وأروح أجيب فرخة .

تذهب سوزي لترتدي ملابسها ، وبعد لحظات تخرج ، فترتسم ملامح السعادة على وجه عبد الهادي بالملابس الفضفاضة الواسعة التي ارتدتها ، حيث ارتدت جلباباً مغربياً ووضعت على رأسها غطاء الرأس الخاص به وخرجت ، يجلس

عبد الهادي ليقلب في قنوات التلفاز فيجدها تعـرض نفـس الحدث ، فيغلقه ويقوم للصلاة ، وما أن ينتهي من صلاته حتى تصل سوزي وهي تحمل فرخة حية وأكياساً كثيرة تدخلهم إلى المطبخ ، ثم تعود وتخلع الجلباب المغربي ، وهي تقـول لعبـد الهادي : **خطتك ايه بقى يا حبيبي ؟.**

عبد الهادي : كمان كام ساعة ، عبد العال حيكتشف ان الكلب ما بيتكلمش، حييجي هنا وفي اللحظة دي ، حيكون سرياقوسي واقف برة ، أول ما يلمحه حيقول لنا ، حنخرج أنا وانتِ ونمثل إن في بيننا مشكلة ، انت حتعلي صوتك عليَّ قدام عبد العال ، أنا حتنرفز وحأطلع سكينة مـن جـيبي ، حتكوني حاطة في صدرك كيس الدم بتاع الفرخة ، حضرب الكيس بالسكينة ، الدم حيخرج من رقبتك و حتقعي علـى الأرض ميتة ، وأنا حأمر بالسكينة على رقبتك ٣ مرات وفي كل مرة حأقول " سيجالا ، سيجالور " حتقومي صاحية من الموت .

سوزي : وطبعاً حياخد السكينة المسحورة بدل الكلب ، ده انت عليك دماغ تودي في داهية .

ثم تقوم سوزي لتقبل رأسه ، قائلة : **تسلم لي دماغك.**

عبد الهادي : جزاء النصاب إنه يتنصب عليه .

ثم يقومان لذبح الفرخة وتجهيز أدوات الخطة ، وبعد أن ينتهيا يجلسان في الحديقة ويقف سرياقوسي في الخارج مراقباً الطريق وبعد قليل ، يدخل سرياقوسي جرياً قائلاً : **عبد العال على أول الشارع .**

يخرج عبد الهادي مع سوزي ، التي تبدأ حديث صاخب باللغة الإنجليزية وهي تدفع عبد الهادي في صدره عدة مرات ، يضع عبد العال سيارته إلى جانب الرصيف ، ويتجه ناحيتهما حاملاً الكلب ، قائلاً : **اهدوا كده الكلام مش في الشارع ، كده عيب ، تعالوا نخش جوة نتكلم .**

سوزي : ده راجل بارد ماعندوش دم ، عايز ياخد مني الفلوس اللي انت اديتهالي .

ينظر إليها عبد الهادي بغضب ويضع يده في جيبه الخلفي ليُخرج سكيناً يضرب به كيس الدم الموجود في صدرها ، فتنبثق الدماء من صدرها وتقع على الأرض بلا حراك ، وتنتفض عدة انتفاضات كأنها تسلم الروح ، وقد تجمع المارة وانتاب الجميع ذهول شديد ، خاصة عبد العال الذي أخذ يصرخ قائلاً : **قتلتها يا مجنون يا ابن الكلب ؟ رُحت في داهية.**

يبعد عبد الهادي الجميع عنها وهو يهددهم بالسكين قائلاً : **كله كويس ، كله كويس ، ابعد Go away**

ثم ينحني فوقها وهو يمرر السكينة على عنقها قائلاً بصوت عالٍ :(**سيجالا ، سيجالور**) ثلاث مرات ، وبعد المرة الثالثة تقومُ سوزي وهي تقول :(**أنا كنت فين ؟ حصل ايه ؟**) يندهل عبد العال وهو يساعد عبد الهادي في حمل سوزي على النهوض وهي تتحسس صدرها قائلة : **ايه الدم ده ؟.**

يقول عبد العال الذي يضرب كفاً بكف : **أنا شفت العجب على ايدك يا خواجة .**

يُفرق عبد العال المارة الذين تجمعوا قائلاً : **يالا يا إخوانا ما حصلش حاجة .**

ويدخل الجميع إلى الفيلا ، ويجلس هو وعبد الهادي في الحديقة ، بينما تدخل سوزي لتغيير ملابسها ثم تعود بعد لحظات ، وقد أحضرت كرسياً لها وتجلس معهما ، فيسألها عبد العال :

انتِ كويسة ؟ حاسة بحاجة ؟

سوزي : كويسة مافيش حاجة ، بس مش عارفة الدم اللي كان عليَّ ده جه منين .

عبد العال : مافيش جرح في صدرك ولا أي حاجة ؟!.

تريه سوزي مكان الضربة فلا يجد أي أثر للجرح ، فيطلب منها أن تقول لعبد الهادي أنه يريد أن يرى السكينة التي معه ،

تخبر سوزي عبد الهادي بهذا ، فيناوله السكين على الفور ، يقلبها عبد العال في يده ، ثم يقول وهو يضعها على المائدة :

دلوقتي أنا حاولت أكلم الكلب ، لكن لا هو فاهم ولا بيرد .

تترجم سوزي ، فيخبرها عبد الهادي إن الكلب لا يتحدث ولا يفهم إلا الإنجليزية .

عبد العال : أنا بقى لا بفهم إنجليزى ، ولا بعرف أتكلمه, خدوا الكلب وادوني سكينة المحاياة دي .

تترجم سوزي لعبد الهادي الذي يُبدي موافقته ، فيفرح عبد العال ولكنه يقول :

لكن أنا عايز أعرف انت بتقول ايه علشان الميت يصحى.

عبد الهادي : Segala segalor ٣ times only

يطلب عبد العال من سوزي كتابة الكلمة على ورقة بالحروف العربية ، فتقوم وتحضر ورقة وقلماً وتكتب له العبارة, فيأخذ الورقة ويأخذ في تكرار الكلمة عدة مرات ليتمكن من حفظها ، ثم يناولهما الكلب ويسلم عليهما ويرحل فرحاً بالغنيمة التي حصل عليها .

يصل عبد العال إلى بيته ويطلب من زوجته الخروج معه ، فتمتثل لأمره، وفي مكان ممتلئ بالمارة ، يُخرج عبد العال

السكين من طيات ملابسه ليطعنها في صدرها طعنــة قاتلــة ، فتقع على الأرض غارقة في دمائها وسط صراخ المارة ، فيصرخ فيهم عبد العال قائلاً :

الست مامتتش ، الست حية ، أنا معايا سكينة المحايــاة ، بصوا....

يُمرر عبد العال السكينة على رقبة زوجته المسفوك دمهــا قائلاً : **سيجالا سيجالور ، ســيجالا ســيجالور ، ســيجالا سيجالور .**

فلا تقوم السيدة الغارقة في دمائها ، ويكرر العبــارة عــدة مرات بطريقة هستيرية وهو يُمرر السكينة مــرات ومــرات ، ويأخذ في الضحك والبكاء في آن واحد ، فيُمسك به المــارة وهم يقولون: "**الراجل اتجنن**" ، وتدوى كلمة "الراجل اتجنن" آلاف المرات داخل عقله ، حتى يجد نفــسه وســط المرضــى العقليين في مصحة عقلية .

في تلك اللحظات التي قتل فيها عبد العال زوجته ، يتأهب عبد الهادي وسوزي التي تجمع أشياءها الثمينة للرحيــل مــن المدينة مع زوجها إلى بلدته .

أما عابد فيصحو مرة أخرى وهــو مُــستمر في صــراخه الهستيري وندائه على سارية ، فتأتي الشرطة لتقبض عليه هــو وفوزي لعدم وجود بطاقات شخصية معهما ، ويُرســلان إلى

قسم الشرطة ، ويُعمل لهما فيش وتشبيه ويُستدل منـــه علـــى عنوان عابد ، فيُرسل إلى التجنيد ، ويُحاكم بسبب ضياع مخلته وبذلته الميري ، وأثناء المحاكمة يتحدث بأحاديث غير مترابطـــة يُسجلها رجل يرتدي بذلة سوداء ونظارة سوداء ، وتعـــاوده حالته الهستيرية ، فيدفع هذا قادته إلى تسريحه مـــن الجـــيش ، فيعود إلى بلدته يعيش مُنطوياً في بئره الأسود العميق .

أما فوزي فيوضع في إحدى دور الرعاية لعدم الاســـتدلال على أية أوراق شخصية له ، ويتعهده المسجد الخـــاص بـــدور الرعاية .

تم الجزء الأول بحمد الله ، ويليه الجزء الثاني .

